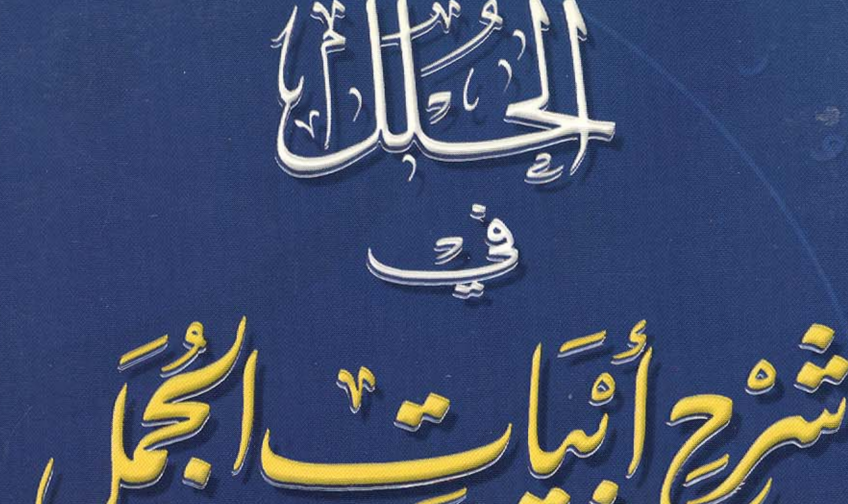
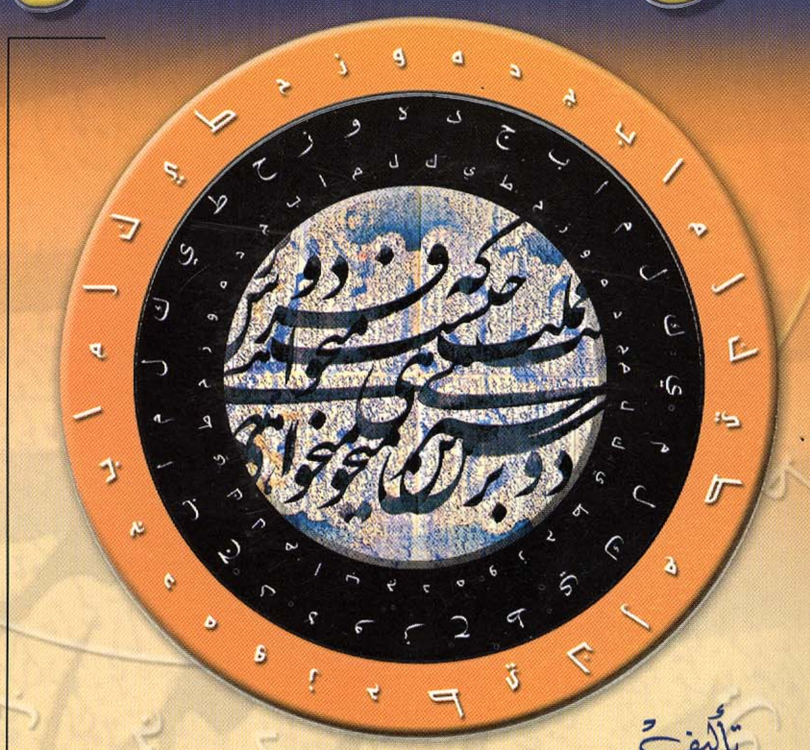






تأليف
أبي محمد عبد الله بن محمد
ابن السيد البطليوسي
المتوفى ٥٢١ هـ

قرأه وعلق عليه
الدكتور يحيى مراد

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4000-0



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

التعريف بالمؤلف

يعد ابن السِّيد البَطَلْيَوسي واحداً من كبار علماء العربية الذين أنجبتهم الأندلس في القرن الخامس بسبب إضافاته الجادة التي أسهمت في إغناء الفكر العربي بصورة عامة، والدرس اللغوي بصورة خاصة. وقد نالت جهوده التي توزعتها ميادين مختلفة من المعرفة قدراً كبيراً من اهتمام القدامى والمحدثين لمكانتها المرموقة بين مؤلفات علماء العربية.

اسمه ونسبه:

أبو محمد عبد الله بن السِّيد البَطَلْيَوسي(١) ذكرت المصادر أكثر من معنى لاسم جده السِّيد، فبنو السِّيد: بطن من العرب من بني ضبة(٢)، والسِّيدُ: الأسد(٣)، والسيد: الذئب(٤)، وقد أشار غير واحد ممن ترجم له أن معنى السِّيد جدّ عبد الله: الذئب(٥)، والأرجح: أن كلمة السيِّد، تحريف لكلمة السيد وهو أمر شائع في الأندلس وشمال أفريقيا.

عرف علمنا بالبَطَلْيَوْسي نسبة إلى بَطَلْيوس، إحدى مدن الأندلس الشهيرة(٦).

ولادته:

ولد ابن السيد، أربع وأربعين وأربعمائة(٧) بمدينة بطليوس، ويبدو من كلام

---

(١) ترجمة ابن السِّيد البطليوسي للفتح بن خاقان نقلها المقري كاملة في كتابه: أزهار الرياض ٣/١٠٣-١٤٩، وعندي نسخة مصورة عن مصورة معهد المخطوطات ضمن مجموع قلائد العقيان للفتح بن خاقان ٢٢١-٢٣١.

(٢) المثلث ٤١٢/٢ الاشتقاق: ١٩٠، جمهرة اللغة ٢٦٨/٢، جمهرة أنساب العرب ١٩٠.

(٣) اللسان (سيد)٤/٢١٧.

(٤) المثلث ٤١٢/٢، حياة الحيوان الكبرى ٧٠،٢، اللسان (سيد) ٢١٧/١٤.

(٥) وفيات الأعيان ٢٨٤/٢، حياة الحيوان الكبرى ٧٠/٢.

(٦) أزهار الرياض ١٠٥/٣.

(٧) الصلة٢٩٢/١، بغية الوعاة ٥٦/٢.

المقري في كتابه: نفح الطيب أن ابن السيد ولد بمدينة شلب، قال: (ومنها-أي شلب- نحوي زمانه أبو محمد.. فإن شلباً بيضته، ومنها كانت حركته ونهضته)[١] وهو وهم منه سببه عدم تحريه الدقة في نقل النص، فقد أورد فقرة مبتورة من ترجمة ابن السيد للفتح بن خاقان نقلها في كتابه: أزهار الرياض، قال الفتح: (وشلب بيضته ومنها كانت حركة أبيه ونهضته، وفيها كان قرارهم، ومنها نما آسهم وعرارهم، ونسب إلى بطليوس لمولده بها)[٢].

وذكر إسماعيل باشا البغدادي أنه ولد بمدينة بلنسية[٣]، وهو وهم سببه أن ابن السيد سكن بلنسية.

أسرته:

لا أعرف شيئاً ذا بال عن أسرته. وما استطعت معرفته أن أباه من شلب[٤] ولا أعرف له إخوة سوى علي بن محمد، ولعله ولد ببطليوس، فقد ذكر ابن بشكوال أن علياً من أهل بطليوس، ونقل القفطي[٥] ما ذكره ابن بشكوال، ويبدو أن علياً ترك بطليوس إلى قلعة رباح، فتعرض فيها لمحنة أودت بحياته فقد اتهمه حريز ابن حكم بن عكاشة الذي ولي إدارة القلعة بعد مقتل أبيه سنة ٤٦٧هـ[٦]، فاعتقله (في بيت ضيق وكان يجري عليه رغيفاً لا شيء معه إلى أن ضعف وهلك)[٧]. وقد ذكر ابن بشكوال أن علياً توفي بمعتقله سنة ٤٨٠هـ. إلا أن القفطي والسيوطي[٨] جعلا تاريخ وفاته سنة ٤٨٨هـ، والراجح أن ما ذكره ابن بشكوال أقرب إلى

---

(١) نفح الطيب ١/١٨٥.

(٢) أزهار الرياض ٣/١٠٥.

(٣) هدية العارفين ١/٤٥٤.

(٤) أزهار الرياض ٣/١٠٥.

(٥) إنباه الرواة ٢/٣٠٧.

(٦) الحلة السيراء ٢/١٧٧.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) بغية الوعاة ٢/١٨٩.

الصواب، لأن حريز بن الحكم بن عكاشة قُتِل سنة ٤٨٠هـ[1].

نشأة ابن السيد وحياته:

من العسير جداً أن يتصور المؤرخ ما أصاب قرطبة في القرن الخامس بعد الفتنة التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية، وما جرى للأندلس من تمزق وانحلال واختلاف أهواء وويلات حروب، فقد تحولت إلى دويلات، يحوك أمراؤها الدسائس والمؤامرات، ويمالئون عدوهم المشترك، ويدفعون له الجزية صاغرين، ويشن بعضهم على بعض حروباً تزرع الموت والدمار، وتحيل مدن الأندلس الخضر إلى مدن خاوية ينتشر فيها الخوف والجوع، فقد تفرقت البلاد شيعاً وأحزاباً ودويلات متصارعة، سُميت (دول الطوائف)[2].

في هذه المرحلة القاسية من حياة المسلمين في الأندلس ولد ابن السيد، ومازال الغموض يكتنف جوانب كثيرة من حياته حتى نكاد نجهل كل شيء عنه، وعلى الرغم من ذلك أستطيع رسم خيط رفيع لنشأته وحياته منذ ولادته حتى وفاته.

عاصر ابن السيد دول الطوائف في الشطر الأكبر من حياته، وتنقل بين دويلاتهم ثم استقر خلال حكم المرابطين في بلنسية. وعلى هذا يمكن تقسيم حياته على مرحلتين:

المرحلة الأولى: قضاها متنقلاً بين دويلات أمراء الطوائف.

المرحلة الثانية: استقر فيها ببلنسية إبان حكم المرابطين.

المرحلة الأولى:

ولد صاحبنا بمدينة بطليوس -كما أسلفنا-، وهي مدينة من إقليم ماردة، حديثة العمران، تقع في بَسْط من الأرض على ضفة نهر كبير، منها إلى إشبيلية ستة أيام ومنها إلى قرطبة ست مراحل[3]. ويبدو أن المدينة لم تعبأ باستقبال المولود الجديد؛ فالأحزان مازالت تعمها إثر حرب طاحنة بين المعتضد بالله عباد بن محمد

---

(١) الحلة السيراء ١٧٨/٢.

(٢) يراجع بخصوص هذه الفترة جذوة المقتبس ١٨-٣٦.

(٣) الروض المعطار٩٣.

(ت٤٦١هـ) حاكم إشبيلية وبين حاكمها المظفر بن الأفطس (٤٦١هـ)[١]، وقد بقيت بطليوس مدة خالية الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها، وكان للمدينة ربيض كبير أكبر من المدينة في شرقها خلا بالفتن[٢].

والمتوقع أن ابن السيد قضى هذه المرحلة من حياته في الدرس والتحصيل، فسمع من علماء بطليوس وأخذ عنهم، وبخاصة عاصم بن أيوب البطليوسي وعلي بن محمد.

ويبدو أن ابن السيد رحل إلى قرطبة لإكمال تعليمه، فقد كانت لها مكانة خاصة في نفوس مسلمي الأندلس بصورة عامة، كما أن المدينة لا تبعد عن مسقط رأسه أكثر من ست مراحل[٣]، ومما يشجع على الرحلة إليها أنها قد حظيت بعد سقوط الخلافة الأموية، وخلع المعتد بالله هشام بن محمد سنة ٤٢٧هـ[٤]، واستيلاء جَهْور بن محمد على الحكم- بكثير من الدعة والاستقرار. وبعد وفاته سنة ٤٣٥ هـ[٥] تولى الحكم من بعده ولده: أبو الوليد محمد بن جهور، فسار على سياسة أبيه إلى أن مات سنة ٤٤٣هـ فصارت المدينة حرماً يأمن فيه كل خائف من غيره، غير أن الحال لم تستمر على ما كانت عليه فقد اضطربت أحوالها إبان حكم ولدي محمد بن جهور؛ نتيجة تنافسهما على الرئاسة[٦]، فاستطاع المعتمد بن عباد تحقيق حلمه بالاستيلاء عليها سنة ٤٦٢هـ. ثم احتلها المأمون بن ذي النون سنة ٤٦٧هـ، واستطاع ابن عباد[٧] استعادتها في السنة نفسها.

وفي قرطبة لقي ابن السيد أستاذه أبا علي الغساني[٨]، وكان شيخ المحدثين

---

(١) دول الطوائف ٤١-٤٢، إشبيلية في القرن الخامس ١٢٧.

(٢) الروض المعطار ٩٣.

(٣) الروض المعطار ٩٣.

(٤) البيان المغرب ٣/١٤٦، المعجب ٥٨.

(٥) بغية الملتمس ٣٥، المعجب: ٥٩.

(٦) المغرب ١/٥٦.

(٧) المعتمد بن عباد، د.صلاح خالص ١٢٤-١٢٦، وينظر أيضاً: بغية الملتمس: ٣٥، والمعجب ٥٩، والمغرب ١/٥٦.

(٨) ترجمته في الصلة ١/١٤٢، وسيأتي ذكره في مبحث شيوخه.

بقرطبة، وليس بين أيدينا من أخبار ابن السيد في قرطبة إلا خبران؛ الأول: أورده تلميذه الفتح بن خاقان، وهو قصيدة للبطليوسي يجيب بها شاعراً قرطبياً مدحه، قال:

قل للذي غاض في بحر من الفكر يذهنه فحوى ما شاء من درر
لله عـــذراء زفت منك رائحة تختال من خبرها المرقوم بالحبر
صداقها الصدق من ودي ومنزلها بصيرتي وسواد القلب لا بصري
وهل بطليوس في نظم منـــاظرة يوماً لقرطبةٍ في حكــم ذي نظر[1]

أما الخبر الثاني: فقد أورده القفطي، وهو: وكان قد سكن قرطبة في أيام محمد ابن الحاج صاحب قرطبة، وكان كاتبه علياً الكاتب، ومدار الأمور بقرطبة عليه، وكان له بنون ثلاثة يسمى أحدهم: عزون، والثاني: رحمون، والثالث: حسون، وكانوا صغاراً في حد الحلم وكانوا من أجمل الناس صوراً ... وكانوا يقرأون القرآن على المقرئ، ويختلفون إلى الجامع في ذلك، وكان أبو محمد بن السيد قد ولع بهم، ولم يمكنه صحبتهم إذ كان في غير صنفهم ولا منهم، وكان يجلس في الجامع تحت شجرة يتعلل في كتاب يقرأ فيه، فقال فيهم بيتين هما:

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني وهمتُ في حب عــزونٍ فعــزوني
ثم ارحموني برحمونٍ فإن ظَمِئَتْ نفسي إلى ريق حسون فاحسوني

وخاف على نفسه من أبيهم، ففر من قرطبة، وخرج إلى بلنسية. ويرد الخبر مع شيء من التحريف عند السيوطي[2]، فقد سقط منه عبارة (علي الكاتب) فصار الأولاد أبناء محمد بن الحاج صاحب قرطبة، كما سقطت من نهاية الخبر جملة: (وخرج إلى بلنسية). وقد أورد الخبر أيضاً المقري[3] نقلاً عن السيوطي.

ولا أستطيع تصديق هذا الخبر للأسباب الآتية:

١- إن سيرة ابن السيد لا توحي بالطيش والفجور والسخف المخل بالشرف،

---

(١) أزهار الرياض ٣/١٤١.
(٢) بغية الوعاة ٢/٥٥-٥٦.
(٣) أزهار الرياض ٣/١٠٢، نفح الطيب ٣/٢٨٧.

فمن ترجم له لم يذكره بما يشوب سيرته.

٢- وإن أحداً من معاصريه الذين ترجموا له لم يشر إلى هذا الخبر من قريب أو بعيد، حتى إن الفتح بن خاقان في المقامة المقذعة التي تنسب إليه لم يشر إلى هذا الخبر، برغم ما فيه من مادة تمكن صاحب المقامة من نسج ما يحب.

٣- وإن محمد بن الحاج واحد من قواد المرابطين عُيِّن حاكماً لقرطبة في أوائل القرن السادس، كما عُيِّن حاكماً لبلنسية(١)، أي أن توليه الحكم بعد أن جاوز ابن السيد سن الخامسة والخمسين من العمر، وكان في هذه المرحلة في قمة نضجه الفكري، فإن صح أن ابن السيد كان بقرطبة فليس من المعقول أن يجلس تحت شجرة يَسْتَلِص النظر إلى أولاد صغار. وهو بهذا العمر يمكن تصوره وقد التف حوله طلاب العلوم، يأخذون منه ويقرأون عليه، فقد وُصف بحسن التعليم، وجودة التلقين، وأنه ثقة حافظ ضابط(٢).

ويبدو أن الحالة السياسية غير المستقرة التي عمت قرطبة -في أواخر العقد السابع من القرن الخامس- دفعت ابن السيد إلى مغادرتها.

وفي الغالب أن ابن السيد رحل إلى طليطلة- وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، تبعد عن قرطبة بمقدار تسع مراحل، وتبعد بالمقدار نفسه عن بلنسية والمرية(٣)، وعلى الأغلب أن ابن السيد دخلها إبان حكم القادر بالله بن ذي النون، فقد ذكر ابن خاقان في ترجمته لابن السيد قصيدة قالها في مدح القادر(٤).

ومن الغريب أن ابن خاقان يذكر قصيدة أخرى لابن السيد في وصف مجلس القادر بالناعورة أورد منها قوله:

يا منظراً إن رمقت بهجته ... أذكرني حسن جنـــة الخلـــد
تربـــةُ مسك وجوٌّ عنبرة ... وغيم نـــد وطش مـــاورد

---

(١) البيان المغرب ٤/٤٨.

(٢) الصلة ١/٢٩٢.

(٣) الروض المعطار ٣٩٣.

(٤) أزهار الرياض ٣/١٣٥-١٣٦.

والماء كاللازورد قد نَظَمتْ فيـــه اللآلي فـــواغر الأسد
تراه يُزْهَى إذ يحل بــــه الـــ قـــادر زهــــو الكَعَـــاب بالعِقْــد

ثم يورد القصيدة نفسها في قلائد العقيان ويذكر أنها قيلت في وصف مجلس المأمون بن ذي النون، إلا أنه لا يورد فيها البيت الذي يذكر فيه ابن السيد القادر[١]. كما أن المقري يذكر في كتابه: نفح الطيب[٢] نقلاً عن ترجمة ابن السيد للفتح بن خاقان: (وقال في ترجمة العلامة الكبير الأستاذ... ما صورته: أخبرني أنه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية)، ثم يذكر القصيدة، ويرد ذكر المأمون في البيت نفسه بدلاً من القادر على هذه الصورة:

تــــراه يزهو إذ يحل بـــه الـــ ــــمأمـــون زهو الفتاة بالعقـــد

وقد ظننت بعد موازنة الروايتين أن المقرىء لم يتحرَّ الدقة في نقل ترجمة ابن السيد، فرجعت إلى النسخة المخطوطة، فتبين لي أن الرجل كان أميناً في النقل، وأن ما ورد في أزهار الرياض مطابق لِمَا ورد في المخطوط[٣].

وكان ابن السيد خلال إقامته بطليطلة على علاقة طيبة مع أبي الحسن راشد ابن العريف كاتب ذي النون[٤]، فقد كانت بينهما مراجعات شعرية تنبئ عن عميق الود وصدق الإخاء الذي يربط بينهما[٥].

ولم يكن للقادر اهتمام بالأدب ولا حَظٌ له[٦] فيه، وكان جباناً لا يعرف الحزم وسياسة الأمور، وقد دفعه طيشه وعدم تقديره الأمور حق قدرها إلى قتل وزيره أبي بكر الحديدي، كما تعرضت المدينة إبان حكمه إلى نكبة تعد من أقوى النكبات التي حلت بالأندلس في عهد أمراء الطوائف. ولا أستبعد أن النكبة التي ألمت بابن السيد

---

(١) قلائد العقيان ٢٢٢.
(٢) نفح الطيب ٦٤٣/١.
(٣) أزهار الرياض ١٠٧/٣، ترجمة ابن السيد ورقة ٤.
(٤) المغرب ٣٢/٢، خريدة القصر ١٦٤/٢.
(٥) أزهار الرياض ١١٣/٣، ١١٤، ١٣٢.
(٦) الذخيرة ق٤م ١١٦/١.

عام ٤٧٠هـ كانت خلال تلك الأحداث الدامية التي مرت بها المدينة.

ودخل ابن السيد شنتمرية إبان حكم أبي مروان عبد الملك بن رزين لها، وكان ابن رزين (رجلاً اتخذته البسالة قلباً، وضمت عليه شغافاً وخِلْباً، لا يعرف جُبناً ولا خَوراً، وكانت دولته موقف البيان، ومقذف الأعيان، تُرْضَعُ فيها للمكارم أخلاق)[١].

وكان (مع شرفه وأدبه متعسفاً على الشعراء، متعسراً بمطلوبهم من ميسور العطاء)[٢]. ويبدو أن إقامة ابن السيد قد امتدت في شنتمرية؛ لأن ابن رزين (رَفَعه أرفَع محلٍّ وأنزله منـــزلة أهل العَقْد والحَلِّ، وأطلعه في سمائه، وأقطعه ما شاء من نعمائه وأورده أصفى مناهل مائه وأحضره مع خواص ندمائه)[٣].

وكان ابن السيد خلال إقامته في شنتمرية على علاقة وطيدة مع أبي عيسى بن لبون -حاكم (مربيطر)[٤] الذي لم يدم حكمه لها طويلاً- فقد أخذها (ابن رزين من قبضته وأقعده بعد نهضته، وخدعه بالمحال، وأقطعه أنكد حال)[٥]. وقد مدح ابن السيد ابن لبون، فأكرمه وقربه[٦]، كما شارك ابن لبون أحزانه بوفاة أخيه، فرثاه بقصيدة مؤثرة.

ولسبب أجهله تنكر ابن رزين لابن السيد، فحاول استعطافه بقصيدة من رائق الشعر، نذكر منها قوله:

عسى عطفة ممن جفاني يعيدها فتُقْضَى لُباناتي ويدنو بعيدُها
فقد تُعْتِب الأيام بعد عتابها ويُمحى بوصل الغانيات صدودُها
فيا أيها المولى الذي أنا عبده وقِدْماً رجا طول الموالي عبيدُها
أَصِخْ نحو حر الشعر من عبد أنعُمٍ بدائعه مازال منك يُفيدها

(١) قلائد العقيان ٨٥
(٢) الحلة السيراء ٢/١١٠.
(٣) أزهار الرياض ٣/١٢٣.
(٤) المغرب ٢/٢٧٥.
(٥) قلائد العقيان ١١١.
(٦) أزهار الرياض ٣/١٢٠.

قوافٍ تروق السامعين كأنمـــا تحلى سجاياك الحسان قصيـــدها

إلا أن ابن رزين لم يُصْغِ لصريخه وتوسلاته، ففر إلى سرقسطة وهو على أسوأ حال[١].

وتسمى سرقسطة: المدينة البيضاء، وهي مدينة حسنة البنيان، واسعة الشوارع، كثيرة البساتين[٢]، وقد دخلها ابن السيد إبان حكم المستعين لها الذي استمر حكمه لسرقسطة خلال حكم المرابطين، فقد تركه يوسف بن تاشفين حاكماً عليها (حِجزاً بينه وبين النصارى)[٣].

ولا أدري كم طالت إقامة ابن السيد فيها، إلا أن أميرها لمـــّا عرف سوء حاله (ذكره مُعلماً به ومعرفاً وأحضره منوهاً له ومشرفاً)[٤] .وقد مدحه ابن السيد بقصيدة أوردها ابن خاقان.

المرحلة الثانيـة:

وتبدأ هذه المرحلة بعد دخول المرابطين إلى الأندلس (٤٨٤-٥٣٩هـــ). ويبدو أنه ببلنسية قضاها، والراجح أنه دخلها بعد الفتح المرابطي لها، فقد تعرضت المدينة قبل الفتح إلى هزة تعد من أقوى الهزات التي تعرضت لها دول الطوائف ونكبت نكبة لم تشهدها أية دويلة إبان حكم ابن الجحاف، فقد حاصرها مغامر نصراني اسمه: السيد الكبيطور (فهلك أكثر الناس جوعاً وأكلت الجلود والدواب)[٥] مما اضطر المدينة إلى التسليم له، فدخلها واستصفى أموال حاكمها، ثم أحرقه بالنار كما استصفى أموال الناس عامة، وجعلهم بالمحنة سواء.

وقد عزف ابن السيد في هذه المرحلة عن ولوج بلاطات ولاة المرابطين، كما أن الاستقرار والأمن الذي حظيت به الأندلس -بصورة عامة- وبلنسية -بصورة

---

(١) أزهار الرياض ١٢١/٣.

(٢) الروض المعطار٣١٧.

(٣) المغرب ٤٣٧/٢.

(٤) أزهار الرياض ١٢١/٣.

(٥) البيان المغرب ٣٣/٤.

خاصة- ساعده على التفرغ للتدريس[١] والبحث والتأليف.

ويبدو أنه زار إشبيلية في أخريات أيامه، فقد لقيه فيها تلميذه ابن بشكوال (ت٥٧٨هـــ)، فأخذ عنه.

وكان ابن السيد على علاقة طيبة بكاتب الأمير يوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هـــ)[٢] أبي عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال (٥٤٠هـــ)[٣] فقد كانت بينهما مراجعات شعرية[٤]، وقد نسبت لابن أبي الخصال المقامة التي تنسب أيضاً للفتح بن خاقان، إلا أنه تبرأ منها.

ولم ينجُ ابن السيد من حسد معاصريه، فقد اتهمه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلصة اللخمي البلنسي (ت٥٢١هـــ) بسرقة كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) من أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد (٤٦٠هـــ)، ويبدو أن المسئول عن هذه التهمه محمد بن عبد العزيز ويعرف بالباغي، وقد أفتى الفقهاء جميعاً بتأديبه وإسقاط شهادته.

وقد خطَّأه أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري (٥٤٣هـــ) في شرحه لشعر أبي العلاء، فرد عليه ابن السيد، وأظهر له بطلان دعواه.

وفاته:

يبدو أن الوهن والمرض عرف طريقه إلى جسد ابن السيد: فقد نجاه الله من مرض ظن أنه لا نجاة له منه، فنظم خلال محنته بالمرض قصيدة تمنى فيها العودة إلى أيام الشباب ليستغفر ربه، قال:

وددتُ وهل يُعطى امرؤ ما يودُّه ... لـــو أن زمانـــاً فانـــياً يســـترده

لأمحو أطراساً مُلين مـــن الخنـــا ... ليالي قلبي غائـــب عنـــه رشـــده

---

(١) أشار أغلب من ترجم لابن السيد بجودته في تدريس العلوم وإقرائها ينظر على سبيل المثال: الصلة ١/٢٩٢، وفيات الأعيان ٢/٢٨٢.

(٢) البيان المغرب ٤/٨٤.

(٣) المعجب ١٤٩-١٥٠،المغرب ٢/٦٦-٦٧.

(٤) أزهار الرياض ٣/١٣٣- ١٣٤.

وما ذاك حباً بالحياة وإنني إلى منهل حُتِم على الخلق ورده
ولكن نفس المـرء تُخدَع بالمنى وإن لم يكن فيهـا فتيل يرده[١]

ثم يدركه أجله المحتوم في منتصف رجب من سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، ذكر ذلك تلميذه ابن بشكوال وتابعه القفطي[٢]، وابن العماد[٣]، واكتفى الضبي[٤] والسيوطي[٥] بذكر سنة وفاته وشهرها، أما ابن فرحون[٦] والفيروز آبادي فقد اكتفيا بذكر سنة وفاته.

ثقافته وشيوخه:

يعد عصر أمراء الطوائف من أكثر عصور الحضارة الإسلامية في الأندلس تقدماً وازدهاراً في العلوم والآداب، فقد وصلت في هذا الجانب إلى أقصى درجات التطور والرقي حتى عد عصر الإمارة وعصر الخلافة (فترة إعداد طويلة تجمعت خلالها مواد وافرة غزيرة في كل فرع من فروع الدراسات)[٧]، وقد أسهمت عدة عوامل في دفع حركة العلوم والآداب لإيصالها إلى ما وصلت إليه، فتعدد مراكز الحكم، واختلاف أهواء الحكام وميولهم[٨]، وانتشار علماء قرطبة وتفرق مجموعات الكتب في شتى أنحاء الأندلس،والحرية الاجتماعية والدينية التي أباحها أمراء الطوائف[٩]، كلها عوامل ساعدت على النهضة الفكرية التي ظهرت بوضوح في هذه المرحلة والكمال التي تلتها، فإن فنوناً متعددة وصلت درجات رفيعة من التطور

(١) رسائل وقصائد ضمن المجموع الذي يحتوي على ترجمة ابن السيد ورقة ٨٤.
(٢) إنباه الرواة ١٤٣/٢.
(٣) شذرات الذهب ٦٥/٤.
(٤) بغية الملتمس٣٣٧.
(٥) بغية الوعاة ٥٦/٢.
(٦) الديباج المذهب ١٤١.
(٧) تاريخ الفكر الأندلسي آنخل جنثالث ١٣.
(٨) تاريخ الأدب الأندلسي ٧١.
(٩) تاريخ الفكر الأندلسي ١٣.

والكمال خلال حكم المرابطين للأندلس[1].

في هذه المرحلة عاش ابن السيد. وقد أسهمت عوامل كثيرة في تزويده بأنواع المعرفة، فوسعت مداركه، ووضعته في مصاف كبار علماء العربية، لا في عصره فحسب ولكن في كل عصور الحضارة العربية الإسلامية، فالتعليم المبكر على أيدي شيوخ أجلاء، والحرص على استيعاب جهود من سبقه من العلماء، والرحلة الطويلة والاستعداد الفطري للتلقي، والتجارب التي صادفته، والاختلاط في بلاطات أمراء الطوائف بصفوة علماء الأندلس، مع حدب على الدرس والتأليف، كلها عوامل مكنته من الوصول إلى ما وصل إليه، ودفعت في النهاية كل من ترجم له أن ينعته بأحسن الصفات، ويلقبه بكل ألقاب العلماء والمفكرين.

ولعل من أهم مصادر ثقافة ابن السيد تلك الثروة العلمية التي تلقاها على يد شيوخه، فما كانت تتاح له هذه المكانة العلمية لو لم يتلقَّ تعليماً يعتمد فيه على جهود من سبقه من الرعيل الأول، وقد حفظت لنا كتب التراجم وكتب ابن السيد نفراً منهم، وهذا العدد الذي أحصيته ينبئنا عن مقدار المعرفة التي تلقاها عن أساتذته التي تعد بداية لتنشئة عالم كابن السيد:

١- أبو الحسن علي بن السيد البطليوسي، يُعرف بالخيطال، كان مقدماً في علم اللغة وحفظها وضبطها، روى عن أبي بكر بن غراب، مات معتقلاً بقلعة رباح في نحو سنة ثمانين وأربعمائة[2]، روى عنه ابن السيد كتاب المبرز في اللغة لأبي عبد الله محمد بن يونس الحجازي، ونوادر ابن مقسم لأبي بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم المقرئ العطار، والأجناس لأبي نصر أحمد بن حاتم غلام الأصمعي، والقلب والإبدال، والأصوات، والنبات، والفرق، وخلق الإنسان، ومعاني الأبيات والأضداد لابن السكيت، واختيارات المفضل، والأصمعي، وأراجيز العجاج، وسقط الزند، والضوء لأبي العلاء.

٢- أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي الأندلسي (ت٤٩٤هـ)، روى عن

---

(١) المصدر نفسه ٢٢.

(٢) الصلة ٢٩٢/١، ٤٥١/٢، إنباه الرواة ٣٨٤/٢، الديباج المذهب ١٤٠.

أبي بكر محمد بن الغراب، ومكي بن أبي طالب، كان من أهل الآداب والمعرفة باللغات، له شرح للمعلقات، ولابن السيد رواية عنه.

٣- أبو سعيد الوراق ذكره ابن بشكوال وابن فرحون[١] وابن خير[٢]، روى عنه ابن السيد مقاتل الفرسان، واختيارات الأصمعي.

كما تتلمذ ابن السيد لأبي علي الغساني[٣]، وأبي الفضل البغدادي[٤]، وأبي نصر هارون بن موسى وعبد الدائم القيرواني[٥].

تلاميذه:

إن أي علم من الأعلام لابد أن يمر في أثناء حياته العلمية بمرحلتين؛ الأولى يتعلم فيها فيأخذ عن أعلام عصره، ثم بعد نضجه تبدأ المرحلة الثانية من حياته، وهي مرحلة العطاء.

والذي أريد أن أوضحه من خلال التعريف ببعض تلامذة ابن السيد أن صاحبنا لم يكن علماً عابراً في تاريخ الثقافة العربية، ولكنه كان خلاصة لكل ثقافات العصر الذي نشأ فيه.

وقد تجشم بعض طلابه عناء السفر من أجل لقائه وقراءة بعض مؤلفاته عليه، ولا شك أن الرجل كان صاحب منهج علمي سليم وثق به طلابه، وكان ذا علم لم يبخل به على أحد.

وتلاميذ ابن السيد أعلام لهم دورهم في حركة الثقافة العربية أيضاً، وكان منهم أوفياء لأستاذهم غاية الوفاء، فكتب أحدهم ترجمته، وأكمل آخر كتاباً من كتبه لم يستطع إكماله بسبب وفاته، وروى بعضهم مؤلفاته، ومن تلامذته:

١- الفتح بن محمد عبيد الله القيسي الكاتب أبو نصر سمع من أبي محمد كتاب

---

(١) الديباج المذهب ١٤١.

(٢) فهرسة ابن خير ٤١٢.

(٣) الصلة ٢٩١/١.

(٤) الانتصار ممن عدل عن الاستبصار ٢١، ٤٥، فهرسة ابن خير ٤١٢.

(٥) الانتصار ٢٣.

الانتصار سنة ست عشرة وخمسمائة، كان قائماً على الآداب مترسلاً بليغاً ومن تآليفه: كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس، وكتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان، وترجمة ابن السيد البطليوسي، توفي ذبيحاً بفندق لبيت من حضرة مراكش، ودفن بباب الدباغين سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (المعجم ٣١٣).

٢- الفقيه المحدث عبد الملك بن محمد بن هشام بن سعد القيسي أبو الحسين، يعرف بابن الطلا، توفي سنة ٥٥١هـ، وروى من كتب ابن السيد كتاب الاقتضاب، وكتاب إصلاح الخلل، ورسالته لابن خلصة وشعره، وشرحه للسقط، وعلل الحديث، والفرق بين الأحرف الخمسة، وفهرسة ابن السيد، والمثلث، وروى عنه كتاب المبرز في اللغة، ونوادر ابن مقسم، وكتاب الأجناس، وكتاب القلب والإبدال، والأصوات، والفرق، وخلق الإنسان، والنبات، والأضداد، ومقاتل الفرسان، واختيارات المفضل والأصمعي، وأراجيز العجاج، وسقط الزند، والضوء (بغية الملتمس ٣٧٤ ومعجم ابن الأبار ٢٦٢، ويُنظر في مروياته عن ابن السيد: فهرسة ابن خير٤١٢، ٣٩١، ٣٩٢).

٣- الفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن عبد الرحمن العبدري المعروف بابن موجوال، من أهل بلنسية، توفي بإشبيلية سنة ٥٦٦هـ، روى من كتب ابن السيد: كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، والتنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في عقائدهم ومذاهبهم، والكلام في الاسم والمسمى، ورده على القاضي أبي بكر بن العربي، وشرح سقط الزند، وعلل الحديث، والفرق بين الأحرف الخمسة، وفهرسة ابن السيد، والمثلث، وغيرها (معجم ابن الأبار ٢٦٦ -٢٦٧، والتكملة لكتاب الصلة ٢/٨٤٥-٨٤٧ وينظر في مروياته عن ابن السيد: فهرسة ابن خير٢٠٤، ٢٥٨، ٣١٦، ٣٢٦، ٣٤٤، ٤٣٣).

٤- أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير الأنصاري الأستاذ، من أهل بلنسية، كان على تقدمه في العربية وتفننه في الآداب منسوباً إلى غفلة تغلب عليه، له رسائل بديعة منها: كتاب الحلل في شرح الجمل، ابتدأه من حيث انتهى البطليوسي وجمع طرر أبي الوليد الوقشي، وأبي محمد بن السيد علي الكامل إلى زيادات من قبلـــه وسماه القرط، توفي بإشبيلية سنة ٥٧١هـ (المقتضب لابن الأبار

٥١، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة س٥م ١/١٨٧-١٩١).

وقد أحصى الزميل يعقوب الفلاحي أربعة وسبعين علماً من تلاميذ ابن السيد، فترجم لهم، وفاته ذكر آخرين، أكتفي بذكر أسمائهم مع ذكر المصادر التي ذكرت تلمذتهم له، وهم:

١- أحمد بن أبي المطرف من أهل بلنسية، يكنى أبا بكر (التكملة لكتاب الصلة ١/٨٥-٨٦، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة س١ م١/١٩٤).

٢- أحمد بن محمد بن أحمد بن خضر (التكملة لكتاب الصلة ١/٤٨-١٤٩).

٣- أحمد بن محمد بن علي (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة س١ م٢/ ٤٣٩-٤٤٧).

٤- أحمد بن محمد بن محمد (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة س١م٢/ ٤٨١-٤٨٣).

٥- أحمد بن محمد بن يوسف (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة س١م ٢/٥٢٩).

٦- عبد الله بن إبراهيم بن سعيد (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة س ٤/١٧٦).

٧- عمر بن أبي الحسن القيسي (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة س٥ م٢/٤٦٧-٤٦٩).

٨- محمد بن عبيد الله الخشني (التكملة لكتاب الصلة ٢/٥٢٥-٥٢٦).

مكانته الفكرية:

يعد ابن السيد من مشاهير علماء العربية، حظيت جهوده في التأليف باهتمام طائفة كبيرة من العلماء والدارسين -القدامى منهم والمحدثين- بسبب الإضافات الجادة والإسهامات الفكرية العميقة التي أثرت الفكر العربي الإسلامي في شتى جوانب المعرفة، فقد وصفها الفتح بن خاقان بقوله: (وتواليفه في المشروحات وغيرها صنوف وهي اليوم في الآذان شنوف)[1]، وقال فيها ابن بشكوال: (ألف كتباً

(١) قلائد العقيان ٢٢٢.

حساناً)، وقال الضبي: (وتواليفه دالة على رسوخه، واتساع نفوذه، وامتداد باعه)[١]، وقال ابن خلكان: (ألف كتباً نافعة ممتعة)[٢]، وقال أبو الفدا: (صاحب المصنفات في اللغة وغيرها[٣] وقال الفيروز آبادي: (له التصانيف الجليلة)[٤].

وقد نبه أستاذنا الدكتور شوقي ضيف على بعض آرائه التي تفرد بها في النحو[٥]، كما نبه أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي على أهمية كتابه: (المسائل والأجوبة)، فحقق بعض مسائله ونشرها في كتابه (نصوص ودراسات عربية وأفريقية) وعرض الدكتور أبير مطلق بعض مؤلفات ابن السيد اللغوية وأشاد بمنزلته العلمية بين علماء اللغة في الأندلس[٦].

وقد تعددت جوانب المعرفة عند ابن السيد، فألف مؤلفات قيمة في اللغة والنحو والقراءات والأدب والفلسفة، ودارت حول مؤلفاته دراسات جادة، أذكر منها على سبيل المثال دراسة خالد محسن الموسومة: (ابن السيد البطليوسي العالم اللغوي) ودراسة يعقوب الفالحي الموسومة: (ابن السيد البطليوسي وجهوده في اللغة).

وقد (أعاد المستشرق آسين بلاثيوس اكتشاف هذا الفيلسوف بعد أن ظل يعتبر في عداد النحاة واللغويين زمناً طويلاً بسبب هفوة وقع بها مؤرخو السير)[٧] فقد نبه هذا المستشرق على أهمية الجانب الفلسفي في مؤلفات ابن السيد إذ يعد كتابه (الحدائق) (أول محاولة للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني)[٨]. ولعل أول إشارة إلى مكانة ابن السيد الفلسفية ما ذكره ابن خاقان:(وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمة، وتعرف في طرقها المستقيمة ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع،

---

(١) بغية الملتمس ٣٣٧.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٢٨٢.

(٣) البداية والنهاية ١٢/٩٨.

(٤) البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١٠٢.

(٥) المدارس النحوية ٢٩٤-٢٩٥.

(٦) الحركة اللغوية في الأندلس ٣١٨-٣١٩، ٣٣٨-٣٥١.

(٧) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٣٤٩.

(٨)تاريخ الفكر الأندلسي ٣٣٥.

ولا نَكَّب عن أصل للسنة ولا فرع)[١].

وكتاب الحدائق يرد فيه ابن السيد على سبعة أسئلة سئل عنها يذكرها في المقدمة[٢]. وهي أسئلة ضيقة المسالك، وكثيراً ما تقضي بسالكها إلى المهالك وقد قسم كتابه على سبعة أبواب يرد في كل باب على سؤال من تلك الأسئلة. فالباب الأول: في شرح قولهم: إن ترتيب الموجودات عن السبب الأول يحكي دائرة وهمية مرجعها إلى مبدئها في صورة الإنسان، والباب الثاني في شرح قولهم: إن علم الإنسان يحكي دائرة وهمية وإن ذاته تبلغ بعد مماته إلى حيث يبلغ علمه في حياته، والباب الثالث في شرح قولهم: إن قوة العقل الجزئي أن يتصور بصورة العقل الكلي والباب الرابع في شرح قولهم: إن العدد دائرة وهمية، والباب الخامس في شرح قولهم: إن صفات الباري تعالى لا يصح أن يوصف بها الأعلى وجه السلب، والباب السادس: في شرح قولهم: إن الباري تعالى لا يعرف إلا نفسه، والباب السابع: في إقامة البرهان على أن النفس الناطقة حية بعد مفارقة الجسد. وقد وردت في الكتاب نقول عن كتابي طيماوس، وما بعد الطبيعة لأفلاطون، كما تردد اسم أرسطاطاليس، وسقراط، وأفلاطون في غير موضع من الكتاب.

وابن السيد يتقصد ركوب الصعب ليدلل على مقدرة فذة وثقافة واسعة وذكاء وقاد، فقد لمس حاجة الناس إلى مؤلف يبين لهم أسباب الخلاف بين المسلمين التي أدت إلى ظهور المذاهب الإسلامية، فألف كتابه (الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم). وقد أنصف ابن السيد كتابه بوصفه (قليل النظير، نافع للجمهور، عجيب المنـــزع، غريب المقطع، يشبه المخترع وإن كان غير مخترع)[٣]. وذكر أن الخلاف يعود إلى مدى معرفة الفقهاء باللغة العربية ودلالاتها، وإنه يعرض من ثمانية أوجه؛ الأول منها: اشتراك الألفاظ والمعاني والثاني: الحقيقة والمجاز، الثالث: الإفراد والتركيب، الرابع: الخصوص

(١) أزهار الرياض ٣/١٠٦.

(٢) الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة ٧.

(٣) الإنصاف ٢١.

والعموم، الخامس: الرواية والنقل، السادس: الاجتهاد فيما لا نص فيه، السابع: الناسخ والمنسوخ، الثامن: الإباحة والتوسيع.

والكتاب (يرتبط بالأصول ومسائل الفقه، كما يرتبط باللغة وجوانب الأدب)[١]، (وقد أكثر المؤلف من الإشارات والأمثلة المتنوعة من مسائل الفقه وقضايا الحديث والكلام والفلسفة واللغة، لا على سبيل التحليل والسرد ولكن على سبيل التمثيل والتدليل)[٢].

وكما حاز ابن السيد ثقة معاصريه وطلابه تعرضاً لامتحان بعضهم لعلمه، فكان يُسأل أسئلة للاستفهام أو للامتحان فيجيب عنها، وقد جمع أجوبتها، وألف منها كتاباً سماه (المسائل والأجوبة)[٣]. قد احتوى الكتاب على مسائل متعددة في النحو والصرف واللغة والتفسير والقراءات والحديث والفلسفة والمنطق والعروض[٤]، ولم تقتصر أجوبته (على ما روته كتب الأقدمين بشتى العلوم، إنما أحاط أجوبته بكل أسباب المعرفة للوصول إلى الحقيقة وإثباتها)[٥].

والبطليوسي لا يؤلف كتبه اعتباطاً، وإنما يضع نصب عينيه حاجة الناس إلى ما يؤلفه ومدى استفادتهم منه كما صرَّح في مقدمة أغلب مؤلفاته، وقد لمس ابن السيد كثرة أخطاء الخواص والعوام في حروف معينة هي: (الظاء والضاد والذال والسين والصاد)[٦]، فألف كتابه الفرق بين الأحرف الخمسة، وقسمه على خمسة أبواب: (أولها: باب الظاء والضاد والذال، والثاني: باب الظاء والضاد، والثالث: باب الظاء والذال، والرابع: باب الضاد والذال، والخامس: باب الصاد والسين). والكتاب ليس تأليفاً معجمياً يعتمد على حصر الألفاظ التي في بنيتها أحد هذه الحروف فحسب إنما

---

(١) المسائل والأجوبة (الدراسة) ١٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المسائل والأجوبة٣.

(٤) المسائل والأجوبة (الدراسة) ١٧٣.

(٥) المصدر نفسه٥٣ .

(٦) الفرق بين الأحرف الخمسة ٢.

هو حصر مبني على فهم خاص للنظائر قائم على ما اتفق لفظه واختلف معناه، وما اتفق فيه اللفظ والمعنى، ثم ذكر ما تشترك فيه هذه الأحرف مع بعضها وما ورد في الحرف الواحد مما لا شركة له مع الآخر... وكأن ابن السيد حصر ما ورد من الألفاظ في حروف المعجم وتقسيمها على طوائف من الحروف يكون الجامع بينها اعتباراً صوتياً يتمثل في التشابه أو التقارب في المخارج والصفات.

وقد اهتم ابن السيد ببعض مؤلفات المشرق، فألف شروحاً عليها، ككتاب (الجمل) للزجاجي (ت ٣٣٩هـــ)، وكتاب (الجمل) لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـــ). وأولى شعر أبي العلاء عناية خاصة، ويعد شرحه (لسقط الزند) (أقوى الشروح وأوفاها)[١]، فاق به شرح أبي العلاء المسمى (ضوء السقط)[٢]. وكتاب (سقط الزند) من أشهر كتب أبي العلاء حظي باهتمام طائفة من الباحثين وقد أحس ابن السيد أن بالكتاب حاجة إلى إعادة شرح؛ لأن أبا العلاء لم يستوفِ جميع معانيه[٣]، كما أن أبا العلاء لم يسلك في كتابه (سقط الزند) مسلك الشعراء، وإنما (ضمنه نكتاً من النحل والآراء، وأراد أن يُرِي معرفته بالأخبار والأنساب وتصرفه في جميع أنواع الأدب، فأكثر فيه الغريب والبديع، ومزج المطبوع بالمصنوع فتعددت ألفاظه، وبعدت أغراضه)[٤]، وقد ضم ابن السيد لشعر السقط طائفة من شعر أبي العلاء بعضها من لزوم ما لا يلزم، كما انفرد بترتيبه على حروف المعجم، ويتصف شرحه (بكثرة التعرض للتحقيقات اللغوية والمسائل النحوية)[٥].

ومن كتب المشرق التي اهتم بها ابن السيد وأولاها عنايته كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـــ)، فألف كتاباً في شرحه يعد من أهم شروح

---

(١) شروح سقط الزند (المقدمة) هــ.

(٢) وفيات الأعيان٢/٢٨٢، والبداية والنهاية ١٢/٩٨،وكشف الظنون ٢/٩٩٢.

(٣) شروح سقط الزند ١٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه (مقدمة المحققين)د. هـــ.

(أدب الكاتب)[١]، دلل فيه على ثقافة واسعة وعلم غزير، وعالج فيه موضوعات تتعلق بمعارف مختلفة سماه (الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب).

قسم شرحه على ثلاثة أجزاء؛ تناول في الجزء الأول مقدمة ابن قتيبة فشرحها، ثم عدد أصناف الكُتَّاب ومهام كل واحد منهم، مع ذكر الآلات التي لا غنى لهم عن معرفتها[٢] وذكر في الجزء الثاني هفواتٍ وأغلاطاً وردت في الكتاب قسمها أربعة أقسام؛ (القسم الأول منها: مواضع غلطَ فيها -يعني ابن قتيبة- فأنبه على غلطه، والقسم الثاني أشياء اضطرب فيها كلامه، فأجاز في موضع من كتابه ما منع فيه في آخر، والقسم الثالث: أشياء جعلها من لحن العامة، وعَول في ذلك على ما رواه أبو حاتم عن الأصمعي وأجازها غير الأصمعي من اللغويين كابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني، ويونس، وأبي زيد، وغيرهم، وكان ينبغي له أن يقول: إن ما ذكره هو المختار والأفصح، أو يقول: هذا قول فلان وأن لا يجحد شيئاً، وهو جائز من أجل إنكار بعض اللغويين له فيقول: ذلك رأي غير صحيح ومذهب ليس بسديد. والقسم الرابع: مواضع وقعت غلطاً في رواية أبي علي البغدادي المنقولة إلينا، فلا أعلم أهي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه)[٣]، أما الجزء الثالث من الكتاب فإنه شرح لمشكل (إعراب أبيات هذا الكتاب ومعانيها وذكر ما يحضرني من أسماء قائليها، وغرضي أن أقرن بكل بيت منها ما يتصل به من الشعر من قبله أو من بعده إلا أبياتاً يسيرة لم أعلم قائلها لم أحفظ الأشعار التي وقعت فيها، وفي معرفة ما يتصل بالشاهد ما يجلو معناه ويعرب عن فحواه، وهو بذكره ما قبل الشاهد من الشعر وما بعده يستطيع تحديد المعنى الصحيح؛ فإن (كثيراً من المفسرين للأبيات المستشهد بها قد غلطوا في معانيها حين لم يعلموا الأشعار التي وقعت فيها؛ لأن البيت إذا انفرد احتمل تأويلات كثيرة)[٤].

---

(١) ابن قتيبة لعبد الحميد سند الجندي ١٥٢.

(٢) الاقتضاب ١/١٠٥.

(٣) الاقتضاب ١٠٦.

(٤) الاقتضاب ١٠٦.

آثـاره:

ألمَّ ابن السيد بألوان الثقافة العربية الإسلامية، ووقف على بعضها وقوفاً طيباً، وقد رأيت أن أقسم آثاره على ثلاثة أقسام:

(أ) آثاره المطبوعة:

١- الاسم والمسمى:

حقق هذا الكتاب أحمد فاروق، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٢ م٤٧ ص٣٣٠-٣٤٣.

٢- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب:

-طبع بعناية عبد الله البستاني في المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩٠١م.

-أعادت دار الجيل ببيروت نشر هذه الطبعة (بالأوفسيت) سنة ١٩٧٣.

-أحصى علي عبد الحسين عشر نسخ مخطوطة للكتاب، وثلاث نسخ من جزئه الثالث[١].

٣- الانتصار ممن عدل عن الاستبصار:

حققه الدكتور حامد عبد المجيد، وراجعه إبراهيم الإبياري، وطُبع بالمطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٥٥م.

شك محمد سعيد الحافظ في التسمية التي وضعها المحقق للكتاب[٢]، وذكر أربعة أسباب تدعوه للشك فيها، هي:

(أ) لم يرد هذا الاسم في واحدة من النسخ الست التي اعتمدها المحقق في تحقيق الكتاب.

(ب) ذكر المحقق الكتاب في مورد تعداده لمؤلفات ابن السيد باسم (رد ابن السيد على اعتراضات ابن عربي في شرح شعر المعري).

(ج) إن ابن خير الإشبيلي ذكر الكتاب في فهرسته باسم (جزء فيه رد أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي على القاضي أبي بكر بن عربي فيما رده

---

(١) الفرق بين الأحرف الخمسة (الدراسة) ٣٥.

(٢) المسائل والأجوبة (الدراسة) ص٢٦.

عليه في شرحه لشعر المعري)[١].

(د) إن خالد محسن إسماعيل ذكر في كتابه (ابن السيد البطليوسي العالم اللغوي) -في معرض كلامه على نسخ الكتاب- نسخة في المسجد الأحمدي بطنطا برقم خ٧٣ ع١٣٩٤[٢] عنوانها: (رسالة على إجابات البطليوسي)، ولم يقترح محمد سعيد عنواناً جديداً له، إلا أني وجدت في كتاب المعجم لابن الأبار في مورد ترجمته للفتح بن محمد بن عبد الله القيسي المتوفى سنة ٥٢٨هـــ ما يشير إلى أن للبطليوسي كتاباً بعنوان (الانتصار)، قال: (... وسمع من أبي محمد البطليوسي كتاب الانتصار من تأليفه سنة ٥١٦هــ)[٣].

٤-الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة:

-طبع هذا الكتاب مرتين: الأولى سنة ١٩٤٠بتحقيق آسين بلاثيوس وقد نشره مع ترجمة له بالأسبانية.[٤]

والثانية في القاهرة سنة ١٩٤٦ بتصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ووقف على طبعها السيد عزة العطار الحسيني.

٦-الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل:

-طبع هذا الكتاب مرتين: الأولى: بتحقيق وتقديم سعيد عبد الكريم، نال به شهادة الماجستير من كلية الآداب-جامعة بغداد سنة ١٩٧٣م، وقامت وزارة الثقافة والإعلام العراقية بنشره سنة ١٩٨٠.

والثانية: بتحقيق صلاح النشرتي، نال شهادة الدكتوراه من كلية اللغة العربية-جامعة الأزهر سنة ١٩٧٤م[٥] .

---

(١) المسائل والأجوبة (الدراسة) وانظر أيضاً: فهرسة ابن خير ص٤١٩.

(٢) المسائل والأجوبة (الدراسة)٢٧: وانظر أيضاً: ابن السيد البطليوسي العالم اللغوي ص٤٨.

(٣) ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٤) تاريخ الأندلس ص٣٣٤.

(٥) ابن السيد البطليوسي وجهوده في اللغة ص١٧٨.

٧-رسالة كتب بها على قبر النبي وبعث معها بشعر إلى مكة:

نشر الرسالة يعقوب الفلاحي في كتابه (ابن السيد البطليوسي وجهوده في اللغة) ص١٨٥-١٨٦، وذكر أنه عثر عليها في كتاب الذخيرة لابن بسام[(١)]. أما الشعر فهو قصيدة أوردها ابن خاقان في كتابه قلائد العقيان ص٢٣٠-٢٣١.

وعندي نسخة من الرسالة والشعر ضمن مجموع يحتوي على ترجمة ابن السيد للفتح بن خاقان المنشورة في أزهار الرياض[(٢)]، مصورة عن نسخة محفوظة في مكتبة الاسكريال بإسبانيا.

٨-شرح سقط الزند:

- طبع هذا الكتاب مرتين: الأولى بتبريز سنة ١٢٧٦هـ[(٣)]. والثانية: سنة ١٩٤٠ بمطبعة دار الكتب المصرية مع شرح التبريزي والخوارزمي، وصدرت الشروح في خمسة مجلدات بعنوان (شروح سقط الزند)، وقامت بتحقيق الشروح لجنة إحياء آثار أبي العلاء، أشرف عليها الدكتور طه حسين، وشارك في التحقيق الأستاذ مصطفى السقا، والأستاذ عبد الرحيم محمود، والأستاذ عبد السلام هارون، والأستاذ إبراهيم الإبياري، والأستاذ حامد عبد المجيد.

أعادت نشر هذه الطبعة (بالأوفسيت) الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٤م.

٩-شرح المختار من لزوميات أبي العلاء:

وهو شرح للقصائد التي اختارها البطليوسي من اللزوميات وضمها في شرح سقط الزند حين أعاد ترتيبه على حروف الهجاء[(٤)].

طُبع القسم الأول منه بمطبعة دار الكتب بمصر سنة ١٩٧٠م بتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد.

---

(١) ابن السيد البطليوسي وجهوده في اللغة ص١٨٥.

(٢) ٣/١٠٣ - ١٣٧.

(٣) بروكلمان (الترجمة العربية) ٥/٤١.

(٤) شرح المختار من لزوميات أبي العلاء (المقدمة) ص٢٩-٣٠.

١٠-الفرق بين الأحرف الخمسة:

حققه وقدم له علي عبد الحسين زوين، ونال به شهادة الماجستير من كلية الآداب-جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦م.

١١-المسائل والأجوبة:

حقق الدكتور إبراهيم السامرائي بعض مسائله ونشرها في كتابه: نصوص ودراسات عربية وأفريقية ص١٤٠-١٨٩.

حققه وقدم له محمد سعيد، ونال به شهادة الدكتوراه من كلية الآداب-جامعة القاهرة سنة ١٩٧٧هـــ، ومن الجدير بالذكر أن محمد سعيد ذكر أن كتاب (الأسئلة) الذي عزاه بروكلمان[1] لابن السيد، وأشار إلى وجود نسخة منه في مكتبة القرويين بفاس برقم ١٢٤٠ هو كتاب المسائل والأجوبة نفسه.

(ب)آثاره المخطوطة:

١- أرجوزة في السماجلة:

١- باسم الرجل وابنه وبلده وقبيلته، لم يذكره أحد ممن ترجم له وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية برقم ٤٤٢ أدب تيمور.

٢-حكاية:

لم يذكره أحد ممن ترجم له، وتوجد نسخة منه في مكتبة جستر بيتي بدبلن ضمن مجموع برقم ٣١٩٠ ذكرها كوركيس عواد ضمن ذخائر التراث العربي في مكتبة جستر بيتي. مجلة المورد، المجلد الأول ج١-٢ص١٥٨.

٣-وباسم :(الحلل في شرح أبيات الجمل):

وهو كتابنا هذا، وبهذا الاسم ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٨٢/٢، واليافعي في مرآة الجنان ٢٢٨/٣، والفيروزآبادي في البلغة ١١٤، والسيوطي في بغية الوعاة٥٦/٢، والبغدادي في الخزانة٩/١، ١٩١/٢، ونقل المقري في أزهار الرياض ١٠٢/٣ عن السيوطي، وبالاسم نفسه ذكره ابن العماد في شذرات الذهب ٦٥/٤ وحاجي خليفة في كشف الظنون ٦٠٣/١، والخونساري في روضات الجنات١٧٣/١.

(١) بروكلمان (الملحق) ٧٥٨/١.

أحصى خالد محسن إسماعيل ثماني نسخ مخطوطة للكتاب.

٤-طرر على الكامل للمبرد:

ذكره المراكشي في الذيل والتكملـــة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس ١٨٧/١-١٩١ في ترجمة علي بن إبراهيم الأنصاري تلميذ ابن السيد، وذكر أن علياً قد جمع طرر ابن السيد وطرر الوقشي مع زيادات من قبله عليهما وسماه (القرط) وبالاسم نفسه ورد في البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص١٤٣، وعده البغدادي من مصادره في الخزانة، وسماه في مواضع: شرح الكامل، وسماه في موضعين حاشية على الكامل ولم يذكر له اسماً في مواضع أخر. وكان يكتفي بقوله: (قال ابن السيد فيما كتبه على الكامل).

توجد نسخة منه في خزانة الأستاذ عبد العزيز الميمني[1].

٥-المسائل:

لم يذكره بهذا الاسم من ترجم له وتوجد نسخة منه ضمن مجموع في مكتبة جستر بيتي بدبلن برقم ٣١٩٠، وذكرها كوركيس عواد ضمن ذخائر التراث في مكتبة جستر بيتي.

المورد المجلد الأول ج١-٢، ص١٥٨.

ولعله كتاب المسائل المنثورة في النحو الذي ورد ذكره في بغية الوعاة للسيوطي٢/٥٦، وهدية العارفين للبغدادي١/٤٥٤.

(ج) آثاره المفقودة:

١- أبيات المعاني:

انفرد بذكره البغدادي وعده من مصادر كتابه خزانة الأدب ١/٩ ونقل منه في١/ ٤٢٦، ٢/ ١٥٠، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣/٢٦٩، ٣٣٨، ٣٦٠، ٣٩٤، ٤/ ١٧، ٣٨، ٤١.

شك خالد محسن إسماعيل بنسبة الكتاب لابن السيد وزعم أنه لابن السكيت

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٣٥/٥٤٣ الهامش، وقد أعلمني الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، أن الأستاذ ظهور أحمد ظهور رئيس قسم اللغة العربية في جامعة البنجاب، حقق تقريرات ابن السيد والوقشي ونال بها درجة الدكتوراه.

لأن له كتاباً بهذا الاسم رواه ابن خير عن أحد تلامذة ابن السيد[١] .والحقيقة أن شكه لم يكن في موضعه لأن البغدادي صرح باعتماده على كتابي ابن السيد وابن السكيت في الخزانة ١/٩،كما أن ما رواه ابن خير عن أحد تلامذة ابن السيد هو كتاب معاني الأبيات لابن السكيت[٢].

٢- إثبات النبوات:

انفرد بذكره الفيروزآبادي في كتابه البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١١٤.

٣- الأنساب:

انفرد بذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١/١٨٠.

٤- التذكرة الأدبية:

انفرد بذكره القفطي في إنباه الرواة ٢/١٤٢.

٥- جزء فيه علل الحديث:

انفرد بذكره ابن خير في فهرسته ٢٠٤.

٦- الدوائر:

ذكر هنري كوربان أن كتاب الدوائر (من بين كتبه الأحد عشر التي أشار إليها آسين بلاثيوس)[٣]، وقال: إن الكتاب (يؤهل مؤلفه للدخول في مصاف الفلاسفة)[٤] وقد قام بترجمة كتاب الدوائر إلى العبرية الفليسوف اليهودي موسى بن تيبون.

٧- شرح أبيات المعاني:

نقل عنه البغدادي في الخزانة ٢/٣٤٩ ولعله أبيات المعاني السالف الذكر، أو شرح له، أو شرح لأبيات المعاني لابن السكيت.

٨- شرح إصلاح المنطق:

انفرد بذكره والنقل منه البغدادي في الخزانة ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٦٣،٣٠٠،٢٩٩

---

(١) ابن السيد البطليوسي العالم اللغوي ص٧١.

(٢) فهرسة ابن خير ٣٨٢.

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٣٥٠.

(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٣٥٠.

٩- شرح الجمل في النحو:

عده حاجي خليفة في كشف الظنون ٦٠٢/٢ ضمن شروح جمل عبد القاهر الجرجاني، ويبدو أن شرح البطليوسي على الجمل الذي أشار إليه المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة السفر الخامس ص١٨٧/١-١٩١ هو شرح على جمل عبد القاهر، لأن شرحه لجمل الزجاجي وصلنا كاملاً كما سبق تبيان ذلك(١)، وقد أنكر خالد محسن إسماعيل أن يكون لابن السيد شرح على جمل عبد القاهر دون ذكر أي مسوغ(٢).

١٠- شرح ديوان المتنبي:

ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٨٢/٢ قال: (سمعت أن له شرح ديوان المتنبي ولم أقف عليه، وقيل: إنه لم يخرج من المغرب). ونقل منه حاجي خليفة في كشف الظنون ٨١٢/١. وذكره السيوطي في بغية الوعاة ٥٦/٢، ونقل منه أيضاً المقري في أزهار الرياض ١٠٢/٣، وذكره البغدادي في هدية العارفين ٤٥٤/١ والخونساري في روضات الجنات ٤٨/١.

١١- شرح فصيح ثعلب:

نقل منه السيوطي في المزهر: ٢٠١/١، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٠١/٢، ٢٢٢وعده حاجي خليفة في كشف الظنون ١٢٧٢/٢-١٢٧٣ من شروح الفصيح.

١٢- فهرسة ابن السيد:

ذكره ابن خير في فهرسته ٤٣٣، ونقل منه ابن الأبار في كتابه التكملة لكتاب الصلة ١٨١/١.

١٣- قصيدة في رثاء ديك:

ذكره ابن خير في فهرسته ٤١٣.

١٤- القراءات:

ذكر الذهبي في كتابه معرفة القراء الكبار٤٩١/٢ (كتاب القراءات لأبي عبد

---

(١) سبق ذكره ضمن مؤلفاته المطبوعة ص٣٨/١.

(٢) ابن السيد البطليوسي العالم اللغوي ٥٧ الهامش.

الله محمد بن السيد البطليوسي)، ولعله سهو وقع في اسم المؤلف.

١٥- المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس:

بهذا الاسم ذكره الفتح بن خاقان في ترجمة ابن السيد المنشورة في أزهار الرياض ١٠٧/٣، وذكر ابن بشكوال في صلة ٢٩٣/١ أنه (كتاب في شرح الموطأ)، وسماه القفطي في إنباه الرواة ١٤٢/٢، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٨٣/٢، وابن فرحون في الديباج المذهب ١٤١، والفيروز آبادي في البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١١٥ والسيوطي في بغية الوعاة ٥٦/٢، وابن العماد في شذرات الذهب ٦٥/٤ (شرح الموطأ)، كما ذكره حاجي خليفة ضمن شروح الموطأ، وبالاسم نفسه ذكره البغدادي في هدية العارفين ٤٥٤/١، والخونساري في روضات الجنات ١٧٣/١.

شروح أبيات الجُمَل:

يعد كتاب "الجُمل" لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٩هـ) من كتب النحو المشهورة والمهمة في علم النحو، ولطالما انتفع به طلاب العلم، وذاع في الآفاق، وتذكر المصادر أن الذين انتفعوا به خلق لا يحصون.

وقد اهتم به الشُّراح، فوضعوا عليه وعلى شواهده شروحًا وتعليقات، بلغت المائة والعشرين شرحًا وتعليقًا.

ومن أهم هذه الشروح ما يلي:

١- عون الجمل: لأبي العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ)، وهو مفقود.

٢- شرح شواهد الجمل، للأعلم الشنتمري (ت٤٧٦هـ)، وهو مفقود أيضاً.

٣- "الحلل، في شرح أبيات الجمل" لأبي عبد الله محمد بن السيد البطليوسي، وهو كتابنا هذا.

٤- "شرح أبيات الجمل" لأبي القاسم عيسى بن إبراهيم الشريشي (ت٥٤٠ هـ)، وتوجد منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية.

٥- "شرح شواهد الجمل" لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، توجد منه نسخة مخطوطة في معهد المخطوطات.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

الحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم وفضلنا على كثير من خلقه وفهم وجعلنا

ممن يقتدى به ويؤتم. وصلى الله على محمد وآله وسلم

قال عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي رحمه الله

لما فرغت من الكلام في العلل الواقعة في الجمل أردت أن أتبع الكلام في إعراب

أبياته ومعانيها

الصفحة الأولى من مخطوطة شرح أبيات الجمل نسخة دار الكتب

الصفحة الأخيرة من مخطوطة شرح أبيات الجمل نسخة دار الكتب

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليمًا.

الحمد لله الذي علمنا ما لَم نكن نعلم، وفضلنا على كثير من خلقه وقدم، وجعلنا ممن يقتدى به ويؤتم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي -رحمه الله-:

لـــمَّا فرغت من الكلام في إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل، أردت أن أتبع ذلك الكلام في إعراب أبياته ومعانيها، وما يحضرني من أسماء قائليها.

وغرضي أن أصل بكل بيت منها ما يتصل به ليكون أبين لغرض قائله ومذهبه.

ولم يمنعني من الكلام في إعرابها ومعانيها ما تقدمني من كلام غيري فيها، فربما كان لكلام غيري مزية على ما سواه، وزيادة فضل لمن وقف عليه ورواه.

وأنا أسأل الله عونًا على ما أبديه، إنه ولي الفضل ومسديه، لا رب سواه، ولا معبود حاشاه.

أنشد أبو القاسم -رحمه الله- في باب النعت:

١- لا يبعدن قومي الذين هم سُمُّ العداةِ وآفةُ الجُـــزْرِ
النازلـين بكـل معتـرك والطيبـون معاقـد الأزرِ

هذا الشعر لخرنق بنت هفان القيسية، وهي أخت طرفة بن العبد المالكي لأمه، من شعر رثت به زوجها بشر بن عمرو بن مرثد، ومن قتل معه من بنيه وقومه، وكان غزا بني أسد بن خزيمة، هو وعمرو بن عبد الله بن الأشل، وكانا متساندين: بِشْرٌ على بني مالك، وبني عَتَّاب بن ضبيعة، وعمرو على بني رُهْم[1].

ومعنى التساند والمساندة: أن يخرج كل رجل منهم على حدته، ليس لهم أمير يجمعهم، فأغاروا على بني أسد، فتقدمتهم بنو أسد إلى عقبة يقال لها: قلاب[2]، فقُتِلَ بشر ابن عمرو وبنوه، وفرَّ عمرو بن عبد الله بن الأشل فسُمي ذلك اليوم يوم "قُلاب".

و"خرنق": من الأسماء المنقولة من الأنواع إلى العلمية، لأن "الخرنق" في اللغة: ولد الأرنب، وهو للذكر والأنثى، والخرنق أيضًا: مصنعة الماء، وهو نحو الصهريج[3].

وأما "هفَّان": فاسم مرتجل غير منقول، وهو مشتق من الهفيف، وهو السرعة والخفة، ويقال له: هِفَان، بفتح الهاء وكسرها.

ومعنى "لا يبعدن": لا يهلكن، وهو دعاء خرج بلفظ النهي، وإن كان ليس بنهي، كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر، وليس بأمر، إذا قلت: اللهم اغفر لزيد.

وبطل إعراب الفعل لدخول النون الخفيفة فيه، لأنَّها ترد المستقبل مبنيًّا على السكون، من حيث أنَّها تمنعه من دخول العوامل عليه، ويجري بالفتح للواحد المذكر، وبالكسر للواحدة المؤنثة، وبالضم لجماعة المذكرين، وحرَّكته لالتقاء الساكنين على مذهب سيبويه.

يقال: بَعدَ الرجل يَبْعَدُ، على مثل: عَلِمَ يَعْلَم، إذا هلك، قال الله تعالى: ﴿**أَلاَ بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُود**﴾ [هود: ٩٥].

---

(١) بني رُهْم: بطن من البطون.

(٢) قُلاب: جبل بديار أسد.

(٣) الصهريج: حوض الماء.

فإذا أردت البُعدَ الذي هو ضد القرب قلت: بَعُدَ يَبْعُدُ، على مثال: ظَرُفَ يَظْرُفُ.

والمصدر الذي يراد به الهلاك: "بَعَداً" بفتح الباء والعين، والمصدر الذي يراد به ضد القرب: (بُعْداً) على مثال ضده الذي هو "قُرْب". وربما استعملوا البعد في الهلاك، لتداخل معنييهما.

فإن قال قائل: كيف دعت لقومها بأن لا يهلكوا، وهم قد هلكوا؟

فالجواب: أن العرب قد جرت على عادتها، باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت، ولهم في ذلك غرضان:

أحدهما: أنَّهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل، وكأنهم لا يصدقون بموته، وقد بين هذا المعنى زهير بن أبي سلمى بقوله:

يقولون حِصْن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبالُ جُنوحُ

ولم تلفظ الموتى القبورُ ولم تَزَلْ نجومُ السماءِ والأديمُ صحيحُ

أراد أنَّهم يقولون: مات حصن، ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك، ويقولون: كيف يجوز أن يموت والجبال لَم تنسف، والنجوم لَم تنكدر، والقبور لَم تخرج موتاها، وجِرْم العالم صحيح، لَم يحدث فيه حادث؟! فهذا أحد الغرضين.

والغرض الثاني: أنَّهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره، ولا يذهب؛ لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنــزلة حياته؛ ألا ترى إلى قول الشاعر:

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بأفعالنا إن الثناء هو الخلـدُ

وقال آخر، وهو التميمي يرثي يزيد بن يزيد الشيباني:

فإن تَكُ أفنته الليالي فأوشكت فإن له ذِكْراً سَيُفْني اللياليـا

وقال أبو الطيب المتنبِّي، في هذا المعنى -فأحسن كل الإحسان-:

ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثاني وحاجته ما فاته وفضولُ العيشِ أَشغالُ

وقد بين مالك بن الرَّيب ما في هذا المعنى من المحال حين قال:

يقولونَ لا تبعدْ وهم يدفنونني وأين مكانُ البعدِ إلا مكانيـا[1]

وقولها: "سُمُّ العداة وآفة الجُزْرِ"، أرادت أنَّهم كانوا في حياتهم سُمًّا لأعدائهم،

(١) انظر: أمالي القالي ٣/١٣٥، والخزانة ١-٣١٩.

لأنهم كانوا يهلكونهم، وآفة لإبلهم؛ لأنهم كانوا ينحرونها لأضيافهم.

و"الجزر": جمع جَزُور، وهي الناقة التي تتخذ للنحر.

ويقال: "سُم وسَم" بضم السين وفتحها، وزعم الطوسي أنه يقال: "سِم" بكسر السين.

فإن قيل: فكيف قالت: "الذين هم" وإنَّما يتأتى هذا لمن هو موجود؟ وإنَّما كان ينبغي أن تقول كما قال الآخر:

كانوا على الأعداء نارًا محرقًا ... ولقومهم حِرْمًا من الأحرام

فالجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أن العرب قد تضمر "كان" اتكالاً على فهم السامع، إذا كان في اللفظ دليل عليها، كقوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾ [البقرة: ١٠٢]. قال الكسائي: أراد ما كانت تتلو.

وقال الراعي:

أزمانَ قومي والجماعة كالذي ... منعَ الرَّحالةَ أن تميل مَميلاً(١)

أراد: كان أزمان قومي.

والوجه الثاني: أنَّها لمـَّا دعت لهم ببقاء الذكر بعد موتهم، صاروا كالموجودين، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه.

وقد يجوز أن تكون دعت بقولها: "لا يَبْعَدَن" لمن بقي من قومها، أي: لا أبعد الله من بقي من قومي كبعد من مضى منهم، ويقوي هذا قولها بعد هذا البيت:

قوم إذا ركبوا سمعت لهم ... لَغَطًا من التأييه والزجرِ

إن يشربوا يهبوا وإن يذروا ... يتواعظوا عن منطق الهُجْرِ

والخالطين نحيتهم بنُضَارهمْ ... وذوي الغِنى منهم بذي الفقرِ

هذا ثنائي ما بقيتُ لهمْ ... فإذا هلكتُ أجنَّني قَبري

ويقوي قول من قال: إنَّها دعت لمن مات منهم بقولها في هذا الشعر:

لاقوا غداة قُلابَ حَتْفَهُم ... سَوْقَ العتير يساق للْعَتْرِ

(١) انظر: الكتاب ١/٥٤.

و"الْعُدَاة": جمع عادٍ، وهو العدو بعينه، ولا يجوز أن يكون جمع عدو؛ لأن "فعولاً" لا يجمع على "فُعَلَة"، وقد حكى أبو زيد: "لا أشمت الله عاديك"، أي: عدوك.

و"**النـــزول**" في الحرب على ضربين:

أحدهما: أول الحرب، وهو أن ينـــزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم.

والثاني: في آخرها، وهو أن ينـــزلوا عن خيلهم، ويقاتلوا على أقدامهم، إذا كان القتال في موضع وعر ضيق لا مجال فيه للتخييل، وربما اعتنق الرجل صاحبه، فسقطا جميعًا إلى الأرض، وهذا هو النـــزول الذي أراده مهلهل بقوله:

لَم يطيقوا أن ينـــزلوا ونـــزلنا وأخو الحرب من أطاق النـــزولا

وهو الذي أراد عنترة بقوله:

فيهم أخو ثقةٍ يضَاربُ نازلاً بالمشرفي وفارس لَم ينـــزل

و"المعترك": موضع القتال، ويقال له: مَعْرَك أيضًا، وهو مشتق من عَرَكت الرحى الحب، إذا طحنته، أرادوا: أنه يطحن من فيه كما تطحن الرحى ما جعل فيها، ولذلك سموه: رحًى، قال عنترة:

دارت على القوم رحى طحون

وقد بيَّن ذلك زهير بقوله:

فتعرككم عرْك الرحى بثفالها وتلقح كشافًا ثم تحمل فتفطم

وإذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه، فهي إشارة وكناية عن عفة الفرج، تريد: أنّهم لا يعقدون مآزرهم على فروج زانية! وكذلك طهارة الذيل.

وإذا وصفوا بطهارة الْكُم أو الرُّدن -وهو الكم بعينه- أرادوا أنه لا يخون ولا يسرق!

فإذا وصفوه بطهارة الجيب، أرادوا: أن قلبه لا ينطوي على غَشٍّ ولا مكروه.

وقد يكنون عن عفة الفرج بطيب الحُجُزَة، كما قال النابغة:

رِقَاقُ النعال طيبٌ حجزاتهم يُحَيَّوْنَ بالريحان يوم السباسب

والباء في قولها: "بكلِّ معتَركٍ": بمعنى "في"، كما يقال: زيد بالبصرة، وفي البصرة.

و"معاقدَ الأزر" منصوب على التشبيه بالمفعول به، والكوفيون يجيزون نصبها على التمييز؛ لأن التمييز عندهم يكون نكرة ومعرفة، ويجوز الانفصال في المعرفة، ولا يجوز عند البصريين إلا أن يكون نكرة.

و"اللَّغَطُ- واللَّغْط" بتسكين الغين وفتحها: اللَّجَبَة والأصوات المختلطة.

و"التأييه": الدعاء، يقال: أيَّهت بالرجل، إذا دعوته، وأيَّهت بالفرس، وفي الحديث: أن ملك الموت سُئل: كيف تقبض الأرواح؟

فقال: أُأَيِّهُ بِها كما يُؤَيَّهُ بالخيل فتجيء إليّ[1].

و"الهجر": الكلام القبيح -بضم الهاء- فإذا فتح فهو الهذيان.

و"النُّضار" : الخالص النسب، و"النحيت" ضده.

و"العتير": ما يذبح للأصنام، و"العَتْر": الذبح للأصنام، بفتح العين. و"العِتر": بالكسر- المذبوح نفسه.

وقولها: "فإذا هلكت أجنَّنِي قبري": كلام لا فائدة فيه على ظاهره، والمعنى: فإذا هلكت قام عذري في تركي الثناء عليهم لهلاكي، فهو مما وضع السبب فيه موضع المُسَبَّب، وهو كثير في الكلام.

وأنشد أبو القاسم، في باب: "البدل":

٢ - وكنت كذي رِجْلَيْن رجْلٌ صحيحة ... ورجلٌ رمى فيها الزمان فَشلَّتِ

هذا البيت: لكثير عزة، وهو: كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي، ويكنى: أبا صخر.

وكان رافضيًّا أحمقاً، فلما حضرته الوفاة قال:

بَرِئْتُ إلى الإله من ابن أروى ... ومن دين الخـــوارج أجمعينا

ومن عمر برئت ومن عتـــيق ... غداة دُعي أمير المؤمنيـــــنا

ثم خرجت نفسه، كأنها حصاة وقعت في ماء.

و"ابن أروى": هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

و"كُثَير": تصغير كَثير، وهو من الأسماء المنقولة عن الصفات.

والكثير: يستعمل في كلام العرب على معنيين:

أحدهما: يراد به ضد القليل من قلة العدد.

والآخر: يراد به العزيز الجليل، يقال: كَثُرْتُ بك، أي: اعتززت بك، و"المرء

(١) أخرجه أبو عبيد الهروي في "الغريبين" عن أبي قيس الأودي ١/١١٦ .

كثير بأخيه" من هذا، وإياه أراد العباس بن مرداس في قوله:

فإن أَكُ في شراركم قليلاً   فإني في خيـــاركم كثيرُ

ونسب كُثير إلى عزة، لشدة وجده بِها وكلفه، واشتهاره بمحبتها، وصُغِّر؛ لأنه كان حقيرًا، شديد القصر، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان، يقول له: طأطئ رأسك لئلا يؤذيك السقف.

ولذلك قال فيه الحزين يهجوه:

لقد علقت ورب الذباب كثيرا   أساود لا يطنينـــه وأراقـــم

قصير القميص فاحش عند بيته   يعض القُرادُ باسته وهو قائـــم

وأما تشبيهه نفسه بذي رجلين؛ رجل صحيحة، ورجل شلاَّء، ففيه لأصحاب المعاني قولان:

قيل: أراد أنَّها عاهدته وواثقته ألا تتحوَّل عليه، فثبت هو على عهده، ولم تثبت.

وقيل: إنَّما تمنى أن تضيع قلوصه، فيجد سبيلاً إلى بقائه عندها، فيكون من بقائه عندها كذي رجل صحيحة، ويكون من ذهاب قلوصه الحاملة له، وانقطاعه من سفره كذي رجل شلاّء. وكلا المعنيين صحيح.

أما المعنى الأول فكقول النجاشي:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة   ورجل رماها صاحب الحدثـــان

فأما التي صَحَّت فأزد شنـــوءة   وأما التي شلت فأزد عُمـــان

ويدل عليه أيضًا قول كُثيِّر:

وكنا سلكنا في صعود من الهوى   فلما توافينـــا ثبت وزلـــت

وأما الذين قالوا: إنه داخل في التمني، فإنَّما قالوا ذلك؛ لأن قبله:

فليت قلوصي عند عزة قُيِّدَت   بحبـــل ضعيف غُرَّ منها فَضَلَّتِ

وغودر في الحي المقيمين رَحْلُها   وكان لـــه باغٍ سواي فبَلَّتِ

فتقديره عندهم: فليت قلوصي عند عزة قيدت، وليتني كنت..

وقوله: "رمى فيها الزمان" جملة في موضع الصفة لرجل، وأراد: رمى فيها الزمان الداء والشلل، فحذف المفعول.

ويروى: "رجلٌ صحيحة، ورجل.." بالرفع، وذلك أن تقديره: هما رِجلٌ صحيحة

ورجل..، فيكون خبر مبتدأ مضمر، وإن شئت كان التقدير: إحداهما رِجلٌ صحيحة، والأخرى رِجلٌ.. فيكون الكلام جملتين، وفي التقدير الأول يكون الكلام جملة واحدة.

وإن شئتَ كان التقدير: منهما رجل صحيحة، ومنهما رجل.. فيكون كل واحد منهما مبتدأ، ويكون الكلام أيضاً جملتين.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٣ - لقد كان في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثويتُه تَقَضِّي لبانات ويسأم سائم

البيت لأعشى بكر بن وائل، واسمه: ميمون بن قيس بن جندل، ويكنى: أبا بصير، ويسمى "قيس" أبوه: قتيل الجوع؛ لأنه دخل غارًا يستظل به من الحر، فوقعت صخرة على فم الغار، فمات فيه جوعًا.

ففي ذلك يقول جُهُنَّام يهجوه:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل وخالك عبد من خُماعة راضعُ

و"ميمون": اسم منقول من الصفة، إلى العلمية.

و"قيس، وجندل": منقولان أيضًا من الأنواع، و"القيس": الشدة، و"القيس": الصنم: و"القيس" : القياس[1].

وروى قوم: "ثَوَيْتُه" بضم التاء، والوجه فتحها على الخطاب؛ لأن قبله:

هريرة ودِّعها وإن لام لائم غداة غدٍ أم أنت للبَيْنِ واجم

و"الثواء": الإقامة، يقال: ثوى الرجل أثوى.

يقول: ودِّع هريرة، وإن لامك اللائم في مفارقتها، فقد أقمت عندها حولاً، ومن أقام مع محبوبته عامًا فقد شفى غرامه، وسئم مقامه، ولكنك لمفارقتك إياها واجم، على المقام معها عازم!

و"الواجم": الحزين الكئيب.

و"اللُّبانات": الحاجات، واحدها: لُبانة.

و"السأم": الملل.

و"ثواء": بدل من "حول"، و"ثويته" جملة لها موضع من الإعراب؛ لأنَّها في

(١) في اللسان: قاس الشيء يقيسه قيسًا وقياسًا، والقيس: الشدة.

مكان الصفة لثواء، وهي صفة جرت على غير من هي له، ولو صيرتها اسمًا، لقلت: ثاويه أنت، فانفصل الضمير المتصل؛ وبرز.

ويجب أن يكون في هذه الجملة ضميران عائدان: إلى "الثواء" من صفته وعائد إلى "الحول" من بدله؛ لأن حكم الصفة أن يعود منها عائد إلى موصوفها، وحكم بدل الاشتمال، وبدل البعض من الكل أن يكون في كل واحد منهما ضمير، يعود إلى المبدل منه؛ فالهاء في "ثويته" تعود إلى "الثواء" والعائد إلى الحول مقدر كأنه قال: ثواء ثويته فيه.

ونظير هذه المسألة من مسائل النحو: نفعني عبد الله علم أفادنيه، أي أفادنيه هو. فالهاء في "أفادنيه" عائدة إلى علم، و(هو) المضمر عائد إلى عبد الله.

وقد قال بعض من شرح أبيات الجمل من شراح عصرنا:

إن الهاء من "ثويته" يجوز أن تعود إلى "الثواء"، ويجوز أن تعود على "الحول".

وذلك خطأ؛ لأنه إذا أعاد هاء "ثويته" على "الحول" بقي الموصوف لَم يعد إليه من الجملة التي هي صفة عائد.

وإذا جعلها عائدة على "ثواء" بقي المبدل منه لَم يعد إليه من المبدل عائد، فلا بد من تقدير ضمير آخر كما قلنا.

ومن روى: "تَقَضِّي" وجعله مصدرًا مضافًا إلى "لُبانات" جاز أن يكون اسم "كان"، وخبرها في المجرور، وجاز أن يضمر في "كان" الأمر والشأن، ويرفع "تقضِّي لبانات" بالابتداء، والخبر في المجرور قبله، والجملة خبر "كان".

ويلزم في هذه الرواية: "أن تنصب "ويسأم" بإضمار "أن" ليصير مصدرًا، وتعطفه على "تقضي" كأنه قال: تقضي لبانات، وسآمة سائم، إذ لا يصح عطف فعل على اسم.

ونظيره من مسائل النحو قولك: "يعجبني ضرب زيد ويغضب" ومثله قول ميسون بنت بجدل:

للبس عباءة وتَقَرُّ عيني　　　أحبُّ إليَّ من لُبس الشُّفُوفِ

تقديره: للبس عباءة وقرارة عيني.

ووزن "تقضِّي" من الفعل: تفعِّل، كسرت الضاد منه لتصح الياء، كما

كسرت النون من "التمني" واللام من "التسلي".

ومن روى: "تُقضَّى لبانات"، ورفع "اللَّبانات"، وجعل "تُقضَّى" فعلاً لِمَا لَم يسم فاعله، ومفعوله "لبانات" رفع "ويسأم" عطفًا عليه، ولزم أن يضمر في "كان" الأمر والشأن على كل حال.

وأنشد أبو القاسم، في باب: "أقسام الأفعال في التعدي":

٤- أَمرْتُك الخير فافعل ما أُمرتَ به فقد تركتك ذا مال وذا نَشبِ

هذا البيت وقع في كتاب سيبويه منسوبًا إلى عمرو بن معديكرب، وذكر الهجري في نوادره أنه لأعشى طرود.

و"عمرو": اسم منقول من الأنواع إلى العلمية.

وللعمر أربعة معان:

"العَمْر": البقاء، ومنه قيل: لعمر الله، إنَّما هو قسم ببقائه عز وجل.

والعمر: ما بين الأسنان واللحم.

والعمر[1]: القُرط.

والعمْر: طرف الكُمِّ، وجاء في الحديث: «**لا بأس أن يسجد الرجل على عَمَرَيه**»[2].

وأما "معديكرب" فقال أبو العباس أحمد بن يحيى: معناه: عدَّاه الكرب، أي: تجاوزه، حكى ذلك أبو الفتح بن جني عن أبي علي الفارسي.

ويكنى "عمرو": أبا ثَورْ، وزعم بعضهم: أنه يكنى: أبا ريحانة، ببنت كانت له، وفيها يقول:

أمن ريحانة الدَّاعي السميع يؤرقني وأصحابي هجـــوع

وهذا غلط؛ إنَّما ريحانة أخته، وهي أم دُرَيد بن الصمة.

ويروى: "ذا نشب" -بشين معجمة- وكذا رواه أصحاب سيبويه في كتابه، ولم يختلفوا فيه، ورواه الهجري بسين غير معجمة، فمن رواه بسين غير معجمة فله

(١) العمر: لحم من اللثة سائل بين كل سنين.

(٢) العَمَران: طرفا الكمين، وفي الحديث: لا بأس أن يصلي الرجل على عَمَرَيه.

أن يقول: إن قوله: "ذا مال" قد أغنى عن ذكر النشب.

ومن رواه بالشين المعجمة، فله أن يحتج بأشياء، منها:

اتفاق رواة كتاب سيبويه على الشين.

ومنها: أن العرب قد تأتي بالاسمين ومعناهما واحد، كقول الشاعر:

ألا حبذا هند وأرض بِها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد

والنأي: هو البعد بعينه.

ومنها: أن العرب أكثر ما تستعمل "النشب"[١] في الأشياء الثابتة التي لا يراح لها، كالدور والضياع، وأكثر ما يوقعون "المال" على ما ليس بثابت كالدنانير والدراهم والحيوان، وربما أوقعوا "المال" على جميع ما يملكه الإنسان وهو الصحيح، لقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**﴾ [النساء: ٥]. وهذا لا يخص شيئًا دون شيء.

وبعد هذا البيت:

فاترك خلائق قوم لا خـــلاق لهم واعمد لأخلاق أهل الفضل والأدب

قد نلت مجدًا فحاذر أن تدنســـه أب كـــريم وجـد غير مؤتشب

"المؤتشب": الذي نسبه غير خالص. يقال: أشب[٢] البيت وائتشب: إذا اشتبك.

وأنشد أبو القاسم، في باب: "اشتغال الفعل عن المفعول بضميره":

٥- أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفـــرا

والذئـــب أخشـــاه إن مررت بـــه وحدي وأخشى الرياح والمطرا

هذا البيتان: للربيع بن ضبع الفزاري -من بني فزارة- وهو من المعمرين، وهو القائل:

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء

و"الربيع، وضبع، وفزارة": من الأسماء المنقولة عن الأجناس والأنواع إلى العلمية.

أما "الربيع": فيكون الفصل المعروف، من فصول السنة، و"الربيع": المطر، و"الربيع": العشب النابت عنه، و"الربيع": السَّافية[٣]، تكون بين الكلأ.

(١) النَّشَبُ: المال والعقار.

(٢) أَشَبَ الشيءَ: خَلَطَهُ، وهو مؤتشب أي مخلوط غير صريح في نَسَبِهِ.

(٣) السفي: شوك البهمى، والسبل، وكل شيء له شوك.

و"الضبع": صنف من السباع، يقال للأنثى منه: "ضبع"، وللذكر: "ضبعان" و"الضبع": السنة المجدبة، شبهت بالضبع، وفي الحديث: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أكلتنا الضَّبُع. وقال العباس بن مرداس:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لَم تأكلهم الضبع

وأما "الفزارة": فهي الأنثى من النمر، والهدبس: الذكر منها، و"الفزر": ولدها، إن كان ذكرًا، و"الفزرة": الأنثى، قال الشاعر:

ولقد رأيتُ فزارةً[1] وهَدَبَّسا والفِزْرُ يتبع فزره كالضَّيون

وقوله: "لا أحمل السلاح، ولا أملك" ..جملتان في موضع نصب على خبر "أصبح" إن جعلتها ناقصة، أو في موضع الحال إن جعلتها التامة، المستغنية عن الخبر، كأنه قال: أصبحت غير حامل السلاح، ولا مالك رأس البعير أن يفر مني!

ويجوز في "الذئب" الرفع والنصب؛

فالرفع على الابتداء، والنصب بإضمار فعل، كأنه قال: وأخشى الذئب أخشاه، والاختيار النصب؛ لأن البيت الذي قبله مصدر بفعل، فيختار أن يضمر للذئب فعل، ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل، طلبًا لتشاكل الألفاظ.

ويجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة الكبرى، وهي: أصبحت لا أحمل..

ويجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة الصغرى وهي: لا أحمل السلاح.

والجملة الكبرى: هي كل جملة لا موضع لها من الإعراب.

والجملة الصغرى: هي كل جملة لها موضع من الإعراب.

لأن كل جملة يُقدَّر في موضعها المفرد فلها موضع من الإعراب، وكل جملة لا يُقدَّر في محلها المفرد فلا محل لها من الإعراب، والكبرى كقولك: زيد أبوه منطلق، فهذه الجملة كلها تسمى: كبرى، وأما قولك: أبوه منطلق، فتسمى: صغرى؛ لأنَّها في موضع خبر المبتدأ، وهي جزء من الجملة الكبرى.

وقد تكون الجملة صغرى وكبرى على وجهين مختلفين، كقولك: زيد أبوه غلامه منطلق، فهذه الجملة كبرى، وقولك: غلامه منطلق صغرى؛ لأنَّها خبر عن "الأب"

(١) الفزارة: الأنثى من النمر، والفِزْر: ابن النمر .

وقولك: أبوه غلامه منطلق صغرى بالإضافة إلى "زيد"، وكبرى بالإضافة إلى "الغلام".

وقوله: "وحْدِي": في موضع نصب على الحال، كأنه قال: إن مررت به متوحدًا.

وقوله: "إن نفرا" و"إن مررت به": شرطان لَم يأت بعدهما جواب لهما؛ لأن ما قبلهما من الكلام قد سد مسد الجواب، فهو بمنـــزلة قولك: "أنا أشكرك إن أحسنت إليَّ"، ومعنى الشعر: أنه لشدة كبره قد ضعفت قواه عن حمل السلاح إلى الحرب، وصار في حال لا يقدر على تصريف البعير إذا ركبه، ويخاف الذئب أن يعدو عليه، ويتأذى بالريح إذا هبت، والأمطار إذا نـــزلت، وهذا نظير قوله في شعر آخر:

إذا كان الشتاء فأدفئوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

وأما حين يذهب كل قر فسربال رقيـــق أو رداء

وهذا نحو قول العرب في أمثالها:

قد كنت وما أخشى الذئب، وكنت وما يقاد بي البعير.

وظاهر قول الربيع مخالف لقول بعض المعمرين:

أعار أبو زيـــد يمنى سلاحـــــه وبعض سلاح الدهر للمرء كالم

وكنت إذا ما أنكر الكلب أهله أُخَتًّأ[1]وحين الكلب يقظان نائم

لأن الربيع نفى عن نفسه حمل السلاح لكبر سنه، وهذا الثاني يصف أنه كبر، فصار يحمل سلاح أبي زيد!

وأراد الربيع: أنه لا يقدر على حمل السلاح إلى الحرب .

وأما سلاح "أبي زيد" الذي وصف هذا أنه يحمله فهو: العصا التي يتوكأ عليها الشيخ، و"أبو زيد" كنية الدهر، ويكنى أيضًا: "أبا سعد" ويقال: إن "أبا سعد" كنية الهرم، وهذا المعنى هو الذي أراده الإصبع العدواني بقوله:

إما تري شِكَّتي: رمح أبي سعد فقد أحمل السلاح معا

وروت الرواة: أن الربيع بن ضبع- هذا- عاش حتى أدرك الإسلام، وأنه قدم

---

(١) ختا: ختا الرجل يختو ختوًا، إذا رأيته متخشعًا من حزن أو مرض، أو تغير لونه من حزن أو مرض، وهو بالقصر وبالهمز ختأ – ختى.

الشام على معاوية بن أبي سفيان، ومعه حفيد له، فدخل حفيده على معاوية، فقال معاوية له: اقعد يا شيخ.

فقال: وكيف يقعد من جده بالباب؟

فقال معاوية: لعلك من ولد الربيع بن ضبع؟

فقال: أجل، فأمره بالدخول، فلما دخل سأله معاوية عن سنه،

فقال:

أقفر من مية الجريب إلى الزْ زُجَّين إلا الظباء والبقرا

كأنها درة منعمة من نسوة كن قبلها دررا

أصبح مني الشباب مبتكرا إن ينأ عني فقد ثوى عصرا

فارقنا قبل أن نفارقه لما قضى من جماعنا وطرا

هأنذا أمل الحياة وقد أدرك سنِّي ومولدي حُجرا

أبا امرئ القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عُمُرا

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

من بعد ما قوة أُسَرُّ بها أصبحت شيخًا أعالج الكبرا

فقرأ معاوية -رحمه الله-: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨].

وأنشد أبو القاسم في باب: "الحروف التي ترفع الاسم وتنصب الخبر":

٦ - فما كان قيس هُلكُهُ هُلْكُ واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدما

هذا البيت لعبدة بن الطبيب، وهو من بني عبد شمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة، من تميم.

و"عبدة" تأنيث عبد، وهو منقول من الصفات الجارية مجرى الأسماء.

و"الطبيب": الحاذق بالأشياء، الماهر بِها، وفيه قال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

و"عبدة" هذا، ساكن الباء، وأما عَبَدة أبو علقمة، فهو متحرك بالباء، وقد قيَّد هذا عبدة بن الطبيب بقوله في نفسه:

يتباشرون بأن عَبْدة مقبل كلا ومَنْ جَمَعَ الحجيج إلى منى

وهذا البيت من شعر رثى به قيس بن عاصم المنقري، سيد بني منقر، وقبله:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحـــما

تحية من غادرته غَـرَضَ الردى إذا زار عن شحط بلادك سلما

والهاء في قوله: "ولكنه" تعود على الهلك، والمعنى: ولكن هلكه انهدام بنيان قوم تهدما، أي: انهدم بيت عزهم، و"بنيان" ها هنا مصدر استعمل استعمال الأسماء، وأراد به المبني نفسه؛ لأن البنيان الذي يراد به المصدر، لا يوصف بالانهدام، وفي الحديث:

«**من هدم بنيان الله فهو ملعون**».

أي: قتل نفسًا مسلمة لَم تستوجب القتل.

وقوله: "ما شاء أن يترحما"، تقدر "ما" ها هنا مع الفعل بتأويل المصدر، والمصدر ناب مناب ظرف، كأنه قال: مشيئته الترحم، ومعناه: مدة مشيئته، وهو سبحانه يشاء برحمته من رحم أبدًا.

و"تحية" مصدر مؤكد، لأن قوله: "عليك سلام الله" قد أفاد معنى التحية، فهو بمنـزلة قوله تعالى: ﴿**كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ**﴾ [النساء: ٢٤]، وكقول زهير:

تعلمن ها لعمر الله ذا قَسمًا فاقدر بِذَرْعِكَ وانظر أين تنسلك

وقوله: "غرض الردى": منصوب على الحال، وإن كان مضافًا إلى المعرفة، لأن معناه كمعنى الصفة، أي: مقصود الردى، وإضافته مقدرة بالانفصال، كأنه قال: غرضًا للردى، أي: مقصودًا له.

وقوله: "إذا زار عن شحط بلادك سلما" يحتمل أن يكون بدلاً من "غرض الردى"، فيكون للجملة موضع من الإعراب، ويحتمل أن يكون بدلاً من الهاء في "غادرته"، فلا يكون للجملة موضع، كما أن الصفة لا موضع لها.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧- كأن سَبيئَـــة من بيت رأسٍ يكون مزاجها عسل وماءُ

هذا البيت لحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري ويكنى: أبا الوليد.

واسمه مرتجل، غير منقول، ولكنه مشتق من الحسن، فيكون وزنه: "فعَّالاً" مصروفًا.

ويجوز أن يكون مشتقًا من الحس، فيكون وزنه: فعلان، غير مصروف للزيادة التي في آخره والمعرفة.

والأقيس فيه: ألا يصرف؛ لأن حسان لَم يصرف اسمه في قوله:

ما هاج حَسَّانَ رسومُ المقام ومظعنُ الحي ومبنى الخيام

وأما "ثابت، والمنذر، وحرام" فأسماء منقولة غير مرتجلة.

فثابت، والمنذر وصف من الأسماء المنقولة عن الصفات.

وأما حرام فيجوز أن يكون منقولاً من قولهم: رجل حرام، أي: محرم، فيكون من الأسماء المنقولة عن الصفات، ويجوز أن يكون منقولاً من الحرام الذي هو ضد الحلال فيكون منقولاً إلى الأسماء عن الصفات، على أنه قد وصف به، فيكون قد قيل: شيء حرام، والحرام أيضًا: اسم للنَّمل.

و"السبيئة": الخمر المشتراة، يقال: سَبَأْتُ الخمر- بالهمز- إذا اشتريتها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة، قال ابن هرمة:

غاليـــــة قَـــرْقَفٌ معتقـــــة يغلـــو بأيـــــدي التجار مسبؤها

وأراد "بالرأس": رئيس الخمارين، وخصه بالذكر لأن خمره أعتق من خمر غيره.

وقال أبو العباس المبرد: "بيت رأس موضع".

ويروى: "كأن سلافة"، والسلافة: أول ما يسيل من الخمر، وقيل: هي ما يسيل من العنب من غير عصر، ويدل على هذا قول الشاعر:

من عتيق الكروم جاءت سلافًا لَم يطأهـــا برجله العصَّـــار

أراد: جاءت العصار سلافًا لَم يطأها برجله.

وفي قوله: "يكون مزاجها عسل وماء" أربعة أقوال:

قيل: هو على وجه الضرورة وعلى ذلك أنشده سيبويه.

وقيل: أراد مزاجًا لها، فأراد بالإضافة الانفصال، فأخبر فيه بنكرة عن نكرة.

وقيل: نصب "مزاجها" على الظرف الساد مسد الخبر، لا على الخبر نفسه، كأنه قال: يكون مستقرًّا في مزاجها.

وقيل: إنَّما جاز ذلك؛ لأن العسل والماء نوعان، والأنواع تشبه النكرات، وقولك: أكلت العسل، وأكلت عسلاً وشربت الماء، وشربت ماء سواء؛ لأنه قد علم أنك لَم تأكل جميع نوع العسل، ولم تشرب جميع نوع الماء.

وإنَّما كان كذلك، لأن الأنواع والأجناس ليس لأجزائهما أسماء تخصها من

حيث هي أجزاء، وإنَّما يعبر عن كل جزء من الجنس باسم الجنس، وعن كل جزء من النوع باسم النوع، يقال لكل جزء من الماء: ماء، ولكل جزء من العسل: عسل.

وكان أبو عثمان المازني يروي: يكون مزاجُها بالرفع، ويجعله اسم "كان" وينصب "عسلاً" خبرها، ويرفع "ماء" بفعل مضمر دل عليه المزاج كأنه قال: ومَازَجَها ماء.

وقوله: "من بيت" في موضع نصب على الصفة لسبيئة، "ويكون مزاجها" في موضع الصفة لها أيضًا، كأنه قال: سبيئة مشتراة من بيت رأس كائنًا مزاجها عسل وماء، وأما خبر "كأن" الذي وقع عليه التشبه فهو في بيت آخر بعد هذا، وهو قوله:

على أنيابها أو طعم غَضٍّ من التفـــاح هَصَّره الجنـــــاء

وقد جرت عادة النحويين أن يجعلوا "كأن" للتشبيه حيث وقعت وليس ذلك بصحيح، وإنَّما يكون تشبيهًا محضًا إذا وقع في الخبر اسم يمثل به اسمها، ويكون الخبر أرفع من الاسم أو أحط منه كقولك: كأن زيدًا ملك، أو كأن زيدًا حمار.

وأما إذا كان خبرها فعلاً، أو ظرفًا، أو مجرورًا، أو صفة من صفات أسمائها فإنَّها يدخلها حينئذ معنى الظن والحسبان، كقولك: كأن زيدًا قائم، أو كأن زيدًا في الدار، فلست تشبه زيدًا بشيء هاهنا، إنَّما تظن أنه قائم، وأنه في الدار، وكذلك قول الشاعر:

وداويتها حتى شتت حبشية كأن عليها سندســـًا وسدوســـا

ولها أيضاً معانٍ أُخَر ليس هذا موضع ذكرها.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨ - قفي قبل التفرق يـــا ضُباعا ولا يك موقف منك الوداعا

هذا البيت للقطامي، واسمه عمير بن شُيَيم.

و"عمير": اسم منقول، إن شئت جعلته تصغير عمرو، وهو القُرْط ويكون الحياة، ويكون طرف الكُمّ، ويكون ما بين الأسنان من اللحم.

وإن شئت جعلته تصغير قولهم: "رجل عمرو" وهو الكثير الاعتمار، وإن شئت كان مصغرًا مرخمًا من عامر، أو عمَّار، أو مَعْمَر، كزهير من أزهر.

وأما "شييم" بضم الشين وكسرها، فمنقول من تصغير "أشيم" مرخم وهو الذي به شامة.

و"القُطامي" منقول من الصقر؛ لأن الصقر يقال له: قُطامي، وقَطامي بضم القاف وفتحها، وهو مشتق من "القَطَم" وهو شهوة اللحم، وشهوة النكاح، يقال: فحل قَطِم، إذا هاج للضراب، وهو لقب غلب عليه لقوله:

يصكهن جانبـــاً فجانبـــا صَلَّ القطامي القطـــا القواربا

والشاهد في البيت: رفع "الموقف" وهو نكرة، ونصب "الوداع" وهو معرفة وسهَّل ذلك؛ لأن اسم "كان" وخبرها لشيء واحد، وأن قوله: "منك" في موضع رفع على الصفة لموقف، كأنه قال: موقف كائن منك، والنكرة إذا وصفت قُوِّيت بالصفة، وقربت من المعرفة، فلما قويت النكرة بالصفة، وكان تعريف الألف واللام ضعيفًا ليس له قوة غيره من التعريف، صار "الوداع" و"موقف" كأنهما قد تكافآ.

وقد رُوي "ولا يك موقفي" بالإضافة، وهذا لا نظر فيه.

و"ضباعة" التي شبب بِها هي ضبعة بنت زفر بن الحراث الكلابي.

وهو الذي مدحه بِهذا الشعر، ولذلك قال بعد هذا البيت:

قفي فادي أسيرك إن قومي وقومك لا أرى لهم اجتماعا

وكيف تجامع مع ما استحلا من الحرم العظام وما أضاعا

ألم أخبرك أن حبال قيـــس وتغلب قد تباينت انقطاعا

ويقال وداع بفتح الواو، ووداع بكسرها، وكان الوداع بكسر الواو مصدر وادعت وداعًا وكان الوداع بالفتح هو الاسم. وأنشد في هذا الباب:

٩ - فلست لإنْسيٍّ ولكن لملك تنـــزل من جو السماء يصوب

هذا البيت لعلقمة بن عبدة، يروى له في آخر شعره الذي أوله:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أنه لرجل من عبد القيس.

و"علقمة" و"عبدة" مفتوح الباء، اسمان منقولان؛ أما "علقمة" فالواحدة من العلقم، ويقال: طعام فيه علقمة، أي: مرارة.

وأما "العَبَدَة" فصلاءة الطيب، والعبدة أيضًا: أجمة الأسد، والعبدة: الأنفة، يقال: عبد من الشيء يعبد عبدًا، وعبدة إذا أنف منه.

واللام في قوله: "لإنْسِيٍّ" متعلقة بمحذوف، وكذلك في قوله: "لملك"،

وكلاهما له موضع من الإعراب، لأن اللام الأولى وقعت موقع خبر "ليس"، فهي متعلقة بالخبر الذي نابت منابه، أي: فلست ابنًا لإنسيّ، واللام الثانية التي في "لملك"، وقعت موقع خبر مبتدأ، كأنه قال: ولكن أنت للملك.

وقوله: "تنـــزل من جو.." جملة في موضع الصفة "لملك"، و"يصوب" جملة في موضع الحال من الضمير في "تنـــزل"، ويجوز أن تكون في موضع صفة ثانية لملك، ومعنى "يصوب": يقصد إلى الأرض.

وأراد "لملأك"، فجاء به على الأصل؛ لأن "مَلكاً" تخفيف ملأك، نقلت حركة همزته إلى لامه، كما قالوا في يسأل: يسل، وشمل في شمأل، قال الشاعر:

ثوى مالك بديار العدو تُسْفي عليه رياح الشَّمَل

واختلف في وزن "ملأك"، فقال أكثر أهل التصريف وزنه: "مَعْفَل"، مقلوب من مألك، واستدلوا على ذلك بقول العرب: ألك إذا أرسل، وقولهم للرسالة: ألوكٍ وألوكة، قال لبيد:

وغلام أرسلته أمـــــه بألوكٍ فبذلنا ما سأل

وأنشد أبو بكر بن دريد:

فمن مبلغ فتيان قومي ألوكـــة تأتي من أقيال من كان كافرًا

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: وزنه "مَفْعَل" وهو مشتق من "لأك"، إذا أرسل، فلا قلب فيه على هذا.

وقد يمكن أن يكون "لأك" مقلوبًا من ألك، وقد كان ابن كيسان يزعم أن "مَلْكاً" مشتق من ملك يملك، وأن الهمزة في "ملأك" زائدة كزيادتها في "شمأل".

فوزن ملائكة على قول من جعله مقلوبًا: "مَعَافِلَة" مقلوبًا من مآكلة، ووزنها على قول أبي عبيد: "مَفَاعِلَة" غير مقلوبة. ووزنها على قول ابن كيسان: "فعائلة".

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠- إذا كان الشتـــاء فأدفئوني فإن الشيخ يهدمه الشتـــاء

هذا البيت للربيع بن ضبع الفزاري، وقد ذكرناه فيما تقدم، وهذا البيت من شعر يمدح فيه بنيه وكنائنه، ويذكر برَّهم له، وهو قوله:

ألا أبلـــغ بَنِيَّ بَنِي ربيــــع فأنـــذالَ البنين لكم فـــداءَ

بأني قد كبرت ورق جِلدِي فــلا شغلتكم عني النســـاء
وإن كنائني لنساء صــدق وما أللى بني ولا أســـاءوا
إذا كان الشتاء فأدفئونـــي فإن الشيـــخ يهدمه الشتاء
وأما حين يذهب كل قَــرٍّ فسربـــال رقيـــق أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عـــاما فقد ذهب المسرة والفتـــاء

"الأنذال": الخساس، واحدهم: نذل، ومعنى "أللى": قَصَّر في برِّي، يقال: ألا يألو ألوًا، فإذا كثرت الفعل قلت أللى يؤلي تألية، قال زهير:

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يُليموا ولَمْ يَأْلوا

و"القَرُّ": البرد، و"الفتى" -مقصور-: واحد الفتيان، و"الفتاء" -ممدود-: فتوة السن، يقال: فتى بَيِّن الفتوة، ويروى: المروءة، واللذاذة.

و"التخيل": التكبر وعجب المرء بنفسه. ويروى: يهرمه.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١١- فكيف إذا مررت بدار قـــوم وجيـــرانٍ لـــنا كانوا كِرَام

هذا البيت للفرزدق، واسمه همام بن غالب، وقال ابن قتيبة: هُمَيم بن غالب، ويكنى أبا فراس.

واختلف كلام ابن قتيبة في تلقيبه بالفرزدق:

فقال في "أدب الكِتاب" الفرزدق: قطع العجين، واحدها: فرزدقة، وهو لقب له؛ لأنه كان جهم الوجه.

وقال في كتاب "طبقات الشعراء": إنَّما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره، شبه بالفتيتة التي تشربها النساء، وهي الفرزدقة.

والقول الأول أصح؛ لأنه كان أصابه جدري في وجهه، ثم برئ منه، فبقي وجهه جهمًا مبغضًا.

ويروى أن رجلاً قال له: يا أبا فراس، كأن وجهك أَحْرَاحٌ مجموعة.

فقال: تأمل هل ترى فيه حِرْحَ أمك.

وهذا البيت من قصيدة يمدح بِها سليمان بن عبد الملك بن مروان، ويهجو جرير بن الخطفي. وقبل هذا البيت:

هـــل أنتم عائجون بنا لَعَنَّا   نرى العرصات أو أثر الخيـــام
أكفكف عبرة العينيـــــن مِنِّي   وما بعد المدامع من مــــــلام

"لعنَّا": لغة في لعلنا، يقال: لعلك، ولغنَّك -بغين معجمة ونون- ولأنّك، ورَعَنَّك، وعَلكَ، وأنك، ولو أنك، كل ذلك معنى واحد.

ويروى: أنه أنشد سليمان هذه القصيدة فلما بلغ إلى قوله فيها:

ثلاث واثنتـــــان فهن خمس   وسادسة تميــــل إلى شِمامي
دُفعن إليَّ لَم يطمثهن قبـــلي   وهن أصح من بيض النعـــام
فَبِتْنَ بجـــانبيَّ مصرعـــات   وبتُّ أفـــضُّ أغلاق الختـــام
كأن مغالق الرمـــان فيـــــه   وجمر غضنً قعدن عليه حام

قال سليمان: أقررت عندي بالزنا، وأنا إمام، ولا بد من إقامة الحد عليك.

فقال الفرزدق: ومن أين أوجبته عليَّ يا أمير المؤمنين؟

فقـــال: يقول الله ﷻ: ﴿**الزَّانيةُ والزَّاني فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدة**﴾ [النور: ٢].

فقال الفرزدق: إن كتاب الله ﷻ يدرأ عني الحد، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهمُ الغَاوونَ أَلَم تَرَ أَنَّهُم فِي كُلِ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُم يقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٤- ٢٢٦]، وإنَّما قلت ما لَم أفعل.

فتبسم سليمان، وقال: أولى لك.

وسلك أبو القاسم في بيت الفرزدق مسلك الخليل وسيبويه، فجعل كان فيه زائدة.

وكان أبو العباس المبرد يرد ذلك، ويقول: الواو في "كانوا" اسم كان، و"لنا" خبرها، كأنه قال: وجيران كرام كانوا لنا.

وتابع أبا العباس على ذلك جماعة من النحويين، وقالوا: كيف تُلَغى "كان" في هذا البيت، والضمير قد اتصل بِها؟

وهذا الذي قالوه لا يلزم؛ لأن "ظننت" تُلغَى عن العمل مع اتصال الضمير بها في نحو قولك: "زيد منطلق ظننت".

وقد ذكرنا في الكتاب الأول ما احتج به أبو علي الفارسي وابن جني للخليل، فأغنى ذلك عن إعادته ها هنا.

فموضع "لنا" خفض على مذهب الخليل؛ لأنَّها في موضع الصفة لجيران، وهو في موضع نصب على مذهب أبي العباس؛ لأنه في موضع خبر "كان".

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٢ - إذا مِتُّ كان الناس صنفانِ شامتٌ وآخر مُثْنٍ بالذي كنت أصنعُ

هذا البيت للعُجَير السَّلُولي، ينسب إلى بني سلول، وهم حي من أحياء العرب.

و"عجير": اسم منقول، ويحتمل أن يكون تصغير "عَجْر"، من قولهم: عجر عنقه، إذا لَوَاها، ويحتمل أن يكون مصغرًا مرخمًا من "أَعْجَر" وهو الناتئ السُّرَّة.

وأما "سلول" : فاسم مرتجل غير منقول.

ويروى: مِتُّ ومُتُّ بكسر الميم وضمها.

ويروى: "صنفان" وصنفين، ونصفين، فمن رفع أضمر في "كان" الأمر والشأن، و"الناس صنفان" مبتدأ وخبر، في موضع خبر "كان" ومن نصب جعل "الناس" اسم كان، و"صنفين" خبرها، ولا شاهد فيه على هذه الرواية.

و"شامت" و"آخر": مرتفعان على خبر مبتدأ مضمر، كأنه فسر الصنفين فقال: هما شامتٌ، وآخر مُثْنٍ، ويجوز أن يرفع شامت على البدل من الصنفين.

ويجوز أن يكون التقدير: أحدهما شامت، والآخر مثنٍ. وبعد هذا البيت:

ولكن ستبكيني خطوبٌ ومجلسٌ وشُعث أهينوا في المجالس جُوَّع

ومستلحم قد صكه القوم صكَّةً بعيد الموالي نيل ما كان يجمع

رددت له ما فرط الفَيْل بالضحى وبالأمس حتى آبنا وهو أضلع

وما كان أن كان ابن عمي ولا أخي ولكن متى ما أملك الضُرَّ أنفع

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٣ - هي الشفاء لدائي لو ظفرت بِها وليس منها شفاء الداء مبذول

هذا البيت لهشام أخي ذي الرمة.

وهو اسم مرتجل، مشتق من قولهم هشمت الشيء إذا كسرته.

وذكر أبو الفتح: أنه اسم منقول من مصدر هاشمت.

ويجوز أن تكون "ليس" في هذا البيت هي العاملة، فيضمر فيها الأمر والشأن، وتجعل الجملة في موضع خبرها، ويجوز أن تكون بمنـــزلة ما لا يعمل شيئًا، وهي لغة

لبعض العرب.

ويجوز في "لو" أن تكون هي التي تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره، والجواب محذوف، كأنه قال: لو ظَفِرْتُ بِها لاشْتَفَيْتُ، فأغنى ما تقدم من ذكر الشفاء عن إعادة ذكره، كما نقول: أنا أشكرك إن أحسنت إليَّ، فتغني الجملة عن جواب الشرط.

ويجوز أن تكون "لو" هي التي يراد بِها معنى التمني، كأنه قال: يا ليتني ظفرت بِها.

والباء في قوله: "بِها" متعلقة بظفرت، و"من" في قوله: "منها" متعلقة بمبذول، فلا موضع لها لتعلقها بظاهر، وبعد هذا البيت:

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... كأنه مُنْهَلٌ بالراح مَعْلُولُ

ومعنى "تجلو": تكشف وتظهر، و"العوارض": الضواحك، و"الظلم": الماء الجاري على الأسنان، و:"المُنْهَل" الذي سُقِيَ سقية أولى، و"المعلول" الذي سقي سقية ثانية، و"الراح": الخمر.

ويروى هذا البيت لكعب بن زهير، ويروى لهشام.

وأنشد أبو القاسم في باب: "الحروف التي تنصب الأسماء، وترفع الأخبار":

١٤ - معاوي إننا بشر فأسْجِحْ ... فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

هذا البيت لعقيبة الأسدي، فيما ذكر سيبويه.

و"عُقَيْبَة": اسم منقول، ويحتمل أن يكون تصغير "عَقَبة"، وهي الثنية الصغيرة، الصعبة المصْعَد.

ويحتمل أن يكون تصغير "عُقْبة"، مثل: ظُلْمة، وهي بقية من المرق واللحم ونحو ذلك في القدر المستعار[1]، أو تصغير "عقبة" في الركوب، أو تصغير "عقبة القمر" وهي عودته ، تقال بكسر العين وضمها، قال الشاعر:

لا تطعم الغِسْلُ والأدهان لِمَّتهُ ... ولا الذريرة إلا عُقبة القمرِ

ويروى: عقُبة القمر بالضم. وقال الكميت في عُقْبَةَ القِدْر:

وحاردتِ النُّكدُ الجِلادُ ولم يكن ... لعُقبة قِدْر المستعيرين معقبُ

(١) عقبة القِدْر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره.

و"أسد": اسم منقول أيضًا، يحتمل أن يكون منقولاً من اسم السبع، ويحتمل أن يكون مصدر: أسد الرجل يأسد، إذا شجع، وفَعَل فعْلَ الأسد.

ويروى هذا البيت أيضًا لعبد الله بن الزبير الأسدي.

و"الزبير" أيضًا: اسم منقول؛ لأن الزُّبَيْر: طين الحمأة، والزبير: البئر المطوية بالحجارة، والزبير: الكتاب المكتوب، وأنشد ابن جني:

كما زان المهـرَّق والزبيـرا

و"الزبير"[1]: الداهية، والزبير: الإهانة، والزبير: المزجور المهان، يقال: زبرت الرجل إذا زجرته.

وهذا البيت أنشده سيبويه. "ولا الحديدا" بالنصب، كما أنشده أبو القاسم، وردَّ ذلك عليه. وقيل الشعر مخفوض القوافي، وهو:

معاوي إننا بشر فأسجـح ... فلسنا بالجبالِ ولا الحديـدِ

أكلتم أرضنا فجردتموهـا ... فهل من قائم أو حصيـدِ

أترجون الخلود إذا هلكنـا ... وليس لنا ولا لكِ من خلودِ

فهبنا أمة هلكت ضياعـا ... يزيد أميرها وأبو يزيـدِ

ذروا خون الإمـامة واستقيموا ... وتقديم الأراذل والعبيـدِ

وزعم من احتج لسيبويه أن هذا البيت من شعر منسوب لعبد الله بن الزبير الأسدي، ويقال: إنه للكميت بن معروف الأسدي، يقول فيه:

رمى الحدثان نسوة آل عمرو ... بمقدار سَمَدْنَ لـه سمودا

فَرَدَّ شعورهن السـود بيضا ... ورد وجوههن البيض سـودا

أديروها بني حـرب عليكم ... ولا ترموا بِها الغرض البعيدا

وليس يُنكر أن يكون البيت من الشعرين جميعًا؛ لأن الشعراء قد يستعير بعضهم كلاماً، وربما أخذ البيت بعينه ولم يغير كقول الفرزدق:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقَّفُوا

فإن هذا البيت لجميل بن عبد الله، انتحله الفرزدق.

---

(١) الزبير: الحمأة.

وقال قيس بن الخطيم:

إذا قَصُرَت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضاربِ

والقصيدة مخفوضة القوافي، وقال الأخنس بن شهاب اليشكري:

وإن قَصُرتْ أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضاربُ

والقصيدة مرفوعة القوافي: وقال امرؤ القيس في قصيدة بائية:

لمن الديار تَعَفَّتْ مُذْ حِقَبْ فجنوب الفرد أقوت فالخربْ

دار حي بدلت من بعدهم ساكن الوحش وللدهر عقبْ

عقَّب الدهر بهم فانتجعوا أكل الدهر عليهم وشربْ

وأخذ النابغة الجعدي نصف البيت الثالث، وعكسه في قصيدة لامية فقال:

سألتني جارتي عن أسرتي وإذا ما عَيَّ ذو اللبِّ سألْ

سألتني عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

وأنشده أبو العباس المبرد في "الكامل" على ما في شعر امرئ القيس ونسبه إلى النابغة الجعدي، وذلك غلط.

وربما كرر الشاعر بيتًا واحدًا، من شعره، في قصيدتين مختلفتي القوافي، كقول الحُصَيْن بن الحُمَام المُرِّي:

ولما رأيت الود ليس بنافعي وإن كان يومًا ذا كواكب مظلما

صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا يقطعن كفًّا ومعصما

يفلقن هامًا من أناس أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم قال في قصيدة أخرى:

ولما رأيت الود ليس بنافعي وإن كان يومًا ذا كواكب أشهبا

صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا يقطعن هامًا ومنكبا

يفلقن هامًا من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأخربا

وفي شعر أبي الطيب المتنبي أبيات شعر كثيرة انتحلها ولم يغير فيها إلا شيئًا يسيرًا، كقوله:

كأن كل سؤال في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوب

فإن هذا البيت منقول من قول الحُصَيْن:

كأن كل سؤال في مسامعه قميص يوسف في أجفان والده

وكقوله:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بـــد

فإن هذا البيت منقول من قول إسحاق الموصلي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًّا فيهوى أن يقال: صديـــق

فإذا كان أمر الشعر على هذه الصفة، لَم ينكر أن يكون قوله:

"معاوي إننا بشر فأسجح." قد وقع في شعرين مختلفين لعقيبة الأسدي، أو يكون قد وقع في شعر لعقيبة، مخفوض القوافي، وشعر لابن الزبير منصوب القوافي.

وأنشد أبو القاسم في باب: "حروف الخفض":

١٥ – فقلت للركب لِمَا أن علا بهم من عن يمين الحُبَيَّا نظرةٌ قَبَلُ

هذا البيت للقطامي، وقد ذكرنا اسمه، وبعده:

ألمحةً من سنـــا برق رأي بصري
أم وجـــهَ عاليةٍ اختالت به الكِلَلُ
يُهـــدِي لنا كلما كانت عَلاوَتُنا
ريحَ الخزامى جرى فيها الندى الخضِلِ

"الحُبَيَّا": موضع بالشام، وهو من الأسماء التي جاءت مصغرة، ولا تكبير لها.

ومعنى "نظرة قبل"، أي: نظرة لَم يتقدمها نظر، يقال: رأيت الهلال قبلاً، أي: لَم يره أحد قبلي.

و"الرَّكْب" جمع راكب، عند الأخفش، وهو عند سيبويه: اسم الجمع، وليس بجمع.

ويروى: "علا بهم" و"علت بهم"، أي: جعلتهم يعلون، ويستشرفون للنظر إلى عاليه، وهو بمنـــزلة قولهم: أعليتهم؛ لأن الباء والهمزة يتعاقبان على نقل الأفعال كقولك: ذهبت بهم، وأذهبتهم. و"سنا البرق": ضوؤه.

ومعنى "اختالت": تبخترت، و"الكِلَلُ": السُّتور، واحدتها: كِلَّة. أراد أن وجه "عالية" ظهر لهم من وراء الستر، فجعلوا ينظرون إليه عجبًا.

ومن روى: "بِها" ردَّ الضمير إلى عالية.

ومن روى: "به" رد الضمير على الوجه، وإذا أنث الضمير كانت الجملة في

موضع الحال من عالية، وإذا ذكِّر كانت حالاً من الوجه.

و"كلما كانت علاوتنا"، أي: في مكان عال تصيبه الريح، يقال: قعد فلان على علاوة الريح، أي: في موضع مشرف تصيبه الريح، وقعد في منقلبها، أي: في موضع منخفض، لا تناله الريح.

و"الخِضِل": الكثير البلل، يقال: أخْضَلَ الماء ثوبي، إذا بلَّه، وصير "عن" اسمًا فأدخل عليها حرف الجر.

وفي هذا البيت شاهد على أن: "عن" اسم، وشاهد على أن "على" فعل.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٦- غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها تصلُّ وعن قَيضٍ ببيداء مجهلِ

هذا البيت لمزاحم بن الحارث العقيلي.

و"مزاحم ، والحارث": اسمان منقولان عن الصفات إلى العلمية، ويكنى الكبش إذا كان له قرنان عظيمان: أبا مزاحم، ويسمى الشَّقَحْطَب[١]، وقبله:

أذلك أم كدْرية ظَلَّ فرخها لقى بشرورى كاليتيم المعيَّل

أراد بالكدْرية: قطاة في لونها كدورة، والقطا نوعان:

كدري، وجوني، الكدري: أغبر اللون، والجوني: أسود اللون، وقد ذكره زهير في قوله:

جونية كحصاة القَسْم مرتعها بالسِّيِّ ما يُنبتُ القفعاءُ والحسَكُ

و"اللَّقى": المطروح الذي لا يلتفت إليه.

و"شرَوْرَى": موضع، وشبهه في انفراده، وسوء حاله باليتيم.

و"المعيل": الفقير.

قال الأصمعي: وإنَّما قال: "لقى بشرورى" لأن القطا لا تبيض إلا في الأرض في مفاحص ونقر، ولا تعشش في الشجر.

و"غدت من عليه بعدما تم" أراد: أنَّها أقامت مع فرخها حتى احتاجت إلى ورود الماء، وعطشت فطارت تطلب الماء عند تمام ظِمِئها.

---

(١) الشقحطب: الكبش الذي له أربعة قرون.

و"الظِّمء": مدة صبرها عن الماء، وهو ما بين الشرب، إلى الشرب، ويروى "بعد ما تم خمسها" وهو: ورود الماء في كل خمسة أيام، ولم يرد أنَّها تصبر عن الماء خمسة أيام، وإنَّما ذلك للإبل لا للطير، ولكنه ضربه مثلاً، هذا قول أبي حاتم، ولهذا كانت رواية من روى "ظِمؤها" أحسن وأصح معنى.

وقال الأصمعي: قوله : "من عَليهِ" يريد من فوق الفرخ.

قال أبو عبيدة: ومعناه: غدت من عند فرخها.

وقال يعقوب في أبيات المعاني "بعد ما تم ظمؤها"، أي: أنَّها كانت تشرب في -كل ثلاثة أيام أو أربعة مرة، فلما جاء ذلك الوقت طارت.

قال أبو حاتم: وقلت للأصمعي: كيف قال: غدت من عليه، والقطاة إنَّما تذهب إلى الماء ليلاً، لا غدوة؟

فقال: لَم يرد الغدوة، وإنَّما هذا مثل للتعجيل، والعرب تقول: "بكر إليَّ العشية"، ولا بكور هناك، وأنشد أبو زيد:

بكرت تلومك بعد وهن في الندى بَسْلٌ عليك ملامتي وعتابي

وعلى هذا تناوله بيت النابغة الذبياني:

تحيد عن أَسْتَنٍ سوء أسافله مشي الإماء الغوادي تحمل الحزما

وقال أبو حاتم: ومعنى "تصل": تصوت أحشاؤها من العطش واليبس، "والصليل": صوت الشيء اليابس، يقال: جاءت الإبل تصل عطشًا.

وقال غيره: أراد أنَّها تصوت في طيرانها.

و"القيض": قشر البيض الأعلى.

ويروى: "بزيزاء مجهل" إضافة الزيزاء إلى المجهل، وبكسر الزاي.

ويروى: "بزيزاء مجهل" بفتح الهمزة، فيكون "مجهل" بهذه الرواية صفة لزيزاء، ولم يجز البصريون ذلك، فألف "فِعلاء" المكسورة الفاء، لا يكون عندهم إلا للإلحاق، وكذلك "فُعلاء" المضمومة الفاء، وإنَّما تكون الهمزة للتأنيث عندهم في "فَعْلاء" المفتوحة الفاء نحو: حمراء وصفراء.

واحتج الكوفيون بقول الله ﷻ: ﴿**مِنْ طُورِ سِينَاء**﴾ [المؤمنون: ٢٠]. في قراءة من كسر السين، فقال البصريون: ليس امتناعها من الصرف من أجل أنَّها للتأنيث،

إنَّما ذلك من أجل أنَّها ذُهِب بِها إلى الأرض، أو البقعة.

و"الزيزاء": الغليظ من الأرض، و"المجهل": القفر الذي ليس فيه أعلام يهتدى بِها.

ويروى: "ببيداء" وهي الفلاة التي تبيد من يسلكها: أي، تهلكه، وألفها للتأنيث في قول الفريقين.

وقوله: "ظل فرخها" جملة لها موضع من الإعراب؛ لأنَّها في موضع الصفة "للكدرية".

والباء في قوله: "بشروري" بمعنى "في"، والكاف في موضع الحال من الضمير في "لقى" أو في موضع الصفة للقى، و"مِنْ" متعلقة بغدت فلا موضع لها لتعلقها بظاهر، و"ما" مع "تم" بتقدير مصدر مخفوض ببعد، كأنه قال: بعد تمام.

و"تصلُّ" في موضع نصب على الحال.

وقوله: "أذلك" إشارة إلى ظليم ذكره قبل ذلك في قوله:

قطعتُ بشوشاة كأن قُتُودَها على خاضب يعلو الأماعز هيكل

و"الشوشاة": الناقة الخفيفة، و"القُتود": عيدان الرحل، و"الخاضب" من النعام: الذي أكل الربيع فاحمرت ظنبوباه وأطراف ريشه، فهو حينئذ أقوى ما يكون.

و"الأماعز": الأماكن الكثيرة الحجارة.

و"الهيكل": الضخم الخلق. وأنشد أبو القاسم في باب: "حتى":

١٧- فيا عجبًا حتى كليبٌ تسبني كأن أباها نهشلٌ ومجاشعُ

وهذا البيت للفرزدق وقد ذكرنا اسمه فيما تقدم.

ويروى: "فيا عجبًا" بالتنوين، "ويا عجبا" بغير تنوين.

فمن نونه فله وجهان:

أحدهما: أن يكون منادى منكورًا.

والثاني: أن يكون مصدرًا، والمنادى محذوف، كأنه قال: يا قومي اعجبوا عجبًا.

ومن لَم ينونه فله وجهان أيضًا:

أحدهما -وهو الأجود-: أن يكون منادى مضافًا، على لغة من يقول: يا غلامًا أقبل، كأنه قال: يا عجبًا احضر؛ فهذا من أوقاتك، والآخر: أن يريد: فيا عجباه، وأكثر ما تستعمل هذه الزيادة في الندبة، وقد استعمل في غير ذلك، نحو ما

أنشده بعضهم:

يا مرحباه بحمار ناجية إذا أتى قربتـــه للسانية

وقال آخر:

يا مرحباه بحمار عفراء إذا أتى قربته لِمَا يشاء

من الحشيش والشعير والماء

وقوله: "حتى كليب تسبني" كلام خرج مخرج الاستحقار منه لكليب؛ لأن "حتى": تستعمل في الاستحقار للشيء واستعظامه، فلم تعمل "حتى" في اللفظ شيئًا؛ لأنَّها لا تعمل في ألفاظ الجمل، إنَّما تعمل في مواضعها:

وفي الكلام محذوف، كأنه قال: أتسبني الناس، حتى كليب تسبني؟!

وأجاز الكوفيون خفض "كليب" على الغاية، ويكون "تسبني" تأكيدًا، كما تقول: ضربت القوم حتى زيد ضربته، فتخفض "زيد" وتجعل "ضربت" تأكيدًا مستغنيًا عنه، ومعناه: حتى كليب هذه حالها من السب والشتم، والسب -بكسر السين- الذي يسابك.

وقبل البيت:

أخـــذنا بآفاق السماء عليكم لنـــا قمراها والنجوم والطوالع

تنــــح عن البطحاء إن قديمها لنا والجبال الراسيات الفوارع

وكنــــا إذا الجبار صَعَّر خــدَّهُ ضربناه حتى تستقيم الأخادع

قال المفضل: أراد بالقمرين محمد، وإبراهيم، صلى الله عليهما، وأراد بالنجوم: الخلفاء المهديين. وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٨- سريتُ بهم حتى تكلَّ مطيُّهم وحتى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأرسانِ

هذا البيت من مشهور شعر امرئ القيس.

و"القَيْس": الشدة، كذا قال علي بن حمزة البصري، وأنشد:

وأنت على الأعداء قيس ونجدة وللطارق العافي هشام ونوفل

وقال غيره: القيس: اسم صنم نسب إليه، ولهذا كان الأصمعي يكره أن يقول: امرؤ القيس، وكان يروي: عقرت بعيري يا امرأ الله فانـــزل، ويكنى: أبا وهب، وأبا الحارث.

وذكر بعض اللغويين أن اسمه: جندح، وامرؤ القيس لقب له.

والجندح: كثيب أصفر من النَّقَى، والجندح: الرملة الطيبة(١).

و"السُّرَى": سير الليل.

ومعنى "ما يقدن بأرسان": أنَّها قد أعيت فلا تحتاج أن تقاد، ونحو قول الآخر:

من الكلال لا يذقن عودًا لا عَقْلاً تبغي ولا قُيَـــودًا

والباء متعلقة "بسريت"، فهي الباء التي تعاقب همزة النقل نحو قولك: ذهبت به، وأذهبته.

و"تكل مطيتهم": جملة في موضع خفض "بحتى"، وتقديرها تقدير المصدر الساد مسد الظرف، وكأنه قال: إلى حين كلال مطيهم، هذا في رواية من نصب "تكلَّ"، ونصبه من وجهين مختلفين:

أحدهما: بحتى، **والثاني:** بأن مضمرة.

ورفعه أيضًا على وجهين:

أحدهما: أن تقدره بالماضي، **والثاني:** أن تكون بمعنى الحال.

وأما من رفع "تكل"، فليست الجملة مخفوضة الموضع، ولكنها معطوفة على "سريت"، كأنه قال: سريت بهم حتى كلَّتْ مطيُّهم، وهي حال محكية بعد زمان وقوعها، فلذلك تقدر بالفعل الماضي، كأنه قال: سريت بهم حتى صاروا في هذه الحال، والحال يحكى بعد وقوعها كقولك: رأيت زيدًا أمس، وهو راكب، فقولك: "وهو راكب" حال بالإضافة إلى وقت إخبارك.

وقوله: "ما يقدن بأرسان" جملة في موضع رفع، على خبر المبتدأ كأنه قال: حتى الجياد غير مقودات أو غير مقودة.

والباء في قوله: "بأرسان" متعلقة "بيقدن"، فلا موضع لها لتعلقها بظاهر.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٩- ألقى الصحيفة كي يخفف رَحْله والزاد حتى نَعْلُه ألقـــاها

هذا البيت ينسبه الناس إلى المتلمس، ولم يقع في ديوان شعره، وإنَّما هو لابن

---

(١) الجندح والجندحة: رملة طيبة تنبت ألوانًا من النبات.

مروان النحوي، قاله في قصة المتلمس، حين فر من عمرو بن هند، حكى ذلك أبو الحسن الأخفش عن عيسى بن عمر، فيما ذكره أبو علي الفارسي، وبعده:

ومضى يظن بريد عمرو خَلفه خوفًا وفارق أرضه وقلاها

وإنَّما قال: "وفارق أرضه وقلاها" لقول المتلمس:

حَنَّتْ إلى النخلة القصوى فقلت لها

بســـل عليك ألا تلك الدهاريس

أمي شآمِيَّةً إذ لا عِــرَاق لنــــا

قوم نودُّهم إذ قومنا شُــــوس

لن تسلكي سُبُلَ البوباة منجـــدة

ما عاش عمرو ولا ما عاش قابوسُ

وكان المتلمس قد هجا عمرو بن هند بشعره الذي أوله:

قولي لعمرو بن هند غير متَّئبة

يا أخنس الأنف والأضراس كالعدسِ

ملك النهار وأما الليل مومسة

ماء الرجال على فخذيك كالقــرسِ

وكان طرفة قد هجاه أيضًا بشعره الذي أوله:

فليت لنا مكان الملك عمرو رَغوثًا حول قبتنا تدور

فاتصل ذلك بعمرو بن هند، ولم يظهر لهما شيئًا من التغير، ثم مدحاه بعد ذلك، فكتب لكل واحد منهما كتابًا، إلى عامله بالحيرة، وأمره فيه بقتلهما إذا وصلا، وأوهمهما أنه كتب لهما بصلة، إلى الحيرة، قال المتلمس لطرفة: كل واحد منا قد هجا الملك، فلو أراد أن يعطينا لأعطانا، ولم يكتب لنا إلى الحيرة، فهلم فلندفع كتبنا إلى من يقرؤها، فإن كان فيها خير دخلنا الحيرة، وإن كان فيها شر فررنا قبل أن يعلم بمكاننا.

فقال طرفة: ما كنت لأفتح كتاب الملك!

فقال المتلمس: والله لأفتحن كتابي، ولأعلمن ما فيه، ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده، فنظر المتلمس إلى غلام قد خرج من الحيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام؟.

قال: نعم.

فقال: هلم فاقرأ هذا الكتاب.

فلما نظر إليه الغلام، قال: ثكلت المتلمس أمه.

فقال لطرفة: افتح كتابك، فما فيه إلا مثل كتابي.

فقال: إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ عليَّ، ويوغر صدور قومي بقتلي.

فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة، وفر إلى الشام وقال:

وألقيتها بالثنى من جنب كافر كذلك أقنو كل قِطٍّ مضـــللِ

رضيت لها بالماء لِمَا رأيتــــها يحول بِها التيار في كل جدولِ

ولحق طرفة فقتل، ولحق المتلمس بالشام، وهجا عمراً بشعره الذي يقول فيه:

مـــلك يـــلاعب أمه وقطينها رخـــو المفاصل أيـــــره كالمِرْوَدِ

بالباب يرصدُ كل طالبِ حاجةٍ فـــإذا خـــلا فالمرء غير مسدَّدِ

وإذا حللْتُ ودون أرضي عادةٌ فابرق بأرضِكَ ما بدا لك وارْعَدِ

روى: "ألقى الحقيبة" وهي الخرج، يحمل فيه الرجل متاعه ونحوه.

ويروى: "ألقى الحشية" وهي ما يركب عليه الراكب. ومن روى: "حتى نعله" بالرفع، فالهاء في "ألقاها" يعود على النعل، لا غير، ومن نصب النعل أو خفضها، جاز أن يكون الضمير في "ألقاها" عائدًا على النعل وجاز أن يكون عائدًا على الصحيفة، ويكون في البيت تقديم وتأخير، كأنه قال: ألقى الصحيفة ألقاها كي يخفف رحله والزاد حتى نعله.

و"الرَّحل" للناقة كالسرج للفرس.

وأنشد أبو القاسم في باب "القسم":

٢٠- فخالفْ فلا والله تهبط تَلْعَةً من الأرض إلا أنت للذلِّ عارفُ

هذا البيت ينسبه قوم إلى مزاحم العقيلي، ولم أجده في ديوان شعره، وأظن أن الذي نسبه إليه توهم أنه من قصيدته التي أولها:

أشاقتك بالعرين دار تأبدتْ من الحي واشتدت عليها العواصف

وليس هذا البيت من هذه القصيدة، ولا فيها معنى يليق بِهذا البيت.

ومعنى هذا البيت: أن السائر في بلاد العرب، في غير الأشهر الحرم إن لَم يكن له مجير يجيره، ومُعاقِد يُعاقِده سُلِبَ في كل موضع، وربما قتل، فكان الرجل الغريب

يستجير بسيد الحي، فيكتب له على سهم أو غيره: فلان جاري، أو يصحبه من يسير معه، حتى يخرج من طاعته فيستجير بسيد حي آخر، فلا يزال يفعل ذلك بكل مكان مر به، حتى يلحق بحيه، ولذلك قال الأعشى في رجل خرج في شهر حرام، ثم هم الشهر بالانفصال، وهو لَم يصل إلى أهله، فاعتصم برجل أجاره وحماه، فقال له الرّفاد:

فقبلك ما أوفى الرّفاد لجاره فأنجاه مما كان يخشى ويرهبُ
تداركه في مُنصِلِ الآلِ بعدما مضى غير دَأْدَاءٍ وقد كاد يَعطبُ

و"المحالفة": المعاقدة، والمصالحة، وأصلها: أن يحلف كل رجل من الرجلين لصاحبه ألا يغدر به.

و"التَّلْعَة" هاهنا: المكان المنخفض من الأرض، وقد يكون المرتفع من الأرض، وبيت طرفة يحتمل الأمرين جميعًا، وهو قوله:

ولست بحلال التِّلاع مخافةً ولكن متى يسترفد القوم أرفد(١)

فمن جعل التلاع في هذا البيت المرتفعة، فمعناه: أنه لا ينـزل المواضع المرتفعة، مخافة أن يُغار عليه، ومن جعلها الموضع المنخفض كان معناه: أنه لا ينـزل المواضع الخفية فارًّا من قصد الأضياف إليه؛ لأن اللئيم يُخفي مكانه ويقصر سمك بيته لئلا يقصد.

ويؤيد هذا المعنى الثاني قوله: "ولكن متى يسترفد القوم أرفد"

وقوله: "فلا والله تهبط" أراد: فلا والله لا تهبط، فأوقع "لا" في غير موضعها، كما قال الأعشى:

أحل له الشيب أثقـاله وما اغتره الشيب إلا اغترارا

أراد: وما اغترارًا إلا الشيب.

ويمكن أن يكون لمـَّا ذكر "لا" الأولى"، أغناه ذلك عن أن يعيدها ثانية.

وقوله: "من الأرض" إن جعلت "من" متعلقة "بتهبط" فلا موضع لها، لتعلقها بظاهر، وإن جعلتها متعلقة بمحذوف فلها موضع، وهي في موضع الصفة "لتلعة".

وقوله: "إلا أنت للذل عارف": جملة لها موضع من الإعراب، لأنَّها في موضع

(١) بيت طرفة من معلقته ص ٧٣ من الديوان.

الحال من الضمير في "تهبط".

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢١- تالله يبقى على الأيام ذو حَيَدٍ بمشمخرّ به الظَّيَّان والآسُ

هذا البيت يروى لمالك بن خالد الخناعي، كذا في كتاب سيبويه.

وقال أبو جعفر أحمد بن عبيد: أنشدني أبو نصر هذا الشعر لأبي ذؤيب الهذلي قال: وأبو عمرو يروي هذا الشعر للفضل بن عباس عتبة بن أبي لهب.

ويروى "تالله" "ولله"، وكلاهما قسم فيه معنى التعجب.

ويعني بقوله: "ذو حَيد": الوعل، "والحيد": الروغان والفرار، كذا رواه أبو العباس محمد بن يزيد، ويروى: "ذو حيد" بكسر الحاء، وقال: هو جمع حَيدَة، بمنزلة: حيضة وحيض.

وكذا رواه أبو سعيد السكري في أشعار الهذليين.

وقيل: هو اعوجاج في قرن الوعل.

و"المشمخر": الجبل العالي، و"الظَّيَّان": ياسمين البر، و"الآس": الريحان، وقيل الآس: أثر النحل إذا مرت فسقط منها نقط من العسل، حكاه الشيباني.

وقيل: زَرَقُ النحل على الصفا.

وقيل: باقي الرماد على الأثافي.

وقال صاحب كتاب العين: الآس: شيء من العسل.

والباء في قوله: "بمشمخر" لها موضع أيضًا، وهي في موضع الصفة لمشمخر، كأنه قال: كائن به الظيان، أو مستقر به الظيان، و"الظيان" على هذا فاعل بالاستقرار، ويجوز أن يكون "الظيان" مرفوعًا بالابتداء، و"به" خبره، فيكون الباء على هذا في موضع رفع، وهي في الوجه الأول في موضع خفض، وتتعلق في الوجهين معًا بمحذوف.

وقوله: "على الأيام" في موضع الحال من "ذي حيد"، أي: لا يبقى ذو حيد والأيام متعاقبة عليه، وأراد: على تعاقب الأيام، أو على مرور الأيام، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وقبل هذا البيت:

يا مي إن تفقدي قومًا ولدتِّهم أو تخليهم فإن الدهر خلاسُ

عمرو وعبد مناف والذي عهدت ببطن مكة آبي الضيم عباسُ

ويروى: ببطن عرعر، كذا رواه أبو سعيد السيرافي، وأبو علي الفارسي.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢٢- فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعدًا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

هذا البيت من مشهور شعر امرئ القيس، وقد ذكرنا اسمه وكنيته فيما تقدم.

و"الأوصال": الأعضاء، واحدتها: وُصْل.

ومعنى: "لديك": عندك.

و"أبرح": أزال.

وجواب "لو" محذوف لتقدم ما أغنى عنه، كأنه قال: ولو قطعوا رأسي ما برحت!.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢٣- فقال فريق القوم لمَّا نشدتهم نعم وفريق لَيْمُن الله ما ندري

هذا البيت لنصيب، وكان عبدًا أسود، لرجل من أهل وادي القرى، فكاتب على نفسه، ومدح عبد العزيز بن مروان، فاشترى ولاءه.

ويكنى: أبا محجن، وزعم ابن قتيبة أن كنتيه: أبا الحجناء، وأنشد لكثير يهجوه:

رأيت أبا الحجناء في الناس جائزًا ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده وإن كان مظلومًا له وجه ظالم

"ونصيب": اسم منقول، يحتمل أن يكون تصغير "نُصُب"، وهو حجر كانوا يذبحون عليه ما يقربون للأصنام، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾ [المائدة: ٤].

ويحتمل أن يكون تصغير "نَصَب" وهو التعب، أو تصغير نَصْب مفتوح النون ساكن الصاد، وهو ما نصب، فعُبِد من دون الله، قال الله تعالى:﴿**كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ**﴾ [المعارج: ٤٣].

ويحتمل أن يكون تصغير نِصاب، أو نَصِيب، ويكون مصغرًا مرخمًا.

وروى الأصفهاني بسند أخبر به أبو بكر بن دريد، قال: لقيت يومًا نصيبًا بباب هشام بن عبد الملك، فقلت له: يا أبا مِحجَن، لمَ سميت نُصَيبًا؟ ألقولك في شعرك : عاينها النصب؟!

فقال: لا، ولكني ولدت عند أهل بيت من "ودَّان"، فقال سيدي: ائتونا به

نتظر إليه، فقال: إنه لمنصَّبُ الخلْق، فسميت النُّصيب، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني.

فهذا الخبر يقتضي أن يكون تصغير "مَنصَّب"(١)، وهو المشرف في استواء، ورُخِّم فحذفت زوائده، كما أنك لو صغرت محمدًا ورخَّمته لقلت: "حُمَيدًا".

وأما "المِحجَن": فعصا مُعْقفة الطرف، يقال لها: القَسْقَاسَة(٢)، وصحفتها العامة فقالت: الكَسْكَاسة.

و"الحجناة": تأنيث الأحْجَن، وجمع الأحجن: حُجْن، قال النابغة:

خطاطيف حُجْن في حبال منيفة تُمَدُّ بِها أيد إليك نوازع

وهو المعوج المعْقَف. والشعر الذي فيه هذا البيت من أجود شعره، وهو قوله فيها:

ألا يـــا عُقّـــابِ الوكر وكر ضريَّةٍ
سقيت الغوادي من عُقابٍ ومن وَكْرِ

تمر الليالي والشهــــور ولا أرى
مرور الليالي منسياتي ابنـــة العمر

تقول: صلينا واهجرينا وقد تـــرى
إذا هجرت أن لا وصال مع الهجر

فلم أرض ما قالت ولم أبد سخطة
وضاق بما جمجمت من حبها صدري

ظللت بذي وَدَّانَ أنشد بكــرتي
وما لي عليها من قَلوصٍ ولا بكـــر

وما أنشد الرعيان إلا تَعِلَّـــةً
لواضحة الأنياب طيبة النشـــر

فقال لي الرعيان لِمَ تلتبسْ بنـــا؟
فقلت بلى قد كنتُ منها على ذكر

---

(١) المنصب من الخيل: الذي يغلب على خَلْقِهِ كله نصب عظامه، حتى ينصب منه ما يحتاج إلى عطفه.

(٢) المحجن والمحجنة: العصا المعوجة، والقسقاسة: العصا.

وقد ذكرن لي بالكثيب مـؤالفًا
قلاص عدي، أو قلاص بني وبـر
فقال فريق القوم لـمَّا نشدتُهـم
نعم، وفريق ليمن الله ما نـدري
أما والذي حج الملبُّون ببيتـه
وعلَّم أيام الذبائـح والنحـر
لقد زادني للغمر حبًّا وأهلـه
ليال أقامتهـن ليلى على الغمر
فهل يأثمني الله في أن ذكرتُهـا
وعللت أصحابي بِها ليلة النفـر
وسكنت ما بي من ملال ومن كرى
وما بالمطايا من جنوح ومن فَتْـرِ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢٤- رضيعَيْ لِبَان ثدي أم محالفي بأسحم داجٍ عَوْضُ لا نتفرَّق

هذا البيت لأعشى بكر، وقد ذكرنا اسمه فيما تقدم.

وهو من شعر يمدح به المحلَّق بن جُشَم الكلابي، واسمه عبد العزيز، وسُمِّي "المحلق"؛ لأن بعيرًا عضه في وجهه، فصار فيه كالحلقة.

وقيل: بل كوى نفسه بكيَّة تشبه الحلقة.

وكان خامل الذكر لا صيت له، وكان له بنات لا يخطبهن أحد رغبة عنهن، فمر به الأعشى، فنحر له ناقة، لَم يكن له غيرها، وأطعمه وسقاه، فلما أصبح الأعشى قال له: ألك حاجة؟

قال: نعم، تشيد ذكري، فلعلني أشهر، ويرغب في بناتي، فنهض الأعشى إلى "عكاظ" وأنشد هذه القصيدة، فلم يمس حتى خطبت إليه جميع بناته!!

وقبل هذا البيت:

لعمري لقـد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار باليفـاع تحـرَّقُ

تشب لمقرريـــــن يصطليانـــــها

وبات على النار الندى والمحلـــــق

ترى الجود يجري ظاهرًا فوق وجهه

كما زان متن الهندواني رونـــــق

وإنَّما ذكر النار والمحالفة؛ لأنهم كانوا يتحالفون على النار، وجعل الندى والمحلق كأخوين رضعا لبانًا واحدًا، من ثدي أم واحدة، مبالغة في وصفه بالكرم، وذكر أنَّهما تحالفا وتعاقدا ألا يفترقا أبدًا، كما قال الآخر:

وإن خليليك السماحة والندى مقيمان بالمعروف ما دمت توجدُ

و"عَوْضُ": صنم كان لبكر بن وائل، وقيل: هو اسم من أسماء الدهر، وزعم المازني: أنه يضم ويفتح ويكسر، وأصله: أن ما كان من أسماء الدهر أن يكون ظرفًا، كقولهم: لا آتيك عوض العائضين، كما يقال: دهر الداهرين، ثم كثر حتى أجراه مجرى أدوات القسم.

وفي قوله: "بأسحم داج" سبعة أقوال:

١- قيل: هو الرماد، وكانوا يحلفون به كما يحلفون بالنار، قال الشاعر:

حلفت بالملح والرماد والنار وبالله نُســـلِمُ الَحلَقـــة

حتى يظل الجواد مُنْعَـــفِرًا ويخضب النَّبلَ غرّة الدَّرَقة

٢- وقيل: أراد الليل.

٣- وقيل: أراد الرحم.

٤- وقيل: أراد الدم؛ لأنهم كانوا يغمسون أيديهم فيه إذا تحالفوا، حكى هذه الأقوال الأربعة يعقوب .

٥- وقال غيره: يعني حلمة الثدي.

٦- وقيل: يعني زِقّ الخمر.

٧- وقيل: يعني دماء الذبائح التي كانت تذبح للأصنام.

وجعله "أسْحَم" لأنه إذا يبس اسْوَدَّ، وهذا نحو قول النابغة:

وما هريق على الأنصاب من جَسَد

وأبعد هذه الأقوال، قول من قال: "إنه أراد الرماد"؛ لأن الرماد لا يوصف بأنه

أسحم ولا داج، وإنَّما يوصف بأنه أزرق.

وأما "الدم" فقد وصفه الطِّرِمَّاح بالسواد في قوله يصف ثورًا:

فبات يقاسي ليل أنقد دائباً ويحدر بالقفِّ اختلاف العُجَاهِنِ

كطوف مُتلى حجة بين غبغب وقرٍّ مسود من النُّسكِ فاتن

وقوله: "تشب": أي توقد، و"المقْرُور": الذي أصابه القَرَّ وهو البرد، وخصَّه؛ لأنه يشعل النار لشدة حاجته إليها.

ومعنى "لاحت": نظرت وتشوفت إلى هذه النار، حكى الفراء: "لحت الشيء" إذا نظرته، وأنشد:

وأحمر من ضرب دار الملوك تلوح على وجهه جعفراً

بالتاء على الخطاب، وقال معناه: تنظر على وجهه جعفرا.

وجعل النار في "يفاع"؛ لأنه أشهر لها، ولأنها إذا كانت في يفاع، وهو الموضع المرتفع، أصابتها الرياح فاشتعلت.

وأما الإعراب: فإن قوله: "رضيعي" ينصب على أربعة أوجه:

إن شئت كان حالاً، وقوله: "على النار" خبر "بات".

وإن شئت جعلت "رضيعي" خبر "بات"، و"على النار" في موضع الحال.

وإن شئت كانا خبرين.

وإن شئت نصبت "رضيعي" على المدح.

وإن شئت جعلت "الرضيع" بمعنى الراضع، كقولهم: قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم، فيكون متعديًا إلى مفعول واحد، وإن شئت جعلته بمعنى مرضع، كقولهم: رب عَقِيد بمعنى مُعقد، فيتعدى إلى مفعولين.

ومن خفض "ثدي أم" جعله بدلاً من لفظ اللّبان، ومن نصبه أبدله من موضعه؛ لأنه في موضع نصب، ولا بد من تقدير مضاف محذوف في كلا الوجهين، كأنه قال: رضيعي لبان ثدي أمٍّ.

ويجوز أن يكون "ثدي" مفعولاً سقط منه حرف الجر، كأنه قال:

رضيعي لبان من ثدي أم.

وقوله: "عوض لا نفترق"، من جعل "عوض" اسم صنم جاز في إعرابه ثلاثة

أوجه: أحدهما: أن يكون مبتدأ محذوف الخبر، كأنه قال: عوض قسمًا الذي يقسم به، ويجوز أن يكون في موضع نصب على أن يقدر فيه حرف الجر وتحذفه كقولك: يمين الله لأفعلن.

ويجوز أن يكون في موضع خفض، على إضمار حرف القسم، وهو أضعف الوجوه.

ومن اعتقد هذا لزمه أن يجعل الباء في قوله: "بأسحم" بمعنى "في"، ويعني بالأسحم: الليل، أو الرحم.

ولا يجوز أن يكون الباء في هذا الموضع للقسم؛ لأن القسم لَم يقع بالأسحم، إنَّما وقع بعوض الذي هو الصنم.

ومن جعل "عوض" من أسماء الدهر، ففيه وجهان:

أحدهما: أن يكون بدلاً من "أسحم"، ويكون القول فيه كالقول في الوجه الأول.

والوجه الثاني: أن يكون القسم بالأسْحم، فتكون الباء فيه باء القسم، ويكون "عوض" ظرفًا، كأنه قال: لا نتفرق عوض، أي: لا نتفرق طول دهرنا.

وقوله: "لا نتفرق" جاء جواب القسم، على حكاية لفظ المتحالفين الذين نطقا به عند التحالف، ولو جاء به على لفظ الإخبار عنهما لقال: لا يفترقان، كما تقول: حلف الزيدان لا يخرجان، إذا أخبرت عنهما، ولم تَحْكِ لفظهما، فإن حكيت لفظهما قلت: حلف الزيدان لا نخرج.

وأنشد أبو القاسم في باب: "اسم الفاعل":

٢٥- بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقًا شيئًا إذا كان جائيا

وهذا البيت يروى لزهير بن أبي سلمى، ويروى لصِرْمَة الأنصاري، ويروى لابن رواحة الأنصاري.

و"زهير": اسم منقول، ويحتمل أن يكون تصغير زهْر، ويحتمل أن يكون تصغير أزهر وزاهر، فيكون مصغرًا مرخمًا.

أما "سُلْمَى": فاسم مرتجل غير منقول، مشتق من السلامة.

و"صرمة": منقول من الصرمة التي هي القطعة من الإبل، من عشرة إلى أربعين.

و"رواحة": مرتجل مشتق من الرَّوْح.

وقوله: "أني لست مدرك ما مضى" جملة في موضع رفع على فاعل "بدا"، كأنه

قال: بدا لي امتناعي من إدراك ما مضى.

وقوله: "لست مدرك ما مضى" جملة في محل رفع، على خبر "أن"، كأنه قال: إني غير مدرك ما مضى.

ويجوز في "سابق" النصب بالعطف على "مدرك"، والرفع على إضمار مبتدأ، والخفض على توهم الباء في "مدرك"، كأنه قال: لست بمدرك ولا سابق، أجاز ذلك سيبويه.

ومن النحويين من لا يجيز الخفض، ومثله قول الأحوص:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعبًا إلا ببين غرابها

ويجوز أن تكون "ما" موصولة بمعنى الذي، و"مضى" صلة لها، ويجوز أن تكون اسمًا منكورًا، و"مضى" في موضع خفض على الصفة لها، كأنه قال: مدرك شيء مضى، ويقوي ذلك ذكره الصفة بعد ذلك، فيكون بمنـــزلة قول الآخر:

ربما تكره النفوس من الأمـــــ ... ـــر له فرجة كحل العقــال

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢٦- إني بحبلك واصلٌ حبلي ... وبريش نبلك رائش نبــلي

هذا البيت يروى لامرئ القيس بن حجر، ويروى لامرئ القيس بن عائش، وكلاهما من كِنْدَة.

و"عائش": اسم منقول من الصفة، و"حُجْر": اسم منقول من النوع؛ لأن الحُجر، والحِجر بالضم والكسر: الحرام، قال الله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحجُــورًا**﴾ [الفرقان: ٢٢]. أي: حرمًا محرمًا. وتقول العرب: "حُجْرًا له وحِجْراً" أي دفعًا ومنعًا له، قال الراجز:

قالت وفيها حَيْدةٌ وذعــــر ... عَوْذٌ بربي منكم وحُجْــــر

ومعنى هذا البيت: أنه مثل مضروب للموافقة والمتابعة، يقول: أصل حبلي بمن وصلت به بحبلك من الأوِدَّاء، وأريش نبلي بمن رشته نبلك من الأعداء، وبعده:

مـــا لَم أجدك على هدى أثر ... يقـــــرو مقصك قائف قبلي

وخلائـــقي ما قد علمت وما ... نبحت كلابـــك طارقًا مثلي

إني لأصرم من يصـــــارمني ... وأجِدُّ وصل مَن ابتغى وصلي

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢٧- وكم مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدمى

هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة، ويكنى: أبا الخطاب.

و"عمر": معدود في الأسماء المرتجلة، وإن كان معدولاً عن عامر المعدود في الأسماء المنقولة من الصفات.

فإن قلتَ: رجل عُمَر، إذا كان كثير الاعتمار، وقالوا: عمرة الحج، وجمعها: عُمَرٌ، فما الذي يمنع أن يكون منقولاً من أحدهما؟

قيل: يمنع من ذلك أنه لو كان منقولاً من أحدهما لانْصَرف.

وأم "ربيعة": فبيضة السلاح.

وهذا الشعر قاله عمر بن أبي ربيعة في بنت مروان بن الحكم، وكانت قد حجت، وأحبت أن تراه، وخشيت أن يتغزل بها فيفضحها، فدست إليه امرأة ساقته في الليل معصوب العينين، لئلا يعلم إلى أين يحمل، فأخذ في يده شيئًا من حِنَّاء، فلما وصل إلى الخِباء مس بتلك الحِناء حاشية الخباء، فلما دخل أزيلت العصابة عن عينيه، وحادثته مدة من الليل، فلما حان انصرافه عُصِبت عيناه وحُمِل مقودًا إلى منزله، فلما أصبح قال لبعض غلمانه:

اذهب فطف بين الأخبية، فإذا وجدت حناء على خباء، فسل لمن هو؟

فذهب الغلام وعاد إليه، فأخبره: أنه خباء بنت مروان بن الحكم، ورأت هي أثر الحناء في حاشية الخباء، فعلمت أنه هو الذي فعل ذلك، فوجهت إليه ألف دينار، ورغبت إليه ألا يفضحها، فاشترى بها عطرًا وَبزًّا، وأهداه لها، فأبت أن تقبله، فقال: والله لئن لَم تقبليه لأُنهينَّه في الناس، فيكون أشهر للأمر، فقبلته.

وقال في ذلك ولم يسمها:

وكم من قتيل لا يُبَاءُ به دم ومن غَلَقٍ رهنًا إذا ضَمَّه مِنَى
وكم مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمَى
يجرون أذيال المُرُوط بأسوق خدال إذا ولين أعجازها روى
أوانس يسلبن الحليم فؤاده فيا طول ما جُزْن ويا حسن مجتلى
فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج أقلتن ذا هوى

وقوله: "لا يُبَاءُ به دم": أي لا يؤخذ له قَوَد، ويقال: أبأت فلانًا بفلان، إذا

قتلته به، ولا يكاد يستعمل إلا والثاني، كفء للأول.

وقوله: "ومن غلق رهنًا" منصوب على التمييز، أراد ومن رجل غلق رهنه، ثم نُقِلَ الضمير إلى الصفة، فصار بمنـــزلة، "حَسَنٌ وجهًا".

وأجاز أبو العباس محمد بن يزيد نصبه على الحال، وخفضه على البدل من غلق.

ومعنى: "غلق الرَّهن": أن يثبت عند المرتهن فلا يقدر على فكاكه.

ويروى: "البيض" بالرفع، وهو المشهور.

وروى بعضهم: "البيض" بالخفض على البدل من شيء، كأنه قال:

وكم مالئ عينيه من البيض كالدمى

و"المروط": أكيسة من خز، وتكون من غيره.

و"الخِدال": الممتلئة، وكذلك "الرِّوَى": جمع ريان وهو ممدود، وقصره للضرورة.

و"المجتلى": المنظر، وهو مفتعل من قولك: اجتليت الشيء إذا نظرت إليه.

ومعنى "أقلتن": أهلكن بالقاف، وتقديم اللام على التاء، والقلت: الهلاك، ويروى "أقتلن": أي: عرضته للقتل، بالقاف أيضًا، وتقديم التاء على اللام، ويروى "أفلتن" بالفاء وتقديم اللام على التاء، أي: خلصنه فانفلت ولم يفتتن بما رأى.

"والتجمير" من الجمار.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢٨- هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق

هذا البيت لا أعلم قائله، و"دينار" هاهنا اسم رجل.

وقوله: "أو عبد رب" ينتصب بالعطف على موضع "دينار"، لأنه مخفوض اللفظ، منصوب في المعنى، ويجوز نصبه بإضمار فعل، كأنه قال: أو تبعث عبد رب، وهو الذي ذهب إليه أبو القاسم -رحمه الله-، ويجوز: أو عبد رب أخي بالخفض.

وزعم عيسى بن عمر: أنه سمع العرب تنشده منصوبًا.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٢٩ - الضاربون عُميرًا عن بيـــوتهم بالتل يوم عمير ظالم عادي

هذا البيت للقطامي، وقد ذكر اسمه فيما تقدم من شعره، وهو يمدح به زفر ابن الحارث القيسي، وكان أسره ثم أطلقه، وقبله:

نُبئت قيسًا على الحشَّاكِ قد نـــزلوا   منـًا بحي على الأضياف حُشَّـــادِ

في المجد والشرف العالي ذوي أمل   وفي الحيـــاة وفي الأموال زهـــاد

"الحشاك": اسم ماء، وقيل: أرض، وقيل: الذين يحشدون في كرامة الضيف أي: يختلطون، واحدهم: حاشد، وهو نحو قول الآخر:

المانعين من الخنا جـــاراتهم   والحاشدين على طعام النـــازل

وأراد بـــ "عمير": عمير بن الحباب السلمي، وكانت تغلب قد قتلته.

و"التل": موضع كانت فيه وقيعة.

ويروى: الضاربين، والضاربون. و"العادي": المعتدي.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٣٠ – الفارجو باب الأمير المبهم

هذا الرجز لرجل من بني ضبة.

و"الفارجون باب الأمير": الفاتحوه، و"المبهم": المغلق، يقال: فرجت الباب إذا فتحته، وأبهمته إذا أغلقته، وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن تريد أنَّهم يغلبون الملوك، ويَلجُون أبوابهم التي قد حصَّنوها، فيكون كقول الآخر:

حَمَّال ألوية شهَّاد أنديـــة   شَدَّاد أوهبة فَتَّاح أسداد

والوجه الآخر: أن يريد أنَّهم أعزة أشراف، إذا وفدوا على الرؤساء لَم يمنعوا من الدخول عليهم، فيكون مثل قول الآخر:

من النفر البيض الذين إذا انتهـــوا   وهاب الرجال حلقة الباب فعقوا

وهو ضد ما قاله جرير، في هجائه للتَّيم، وهو قوله:

قوم إذا حضر الملوك وفودهم   نُتِفَتْ شوارِبُهم على الأبواب

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٣١– الحافظو عــــورة العشيرة لا   يأتيهم من ورائنا وَكَـــفُ

هذا البيت لقيس بن الخطيم الأنصاري.

و"قيس": اسم منقول، وقد ذكرناه فيما تقدم.

"الخطيم": من قولهم: خَطَمتُ البعير، فهو خطيم، ومخطوم، إذا جعلت في أنفه

الخطام، وهو الزمام.

وإنَّما سمي بذلك؛ لأنه ضُرِبَ على أنفه، فبقي فيه أثر الضرب، وقبل هذا البيت:

أبلغ بني جحجى وقومهم الـ أشـراف أنَّا وراءهـم أُنُفُ

وإننـا دون ما يسومهم الـ أعـداء من ضَيْم خطة نُكْفُ

"العورة": المكان الذي يخاف منه العدو.

و"الوكف" هاهنا: العيب، ويروى: "نطف" وهو نحو الوكف، والنطف - أيضًا-: الريبة والتهمة.

يقول: نحن نحفظ عورة العشيرة، فلا يأتيهم من ورائنا شيء يعابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته. هذا على رواية من روى: "من ورائنا".

ومن روى: "من ورائهم" أخرج الضمير مخرج الغيبة على لفظ الألف واللام؛ لأن معنى "الحافظو عورة العشيرة": نحن الذين يحفظون، كما نقول: أنا الذي قام، فخرج الضمير مخرج الغيبة وإن كنت تعني نفسك؛ لأن معناه: أنا الرجل الذي قام، وقد يقولون: أنا الرجل الذي قمت، فعلى هذه الرواية، رواية من روى: "من ورائنا". ومثل قول الآخر:

وأنـا الذي قتلت بكرًا بالقنا وتركت تغلب غير ذات سَنامِ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٣٢- يا رُبَّ غابطنا لو كان بطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا

هذا البيت لجرير بن عطية بن حذيفة، من بني كلب بن يربوع.

و"جرير": من الأسماء المنقولة؛ لأن الجرير: زمام البعير، قال الشاعر:

يرى في كف صاحبه حلاه فيعجبه ويفزعه الجرير

وسمي "جريرًا"؛ لأن أمه كانت ترى في نومها وهي حامل به أنَّها تلد جريرًا، فكان يلتوى على عنق رجل فيخنقه، ثم في عنق آخر، حتى كاد يخنق عدة من الناس، ففزعت من رؤياها، وقصتها على معبر، فقال لها: إن صدقت رؤياك ولدت ولدًا يكون بلاء على الناس، فلما ولدته سمته جريرًا لِمَا كانت رأت في النوم، فكان تأويل رؤياها أنه هاجى ثمانين شاعرًا فغلبهم كلهم إلا الفرزدق.

و"عطية": منقول من العطية، ويراد بِها الهبة.

و"حذيفة": منقول، تصغير "حذفة"، وهي الرمية بالعصا.

ويلقب حذيفة الخطفي بقوله:

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جِنَانٍ وهاما رُجَّفا

وعنقاً باقي الرسيم خطيفا

ويروى: "حطيفا"، وهو السريع.

ويكنى جرير: أبا حرزة، بابن كان له، و"الحَرْزة": الفَعْلة من حرزت الشيء، إذا حرصته، والحرزة أيضًا: خيار المال، وفي الحديث:

«**لا تأخذوا من حرزاتِ أموال الناس شيئًا**».

و"الحرزة" أيضًا: حموضة اللبن. وقبل بيت جرير:

إن العيـــون التي في طرفها حور قتلننـــا ثم لَم يحيين قتلانـــا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلـق الله إنسانـا

و"الغابط": نحو الحاسد، إلا أن الغابط: هو الذي يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره، من غير أن يسلب المغبوط نعمة.

والحاسد: هو الذي يتمنى أن يسلب المحسود نعمته، وإن لَم ينل هو منها كفعل إبليس -لعنه الله- مع آدم عليه السلام.

يقول: رُبَّ رجل يظن أننا نظفر منكم بما رغبنا، وأنكم تبذلون لنا من وصلكم ما أملناه، فيغبطنا على ذلك، ولو طلب وصلكم كما نطلب، لَم يظفر بشيء مما يرغب!

وأنشد أبو القاسم في باب :"الأمثلة التي تعمل عمل اسم الفاعل":

٣٣- ضَروبٌ بنصل السيف سوق سمانِها إذا عدموا زادًا فإنك عاقرُ

هذا البيت لأبي طالب عم النَّبِي ﷺ، من شعر رثى به أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان خَتَنَه، فخرج تاجرًا إلى الشام، فمات بموضع يقـال لـه: "سر وسحيم"، فقال: أبو طالب يرثيه:

ألا إن زاد الركب غير مدافع بسر وسحيم غيبته المقابر

بسر وسحيم عارف ومناكر وفارس غارات خطيب وياسر

تنادوا بأن لا سيد الحي فيهم وقد فُجعَ الحيان كعب وعامر

وكان إذا يأتي من الشام قافلاً بمقدمه تسعى إلينا البشائر
فيصبح أهل الله بيضًا كأنما كستهم حبيرًا ريدة ومعافر
ترى داره لا يبرح الدهر عندها مجعجعة كوم سمان وباقر
إذا أُكلِت يومًا أتى الغد مثلها زواهق زُهم أو مخاض بهازِر
ضروب بنصل السيف سوق سمانها إذا عدموا زادا فإنك عاقر
وإن لَم يكن لحم غريض فإنه تكب على أفواههن الغرائر
فيا لك من ناع حييت بآلـــة شراعية تصفر منها الأظافـــر

و"نصل السيف: شفرته، فلذلك أضافه إلى السيف، وقد يسمى السيف كله: نَصْلاً، مدحه بأنه كان يعرقب الإبل للضيفان عند عدمه الأزواد، و"سر وسحيم" أعلاه.

و"الْياسِر": اللاعب بالميسر، و"القافل": الراجع من السفر.

و"البشائر": جمع بشارة.

وعنى "بأهل الله": قريشًا، وكانت العرب تسميهم: أهل الله، لكونهم أرباب ملة.

و"الحبير": ثياب ناعمة، كانت تصنع في اليمن.

و"رَيْدَة": بلدة ذكرها طرفة في قوله:

وبالسفح آيات كأن رسومها يمانٌ وشَتْه رَيَدة وسَحُولُ

أراد: أهل ريدة.

و"معافر": قبيلة من قبائل اليمن.

و"المجعجعة": المصروعة، و"الكوم": الإبل العظام الأسنمة.

و"الباقر": اسم لجماعة البقر، و"الزواهق": السِّمان، "الزُّهم": الكثيرات الشحم، واحدها: زَهِم، وقال زهير:

القائد الخيل منكوبًا دوابرها منها الشَّنُون ومنها الزاهق الزَّهِمُ

و"المخاض": الحامل من الإبل، واحدتها: خَلِفَة -من غير لفظها-، و"الغريض": الطري.

ومعنى "تُكَبُّ": تصب، و"الغرائر": الأعدال، جمع غَرَارَة.

و"الناعي": الذي يخبر بموت الإنسان، و"الآلة": الحربة، و"الشراعية": التي أشرعت للطعن، أي: سُدِّدَت، و"حُبِسَت" أي: خصصت.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٣٤ - حذر أمورًا لا تضير وآمـن ما ليس منجيه من الأقدار

هذا البيت مصنوع ليس بعربي، واختلف في صانعه، فزعم قوم أنه لابن المقفع، وحكى المازني قال: أخبرني أبو يحيى اللاحقي، قال: سألني سيبويه عن "فَعِل" أيتعدى فوضعت له هذا البيت، ولأجل هذا رد هذا البيت على سيبويه.

وقد وجدنا في شعر زيد الخيل الطائي بيتًا آخر لا مطعن فيه، وهو قوله:

ألم أخبركما خبرًا أتـاني أبو الكساح جَدَّ به الوعيدُ

أتاني أنَّهم مزقون عـرضي جِحـاشُ الكرملين لها فديد

وأما معنى البيت، فيحتمل أمرين:

أحدهما: أن يصف إنسانًا بالجهل، وقلة المعرفة، وأنه يضع الأمور غير مواضعها، فيأمن ما لا ينبغي أن يُؤْمن، ويحذر ما لا ينبغي أن يُحذر!

والوجه الثاني -وهو الأشبه عندي-: أن يكون أراد أن الإنسان جاهل بعواقب الأمور، يدبر فيخونه القياس والتدبير، فيكون كقوله تعالى: ﴿**فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩]، و﴿**عَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ٢١٦]. ونحو قول أبي العتاهية:

وقد يهلك الإنسان من وجه أمينة وينجو بإذن الله من حيث يحذر

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٣٥- ثم زادوا أنَّهم في قومـهم غُفُرٌ ذنبهم غير فُخُـرْ

هذا البيت من مشهور شعر طرفة.

ويروى: "فجر" بالجيم وهو جمع فجور، وهو الكثير الفسق ويكون الكثير الكذب؛ لأنه يقال: فجر الرجل إذا كذب.

ويروى أن أعرابيًّا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن ناقتي قـد نَقَبَتْ ودَبَرَتْ فاحملني!.فقال: والله ما بناقتك نَقَبٌ، ولا دَبَر! فقال الأعرابي:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر

اغفر له اللهم إن كان فجر

فقال عمر: اللهم اغفر لي، ثم حمله.

ويروى: "غير فُخُر" بخاء معجمة، ومعناه: لا يفخرون بشرفهم، ولا يعجبون بنفوسهم، ولكنهم يتواضعون للناس، كما قال الآخر:

ألم تر قومًا غيرنا خير قومهم أقل به مَنًّا على قومهم فَخْرا
وما تردعنا الكبرياء عليهم إذا كلمونا أن نكلمهم نــَزْرا

وأنشد أبو القاسم في باب: "الصفة المشبهة باسم الفاعل":

٣٦ - لاحِقُ بطنٍ بِقَرًا سمينِ

هذا البيت لحميد الأرقط، و"حميد": من الأسماء المنقولة يحتمل أن يكون تصغيرًا مرخَّمًا من أحمد، أو من حامد، أو من محمود، أو من حميداء، أو من حمدان، فإن هذه الأسماء كلها إذا صغرت ورخمت رجعت كلها إلى "حميد".

و"الأرقط": نحو من الأبرش، وصف حمارًا.

وزعم بعض من تكلم في أبيات الجمل أنه يصف فرسًا، وذلك غلط، والدليل على أنه وصف حمارًا قوله قبله:

أقبُّ مِيفَاء على الرُّزُونِ
أحقب شحاج مِشلٍّ عون

و"الأقبُّ": الضامر الخصرين، و"الميفاء": المشرف، والفعل منه: أوفى. والفعل الرباعي لا يبنى منه مِفعال، إنَّما يبنى مفعال من الثلاثي، ولكنه جاء على حذف الزيادة، كما قالوا: مهاوين، جمع مِهْوان، وهو رجل معطاء، وهو من "أعطى" ، قال الكميت:

شــمٌّ مهاوين أبدان الجزور مخا مِيصُ العشيات لا خور ولا قُزُمُ

فمهاوين: جمع مِهْوان، وهو من "أهان".

و"الرُّزُون": مواضع منخفضة، يجتمع فيها الماء.

و"الأحْقَب": الذي في كفله بياض، وهو موضع الحقيبة.

ومعنى "لاحِق بطْنٍ": أن بطنه قد ضمر، حتى لحق بظهره، كما قال امرؤ القيس:

طواه إضمار الشد فالبطن شازب معالًى إلى المتنَين فهو خميص

و"الشَّحَّاج": الشديد الشحيج، وهو الصوت.

و"المِشَلُّ": الكثير الشَّلَّى، وهو الطرد.

و"العُون": جماعات الحمير، واحدتها: عانة. و"القَرا": الظهر.

وأنشد أبو القاسم في باب: "التعجب":

٣٧ – إذا الرجال شتوا واشتد أكلهم فأنت أبيضهم سِرْبَال طَبَّاخِ

هذا البيت لطرفة بن العبد، في شعر يهجو به عمرو بن هند، وأنشده الفراء: عن الكسائي:

أما الملوك فأنت اليوم ألأمهم لؤمًا وأبيضهم سربال طباخ

وأنشد أبو محمد بن رستم في شعر طرفة عن يعقوب يهجو عمرو بن هند:

أبا الجراميق ترجو أن تدين لكم ياابن الشديخ ضباعٌ بين أجياخِ
أنت ابن هند فأخبر من أبوك إذًا لا يُصْلِحُ الملك إلا كل بذاخ
إن قلت نصر فنصر كان شرَّ فتى قِدْمًا وأبيضهم سربال طباخ
ما في المعالي لكم ظل ولا ورق وفي لمخازي لكم أسناخ أسناخ
إن قُسّم المجد أكدى عن سراتكم أو قُسِّم اللوم فُضِّلتم بأشيــــاخ

"الجراميق": النبط، وهم قوم من العجم.

و"الشديخ": الذي شدخ رأسه.

و"الضباع": نوع من السباع عُوجٌ خِلْقَةً، يشبه بِها رهطه في الحمق؛ لأن الضبع يوصف بالحمق، وهي مرفوعة بــ"بترجو".

و"الأجياخ": الحجارة، عن الطوسي.

و"البذاخ": الكثير الفخر بآبائه وأفعاله.

و"الأسناخ": جمع سِنخ، وهو الأصل من كل شيء، ومعنى "أكدى": قصر ونقص في هذا الموضع، وتكون في موضع آخر بمعنى زاد، وهو من الأضداد.

و"سراة القوم": أشرافهم.

والمراد ببياض سربال طَبَّاخٍ: أنه قليل الطبخ، فسرباله نقي لا سواد فيه، وهو ضد قول مسكين الدارمي:

كــأن قدور قومي كل يوم قباب التــرك ملبسة الجلال
كأن الموقديــن لَها جِمــَالٌ طــلاها الزِّفت والقطران طالي
بأيديهم مغارف من حديــد يشبهها فُقَيِّرة الـــدوالي

"الفقيرة": البئر التي يجري فيها الماء من غيرها.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٣٨- جارية في درعهـــا الفضفاض أبيض من أخت بني إبـــاض

هذا الشعر لا أعلم قائله، وقد وجدت ابن الأعرابي أنشده في نوادره:

يـــا ليتني مثلك في البياض أبيض من أخت بني إباض

جارية في رمضـــان الماضي تقطـــع الحديث بالإيماض

وفسر قوله: "تقطع الحديث بالإيماض"، فقال: إذا أومضت تركوا حديثهم ونظروا إليها من حسنها.

وقوله: "في رمضان الماضي": كان جمعهم الربيع في ذلك الوقت، و"الإيماض": ما يبدو من بياض أسنانها، عند الضحك والابتسام، وشبه بوميض البرق، وقد بين ذلك ذو الرمة بقوله:

وتبسم لمح البرق عن متوضِّح كلون الأقاحي شاق ألوانه القَطْرُ

وقال آخر:

كأن وميض البرق بيني وبينها إذا حان من بين البيوت ابتسامها

وزاد غير ابن الأعرابي:

مثل الغزال زُيِّـــن بالخضاض قَبَّاء ذات كفل رَضْرَاض

و"درع" المرأة: قميصها، و"الفضفاض": الطويل الكامل.

و"بنو إباض": قوم، و"الخَضَاض": اليسير من الحلي، وقيل: هو نوع منه، قال الشاعر:

وإن أشرقت من كِفَّةِ السِّتر عاطلا لقلت غزال ما عليه خضاض

و"القَبَّاء": الضامرة البطن، و"الرضراض": الكثيرة اللحم.

وأنشد أبو القاسم -رحمه الله تعالى- في باب: "حبذا":

٣٩- يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

هذا البيت لجرير بن الخطفي، وقد ذكرنا اشتقاق اسمه فيما مضى من الكتاب، وهو من قصيدة يهجو فيها الأخطل، وبعد هذا البيت:

وحبـــــذا نفحات من يمانية تأتيك من قبــــل الريان أحيانا

هبت جنوبًا بذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة التي شرقي حورانا

وقوله: "يا حبذا" يحتمل أن تكون "يا" نداء، والمنادى محذوف، كأنه قال: يا

قوم حبذا جبل الريان.

ويحتمل أن تكون استفتاح كلام، وهو قول الأصمعي، ونحوه قول الراجز:

يا لعنة الله على أهل الرقم

أهل الوقير والحمير والخزم

وقوله: "من جبل" في موضع نصب على التمييز، والعامل فيه الجملة المتقدمة كما قال الآخر:

يا فارسًا ما أنت من فـــارس موطإ الأكناف رحب الذراع

كأنه قال: هو حبيب إليّ من بين الجبال، أو أخصه بمحبتي من بين الجبال، كذا قال الكسائي والفراء.

و"نفحات": جمع نفحة، من قولك: نفحت الريح، إذا هبت.

ويعني باليمانية: الجنوب؛ لأنَّها تهب من قِبَل اليمن، وقد أوضح ذلك بقوله: "هبت جنوبًا".

وروى سيبويه: "هبت جنوبًا فذكرى ما ذكرتكم"، ومعناه: قد ذكرتكم ذكرى.

و"ما": زائدة، و"حَوْرَان": جبل، و"من": في موضع نصب على خبر كان، واسمها مضمر فيها، كأنه قال: أي شيء كان؟

وأنشد أبو القاسم في باب: "الفاعلين، والمفعولين اللذين يفعل كل واحد منهما بصاحبه مثل ما يفعل الآخر":

٤٠- ولكن نصفًا لو سببت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم

هذا البيت للفرزدق، وهو من شعر يهاجي به جرير بن الخطفي. وقبله:

وإن حرامًا أن أسب مقاعســا بآبائي الشم الكرام الخضـــارم

وإن نصفًا لــــو سببت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم

أولئك آبـــائي فجئني بمثلهم وأعبد أن تهجى كليب بـــدارم

"الشمُّ": جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه استواء وارتفاع، وذلك مما يمدح به، ويستعمل أيضًا بمعنى العزة والأنفة، وهو من الناقة مستعار، وهي التي تعطف على البوِّ، فربما رئمته، وربما شمته بأنفها فلم ترأمه، يضرب ذلك مثلاً، وقد ذكر أبو تمام الطائي في قوله:

من الردينية اللاتي إذا عسلت تشم بو الصغار الأنف ذا الشمم

و"الخضارم": الأجواد الكرام، شبهوا بالبحور، يقال: بحر خضرم، إذا كان كثير الماء.

و"النِّصف": الإنصاف، يقول: ليس من الإنصاف أن أهاجي من هو دوني في الحسب، وجلالة المنصب؛ وإنَّما الإنصاف أن أهاجي من هو كُفْءٌ لي.

ومعنى "أعبد": آنف وأكره، ويقال: عبدْت من الشيء أعبد عبداً، إذا أنفت منه وغضبت، ومنه قول الله ﷻ: ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ [الزخرف: ٨١]. أي: الآنفين.

وقوله: "لو سببت وسبني" جملة في موضع خبر، "لكن" محمول على المعنى، كأنه قال: ولكن الإنصاف أن أسب بني عبد شمس.

و"هاشم" معطوف على "عبد شمس" لا على "مناف"؛ لأن عبد شمس وهاشماً أخوان، أبوهما عبد مناف، وقد أوضح ذلك الفرزدق، في شعر مدح به هشام بن عبد الملك، وهو قوله:

ورثتم ثياب المجد فهي لبوسكم   عن ابني مناف: عبد شمس وهاشم

وقال في قصيدة أخرى:

ولو سئلت من كفؤنا الشمس أومأت

إلى ابني مناف: عبد شمس وهاشم

وأما رغبة الفرزدق بنفسه عن مهاجاة من هو دونه، فمذهب غير متفق عليه، بل للعرب في ذلك ثلاثة مذاهب.

كان منهم من يسميه: الخسيس، فيكرم نفسه عن مراجعته، كما يروى عن بشار بن برد، أنه وقف أمامه رجل من الشُّطَّار، وبشار ينشد، فقال: استر شِعْرَك كما تستر عورتك، فصفق بشار بيديه وغضب، وقال: من أنت ويلك؟! فقال: أنا رجل من "باهِلة"، وأخوالي: "سَلُول"، وأصهاري" عكل"، واسمي "كلب"، واسم أبي: "قرد"، ومولدي" "بأضاح"، ومنزلي بنهر بلال، فضحك بشار، وقال: اذهب، ويحك، فأنت عتيق لؤمك، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد.

ونحو هذا قول الآخر:

نجا بك عرضك منجى الذباب   حمته مقاديره أن ينالا

وقال الآخر:

أسمعني عبـــد بني مِسْمـــــع فصنت عنـــه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقـــــاري لـــــه ومن ذا يعض الكلب إن عضا

وكان منهم من إذا هجاه الخسيس هجا أفضل عشيرته كما قال الآخر:

إني إذا هر كلب الحي قلت له اسلم وربك مخنوق على الخور

وكان منهم من يهجو كل من هجاه من شريف وخسيس، وقد سلك الفرزدق هذا المسلك، فناقض ما قاله في هذا الشعر.

وقال أبو تمام:

رجا أن تنجيه خساسة قدره ولم يدر أن الليث يفترس الكلبا

وأنشد أبو القاسم -رحمه الله تعالى- في هذا الباب:

٤١- وكمتًا مدماة كأن متونهـــا جرى فوقها واستشعرت لون مذهب

هذا البيت لطفيل بن عوف بن ضبيس الغنوي، ويكنى: أبا قران، وكان يسمى: محبرًا واختلف في تسميته بذلك.فقال أبو عبيد: سمي بذلك لحسن وصفه للخيل، وقال ابن قتيبة: سمي بذلك لحسن شعره، وكذلك قال أبو عبيد، وقال الصولي: سمي بذلك لقوله يصف بردًا:

سماوته أسمال برُدٍ مُحَبَّر وصهوته من أتحميٍّ معَصَّبِ

وأصح هذه الأقوال: أنه سمي بذلك لحسن شعره.

وروي عن معاوية: أنه قال: دعوا لي طُفيلاً وسائر الشعراء لكم.

و"طفيل": من الأسماء المنقولة، يحتمل أن يكون تصغير طفل- المفتوح الطاء- وهو الرخيص الناعم، يقال: بازٍ طَفَل.

ويحتمل أن يكون تصغير طِفل -المكسور الطاء- وهي لفظة مشتركة، لها معان مختلفة، فالطفل: الصغير من الأناسي وغيرهم، واختلف الناس في قول زهير بن أبي سلمى:

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن إلى الليل إلا أن يُعرِّجني طِفْل

فقال قوم: ولد الناقة، أي: إلا أن تلد ناقتي، فأعرج عليها.

وقيل: أراد بالطِّفْل ما يسقط من الزند إذا قدح، أي: إلا أن أقدح نارًا، فأنـــزل، قال ذو الرمة، يصف شررة سقطت من الزند عند الاقتداح:

فلما بدت كفَّنْتُها وهي طفلة بطلسإ لَم تكمل ذراعًا ولا شبرا

ويروى: وهي حية.

وقال قوم: أراد بالطَّفْل: اصفرار الشمس، وميلها للغروب.

والأشهر في هذا "طَفَل" بفتح الطاء والفاء.

وقال ابن قتيبة: الطَّفْل: صلاة لهم كانوا يصلونها عند غروب الشمس.

و"عوْف، وضَبِيس" اسمان منقولان، فالعوف: نبت، قال النابغة:

وأنبت حَوْذانا وعوفاً منوراً سأهدي له من خير ما قاله قائل

ويقال للجرادة: أم عوف، قال الشاعر:

فما صفراء تكنى أم عوف كأن رجليتيها منجـــــلان

ويقال للذكر: عوف، وللفرج: شُرَيْج، ويقال للمتزوج: نَعِمَ عَوفُك. قال الشاعر:

إذا عوف تولج في شُرَيْج علانية فقد وجب الصداق

و"الضَّبِيس" من الرجال: السيئ الخلق.

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب "الديباجة": أن "الكُمَيْت" من الخيل بين الأحوى والأصدأ، وهو أقرب من الشقر والورد إلى السواد، وأشد من الشقر الورد حمرة، والأنثى أيضًا كميت، وقسمه ثمانية أقسام:

كميت أحم، وكميت أسحم، وكميت مُدَمًّى، وكميت أحمر، وكميت مذهب، وكميت مُحلِف، وكميت أكلَف، وكميت أصدأ.

فالكميت الأحم: الذي يشاكل الأحوى، والأحوى أهون سوادًا من الجون.

وينفصل الكميت الأحم من الكميت الأحوى بحمرة أقرابه ومرافقه.

والكميت الأسحم أظهر حمرة في سراته من الكميت الأحمر، غير أن حمرته ليست بصافية.

والكميت المدمى: الذي شعر سراته أحمر، شديد الحمرة، وكلما انحدرت الحمرة إلى مرافقه ازدادت.

والكميت الأحمر: أشد حمرة من المدمى.

والكميت المذهب: الذي خالط حمرته صفرة.

والكميت المحلف: الذي يحلف، فيختلف الناظرون فيه، فيقول بعضهم: هو أشقر، وبعضهم: هو ورد، وبعضهم: كُميت.

وقال: أمارة المحلف بين الأصهب والأحمر، قال الشاعر:

كميت غير محلفة، ولكن كلون الصرف عُلَّ به الأديم

والكميت الأكلف: الذي لَم تَصْفُ حمرته، ويرى في أطراف شعره سواد.

والكميت الأصدأ: الذي فيه صدأ، أي: كدرة، وتعلو كل لون من ألوان الخيل ما خلا الدُّهْمَة، وفيها صفرة قليلة، وإنَّما شبهوها بلون صدأ الحديد، قال أبو عبيدة: فإذا خلصت الصفرة من الكدرة، ولم تكن حمرة الكلف فهي عُفرة.

"وكميت": من الأسماء المصغرة التي لا تكبير لها، وهو مصغر مرخم من أكمت بمنـــزلة "حميد" من أحمد، غير أن أكمت لَم يستعمل، ويدل على ذلك جمعهم إياه على: كُمْت، وقال سيبويه: سألت الخليل -رحمهما الله تعالى- عن كميت. فقال: هو بمنـــزلة جُمَيْل وحُمَيْر، وإنَّما هي حمرة مخالطها سواد، ولم يخلص فإنَّما حقروها لأنَّها بين السواد الحمرة، ولم يخلص أن يقال له: أسود ولا أحمر، وهو منها قريب، وإنَّما هو كقولك: هو دوين ذلك. و"المتون": الظهور.

ومعنى "استشعرت": لبسته شعارًا، والشِّعار: ما وَلِي الجسد، والدثار: ما فوقه.

ونصب "كُمتًا" لأنه عطفه على قوله قبله:

حلبنا من الأعراف أعراف بيشة وأعراف لبنى الخيل يا بعد مَحلبِ

بنات العـــراب والوجيه ولاحق وأعـــــوج ينمى يشبه المتنسب

ورادًا وحــــوًّا مشرفًا حجباتُها بنات حصـــــان قد تعولم مجنب

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٤٢- فرد على الفؤاد هوى عميداً وسوئـــل لــو يبين لنا سؤالا

وقــد نَغْنــَى بِها ونرى عصوراً بِهـــــا يَقْتَدْنَنا الخرد الخِذَالا

ذكر أبو القاسم هذين البيتين لعمر بن أبي ربيعة، وهو غلط، إنَّما هما للمرَّار الأسدي، وهو من بني فقعس، كذا في كتاب سيبويه، ولم أجدهما في ديواه شعره.

وهما مراران، أسدي: وهو المرار بن سعيد، وهو الذي كان يهاجي المساور بن هند، وعدوي، وهو المرار بن منقذ من بني العدوية، وهو القائل:

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد ولا شعوب هوى مني ولا نُقُمُ

و"المرَّار": اسم منقول من الصفات، وكذلك "سعيد" و"منقذ"، وأما "فقعس":

فاسم مرتجل، لا أعلم له اشتقاقًا.

و"الهوى العميد": المفسد الكبد، والرجل العميد: الذي أفسد الحب كبده.

وقيل: العميد، والمريض: الذي لا يقدر على الجلوس حتى يعمد من جوانبه.

ويدل على الوجه الأول قول الشاعر:

إن وصفوني فناحل الجسد أو فتشوني فأبيض الكبد

وقال الآخر:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فواكبدًا مما لقيتُ على دعد

هذا للنمر بن تولب.

وقوله: "فرد على الفؤاد هوى عميدًا"، أراد به: كان قد سلا، فلما نظر إلى منزل محبوبته راجعه هواه، كما قال بشر بن أبي خازم:

خليلي إن الدار غَفْر لذي الهوى كما يُغْفَرُ المجنون أو صاحب الكلم

والغفر: النكس من المرض. ومعنى "نغنى": نقيم.

و"العصور": الدهر، ومعنى "يَقْتَدْنَنَا": كما تقاد الدابة، وجاء بالفعل على وزن "افتعل" للمبالغة في القود كما يقال: كسب واكتسب، و"الخرد": جمع خريدة، وهي الحِيِيةً من النساء، يقال: تخرَّدت المرأة، إذا خجلت واستحيت.

و"الخدال": جمع خَدْلَة، وهي الكثيرة لحم الساقين.

والفعلان في هذا البيت الثاني: "نرى" و"يقتدننا" أُعمل الأول منهما، وهو "نرى"، ولذلك أضمر في الثاني، ولو أُعمل الثاني لحذف الضمير، ورد الفعل إلى أصله، وقال: يقتادُنَا الخرد الخدال، والبيت قائم الوزن، مع إعمال كل واحد من الفعلين، ولذلك وصله بالبيت، ليعلم أن القوافي منصوبة وأنه أعمل الأول.

وكان ابن درستويه يقول: مَنْ نصب "السؤال" بـ "يبين" فقد أخطأ؛ لأن السؤال لا يتبينه المجيب، إنَّما يتبينه السائل، قال: وإنَّما هو منصوب "بسُؤْل" مصدرًا له، ومفعول "يبين" محذوف، كأنه قال: وسوئل السؤال لو يبين لنا الجواب.

ويروى: "سؤالًا" بإسقاط الألف واللام، وهو أشبه بما قال ابن درستويه.

وقال غير ابن درستويه: ليس بممتنع أن يكون منصوبًا بيبين على وجهين:

أحدهما: أن يريد جواب السؤال، ويحذف المضاف.

والثاني: أن يقيم السؤال مقام المسئول عنه، كما يقال: ضرب الأمير، وثوب نسج اليمن، فأما بيت ابن أبي ربيعة، الذي أراده أبو القاسم فأخطأ، فهو:

إذا هي لَم تستَك بعود أراكه　　　تُنُخِّل فاستاكت به عود إسحل

وأنشد أبو القاسم في باب: "ما يجوز تقديمه، من المضمر على الظاهر، وما لا يجوز":

٤٣- جزى ربه عني عدي بن حاتم　　　جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

هذا البيت لا أعلم قائله.

واستشهد به أبو القاسم على تقديم المضمر على الظاهر ضرورة.

وقد تأوله قوم: على أن الضمير في "ربه" عائد على الجزاء الذي دل عليه "جزاء"، كما يقال: من كذب كان شرًّا له.

و"جزاء الكلاب العاويات": منصوب على المصدر، وجزاؤها: أن تضرب وتهان.

ونظير قوله: "وقد فعل" قول المتنبي:

وهذا دعاء لو سكتُّ كُفِيتُهُ　　　ولكن سألت الله فيك وقد فعل

وأنشد أبو القاسم في باب: "إضافة المصدر إلى ما بعده":

٤٤- أفنى تلادي وما جمعت من نَشَبٍ　　　قرع القواقيز أفواه الأباريق

هذا البيت للأقيشر الأسدي، واسمه: المغيرة بن عبد الله بن الأسود.

و"المغيرة، والأسود، والأُقَيْشِر": صفات منقولة التسمية، وكان الأقيشر يغضب من هذا الاسم، فمر يومًا ببني عبس، فقال له بعضهم: يا أقيشر. فنظر إليه مغضبًا وقال:

أتدعوني الأقيشر ذاك اسمي　　　وأدعوك ابن مُطْفِئَة السِّراج

تناجي خِدْنَها باللیـــل سرًّا　　　ورب الناس يعلم ما تناجي

فسمي ذلك الرجل : ابن مطفئة السراج" ولم يزل ذلك الاسم باقيًا في عقبه.

وكان مشتهرًا بالشراب لا يصحو منه، فقال في ذلك:

أقول والكأس في كفي أقلبها　　　أخاطب الصِّيد أبناء العماليق

لا تشربن أبدًا راحاً مسارفة　　　إلا مع الغُرِّ أبناء البطاريق

أفنى تلادي وما جمعت من نشب　　　قرع القواقيز أفواه الأباريق

كأنهن وأيدي الشرب معملة　　　إذا تلألأن في أيدي الغرانيق

بنات ماء مغاييص جآجئها　　　حُمْر مناقيرها صفر الحماليق

أيدي السقاة بهن الدهر معملة ... كأنما أوبَها رجع المخاريق
تلك اللذاذة ما لَم تأت فاحشة ... أو ترم فيها بسهم ساقط الفوق
عليك كل فتىً سمح خلائقه ... محض العروق كريم غير ممذوق
ولا تصاحب لئيماً فيه مقرفة ... ولا تزورن أصحاب الدوانيق

"الراح": الخمر، سميت بالراح لِمَا تولد من الارتياح لشاربها، قال الشاعر:

ولقيت ما لقيت مَعَدّ كلها ... وفقدت راحًا في الشباب وخالي

وأراد بالرَّاح: الابتهاج، وبالخال: الخيلاء.

و"الُغرّ": جمع أغر، وهو الأبيض الجميل، والأغر أيضًا: المشهور من الناس، شبه بالفرس الأغر، وهو الذي في جبهته غُرَّة.

و"البطاريق": عظماء الروم وساداتهم عندهم، واحدهم: بطريق.

و"التِّلاد": المال القديم، و"النَّشَب" : اسم يقع على الضيعة والمستعملات التي لا يقدر الإنسان أن يرحل بِها.

و"القواقيز": أوانٍ يشرب بِها، واحدها قاقوزة، وقازوزة، وقياس من قال: قازوزة، أن يقول في الجمع، قوازيز، وقد يحكى: قَاقُزَّة، وأنشد للنابغة الجعدي:

كأني إنَّما نادمت كسرى ... لـه قاقزة ولي اثنتان

و"الغَرانيق": شبان الرجال، واحدهم: غُرنوق، وغِرْنَوْق، وغِرْنَيق، وغِرنيق وغُرَانِق، وغَرَوْنَق.

و"بنات الماء": الغرانيق أشبه بِها، كما قال أبو الهندي:

سيغني أبا الهندي عن وَطْبِ سالم ... أباريق لَم يعلق بِها وَضَرُ الزبدِ
مقدمةً قَزًّا كأن رقابَها ... رقاب بنات الماء يفزعن للرعد

و"الفوق" من السهم: الموضع الذي يقع على الوتر، وإذا سقط "فُوق" السهم فسد، ولم ينتفع به، فضرب ذلك مثلاً.

و"المقرَفَة": دناءة الأب، والقِرفَة: التهمة والريبة.

وأراد بأصحاب "الدوانيق": السُّوقة، والدوانيق: جمع دوناق، وهي لغة في الدانق -بفتح النون وكسرها- وهو سدس درهم يقول: لا تُنادم من يرضيه نيل دانق، ويسخطه فقده، ولكن نَادِم الأجواد والكرماء ونحو من هذا قول الآخر:

إذا مـا غضب السوقيـ ـي فالحبة ترضيـه
ونزعُ الفلس مـن يـده كنـزع الضرس من فيه
ومـن أصبـح عبد الفلـ س قل لي: كيف تعطيه

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٤٥- وهن وقوف ينتظرن قضـاءه بضاحي عذاة أمره وهو ضامز

هذا البيت للشماخ، واسمه: معقل بن ضرار، ويكنى: أبا سعيد، حكى ذلك أبو بكر بن دريد، وذكر أنه أحد الشعراء الخمسة العُور من قيس.

وهذه الأسماء كلها منقولة غير مرتجلة، أما المعقل: فهو الحصن، ويكون أيضًا موضع الاعتقال.

و"الضرار": مصدر ضار الرجلُ الرجل، إذا ضر كل واحد منهما صاحبه، ويكون جمع ضرير، وهو شاطئ البحر، والوادي، قال أوس بن حجر:

وما خليج من المرُّوتِ ذو شُعَبٍ يرمي الضرير بخشب الطلح والضال

و"السعيد" ذو السعد، والسعيد: الساقية الصغيرة.

و"الشَّمَّاخ": الذي يشمخ بأنفه على الناس، أي: يتعظم عليهم، ويتطاول.

و"الضاحي": الظاهر وما يبرز من الأرض للشمس.

و"العذاة": الأرض الكريمة. و"الضامز": الساكت الذي أغلق فاه.

وصف حمر وحش قد عطشت، واحتاجت إلى ورود الماء، فهي تنتظر أن ينهض فحلها، فتنهض بنهوضه، وهو ساكت، وحمر الوحش لا تنهض لورود الماء نهارًا، خشية القانص فهي تنتظر إقبال الليل، فينهض وتنهض بنهوضه، وكذلك قال قبل هذا البيت:

كأن قتودي فوق جـأب مطرد
من الحقب لاحته الجـداد الغوارز
طوى ظمأيها في بيضة القيظ بعدما
جرت في عِنان الشعريين الأماعز
فظلت بأعراف كـأن عيـونَها
إلى الشمس هل تدنو رَكِيٌّ نواكز

"وقوف": جمع واقف، كما يقال: جالس وجلوس، فكان يجب أن يقال:

وهـــن واقفات، إن جمع واقفة جمع السلامة، أو يقول: وهن أواقف، إن جمعها جمع التكسير، والأصل: "وواقف" فتقلب الواو الأولى همزة، كراهية لاجتماع الواوين، وحملا للتكسير على التصغير، ألا ترى أنك لو صغرت "واقفة" للزمك أن تقول: أُوَيْقِفَة، وكأن الشَّمَّاخ ذكر الواحد على لغة من يحمل صفات المؤنث على معنى النسب، فيقول: امرأة عاشق، وناقة ضامز، فلذلك جمعها على وقوف، أو حمل التذكير على معنى الشخص، أو لأن الجمع يذكر ويؤنث.

أو يحتمل أن يريد: وهن ذوات وقوف، فحذف المضاف، فيكون "الوقوف" مصدرًا، ويكون وضع المصدر موضع اسم الفاعل، ويكون هذا نظير قولهم:

فلان عدل، أو يكون التقدير: ذو عدل، أو يكون عدل بمعنى: عادل، ونحوه قول الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنَّما هي إقبال وإدبـــــــار

وقوله: "ينتظرن قضاءه": جملة في موضع الحال من الضمير في "وقوف"، أو في موضع الصفة "لوقوف".

وقوله: "وهو ضامز": جملة في موضع الحال أيضًا، فالباء في قوله: "بضاحي" بمعنى "في"، والتقدير: وهن وقوف في ضاحي عذاة.

هذا هو المعنى، ولكن لا يجب لك أن تحمله على هذا؛ لأنك تحول بين الصلة والموصول، لأن ما بعد "القضاء" من صلة المصدر فيجب أن يكون ظرفًا "للقضاء" لا "للوقوف".

و"القَتُود": أعواد الرحل، و"الجأب" : الحمار الغليظ.

و"المطرَّد": الذي طرده القناص عن الماء. ومعنى "لاحته": غيرته.

و"الجدّاد": الأُتُنُ التي ذهبت ألبانها، واحدتها: جَدُود، وكذلك الغوارز.

و"الحقب": جمع أحقب، وهو الذي في موضع الحقيبة منه بياض.

و"الظِّمء": ما بين الشرب إلى الشرب، ومعنى طوى ظمئيها: أي: جعل الظمئين ظمئًا وحدًا؛ خوفًا من النهوض إلى الماء، فهو أشد لعطشها وعطشه.

و"بيضة القيظ": شدة الحر.

و"الشِّعْرَيَان": كوكبان يقال لأحدهما: الشِّعْرى العبور، والثاني: الشِّعْرَى الغميصاء، و"عنانَهما": أول حَرِّهمَا.

و"الأماعز": المواضع الكثيرة الحجارة.

و"أعراف": موضع مرتفع.

و"الركي": جمع ركية، وهي البئر.

و"النواكز": الذي جف بعض مائها، شبه عيونها بِها لغورها من شدة الجهد.

و"تدنو": تقرب من الغروب.

يقول: ترقب مغيب الشمس لتنهض نحو الماء.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٤٦- لقد علمت أُولَى المغيرة أنني لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

هذا البيت للمرار الأسدي.

والمغيرة: الخيل، تقال: بكسر الميم وضمها.

معنى: "أنكل": أجبن وأتأخر.

وأنشد سيبويه هذا البيت شاهدًا على إعمال المصدر، وفيه الألف اللام.

ومن النحويين من لا يجيز إعمال المصدر وفيه ألف ولام، وينصب "مسمعًا" "لحقت" لا بـــ"الضرب".

وحجتهم أن الألف واللام تُبْعِد المصدر عن شبه الفعل، وكذلك اسم الفاعل عندهم، لا يعمل إذا كانت فيه الألف واللام، وينصبون ما بعده بفعل مضمر، أو على التشبيه بالمفعول به.

يروى: "كررت فلم أنكل"، وهذا أقرب إلى أن يكون حجة لنصب "مسمع" لا بالضرب؛ لأنه لو عدى إليه "كررت" لقال: على مسمع.

وقد يسوغ لمن أنكر هذا: أن يحتج بأن الشاعر حذف حرف الجر، كما قالوا: "أنبأت زيدا" يريدون: عن زيد، كقول الشاعر:

أمرتك الخير، فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

على أن أبا علي الفارسي، قد علل هذا بأن قال: حرف الجر لا يحذف، إن وجدت عنه مندوحة. وبعد هذا البيت:

وإني لأعدي الخيل تعثر بالقنـــا حفاظًا على المولى الحريد ليمنعا

ونحن جلبنا الخيل من سوقِ حمْير إلى أن وطئنا أرض خثعم نُـــزَّعَا

وأنشد أبو القاسم في باب: "تعريف العدد":

٤٧- وهل يُرْجِع التسلم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع

هذا البيت لذي الرمة.

واسمه: غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى: أبا الحارث.

و"غيلان": اسم مرتجل، مشتق من المغيلة، وهي: أن ترضع المرأة وهي حامل، أو من "الغيلة"، وهي المكر والخديعة، ونحو هذا مما يتشعب من هذه الكلمة، وقد ذكرنا "عقبة" فيما تقدم، من قول "عقبة الأسدي" فأغنى ذلك عن إعادته ها هنا.

و"بُهيْش": منقول؛ لأنه تصغير "بهش"، وهو ظاهر.

و"الحارث": منقول من "حرث"، إذا اكتسب، والحارث أيضًا: الناكح، يقال: حرث المرأة إذا نكحها، ويقال للمرأة: حَرْث، قال الله ﷻ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال الشاعر: يُلغِز بذلك:

إذا أكل الجراد حروث قوم فحرثي همه أكل الجراد

وأما تلقيبه: "ذو الرمة" فاختلف فيه،فزعم قوم: أنه يلقب بذلك لقوله في صفة الوتد:

لَم يبق منها أبد الأبيد غير ثلاث ما ثلاث سود

وغير مرضوخ القفا موتود أشعث باقي رمة التقليد

وزعم قوم: أن "مية" لقبته بذلك، وذلك أنه مر بخبائها قبل أن يشبب بِها، فرآها فأعجبته، فأحب الكلام معها، فخرق دلوه، وأقبل إليها، وقال: يا فتاة، أخرزي لي دلوي، فقالت: إني خرقاء، والخرقاء: هي التي لا تحسن العمل، فخجل غيلان، ووضع دلوه على عنقه، وهي مشدودة بحبل بال، وولى راجعًا، فعلمت منه ما أراد، فقالت له مية: يا ذا الرُّمَة انصرف، فانصرف، ثم قالت: إن كنت أنا خرقاء، فإن أمتي صناع، فاجلس حتى تخرز دلوك، ثم دعت أمتها، وقالت: اخرزي الدلو، فكان ذو الرمة يسمي "مية" خرقاء لقولها: إني خرقاء، وغلب عليه ذو الرمة بقولها: يا ذا الرمة، هذا قول ثعلب، وقد قيل: إن "خرقاء" غير "مية"، وأنها امرأة من بني عامر، رآها، فاستسقاها، فخجلت، وأبت أن تسقيه، فقال لأمها: قولي لها، فلتسقني، فقالت لها أمها: اسقيه يا خرقاء، فلذلك قال ذو الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

وقال أبو العباس الأحول: يسمي ذا الرمة لأنه خشي عليه العين وهو غلام،فأتي به إلى شيخ من الحي يصنع له معاذة،وشدت في عضده ،وهذا أبعد الأقوال والمشهور هو القول الأول، وقوله: وهل يردع التسليم": وصف أنه وقف على منـــزل "مية" وسلم عليه، ثم أنكر على نفسه ما فعل، فقال: وهل يرد عليَّ السلام أو يكشف ما بي من عماء الهوى، الذي حملني على زيارة المنازل، أو السلام على ربع خال من أهله، ليس فيه إلا "الأثافي": وهي حجارة القدر، و"الرسوم البلاقع": وهي الخالية؟. وقبله:

أمنـــزلي مي سلام عليكما هل الأزمن اللائي مضين رواجع

ولك أن ترفع "الثلاث الأثافي" بالفعل الأول، وهو اختيار الكوفيين، وبالثاني، وهو اختيار البصريين.

وأصل "أثافي": الشديد، ولكن استعمالها مخففة أكثر على ألسنة العرب.

ويروى بيت زهير مشددًا ومخففًا:

أثافي سفعًا في معرس مرجل ونؤيا كجدم الحوض لَم يتثلم

ويقال للواحد من "الأثافي" أُثفية، بضم الهمزة، و"إِثفية" بكسرها، واختلف النحويون في وزنها، فقال بعضهم: وزنها "أفعولة"، أصلها أثفوية، ثم قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وكسرت الفاء من أجل الياء، **واستدلوا بأن الهمزة: زائدة بقول العرب**: "ثفيت القدر" إذا جعلتها في الأثافي، وبقولهم: امرأة مثفاة، وهي التي كان لها ثلاثة أزواج، شبهوها بالأثافي، وبقول الكميت:

وما استنـــزلت في غيرنا قدر جارنا ولا ثُفِيَتْ إلا بنا حين تنصب

وقال بعضهم: وزنها "فعلية" والهمزة أصلية، واستدلوا على ذلك بقول النابغة:

لا تقذفني بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعداء بالرفـــد

فوزن "تأثفك": تفعلك، ولو كان من ثفيت، لقال: أثفاك، ومن حجتهم أنه يقال: أثفت الرحل أثفًا، إذا ابتغيته، وهي من مسائل البصريين المشكلة، وتقتضي كلامًا أكثر من هذا، ولكن ليس هذا موضعه.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٤٨- ما زال مذ عقدت يداه إزاره فسما فأدرك خمسة الأشبار

هذا البيت للفرزدق يمدح به يزيد بن المهلب، وقبله:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

ومعنى "سما": ارتفع، ومعنى "فأدرك خمسة الأشبار: ارتفع وتجاوز حد الشيء؛ لأن الفلاسفة زعموا أن المولود إذا ولد أيام مدة الحمل، ولم تعتوره آفة في الرحم، فإنه يكون في قدر ثمانية أشبار،، ومن شبر نفسه، وتكون سرته بمنـــزلة المركز له فيكون منها إلى نهاية شقه الأعلى أربعة أشبار بشبر نفسه، ومنها إلى نهاية شقه الأسفل أربعة أشبار، ومنها إلى أطراف أصابعه من يديه جميعًا أربعة أشبار، حتى إنه لو رقد على صلبه، وفتح ذراعيه، ووضع ضابطاً في سرته، وأدير كان يشبه الدائرة.

قالوا: فما زاد على هذا أو نقص ، فلآفة عرضت له في الرحم، فإنك تجد أن من نصفه الأعلى أطول من الأسفل، ومن نصفه الأسفل أطول من نصفه الأعلى، ومن يداه قصيرتان، ومن يده الواحدة أقصر من الأخرى.

فإذا تجاوز الصبي أربعة أشبار، فقد أخذ في الترقي إلى غاية الطول.

وزعم قوم أنه أراد الخيزرانة التي كان الخلفاء يحبسونها بأيديهم.

وخبر "ما زال" في بيت آخر بعد هذا، وهو:

يدني كتائب من كتائب تلتقي بالطعن يوم تخاذل وعوار

وأنشد أبو القاسم في باب: كم:

٤٩- كم يجود مقرف نال العـــلا وكريم بخله قد وضعـــه

هذا البيت لأنس بن زنيم، من شعر قاله لعبد الله بن زياد، وقبله:

سل أميري ما الذي غيره عن وصالي اليوم حتى وَدَعَه

لا تهني بعدما أكرمتني فشد يد عادة منتزعة

لا يكن وعدك برقاً خُلَّبًا إن خير البرق ما اهريق معه

كم يجود مقرف نـــال العلا وكريم بخله قـــد وضعـــه

"أنس": من الأسماء المنقولة؛ لأن الأنس: الناس، قالت الخنساء:

فلذلك الحي حي بني سليم بظاعنهم وبالأنس المقيـــم

و"زُنَيم": منقول أيضًا؛ لأنه تصغير زنيم مرخم، وهو الدعي.

و"الُمقْرف": الخسيس الأب، فإن كان خسيس الأم فهو هجي، يقول: الجود يشرف الخسيس حتى يعلو قدره، والبخل يحط منـــزلة الشريف، حتى يهون أمره.

وأتى بـ"وَدَعَ" على الأصل المرفوض، وقد قرأ بعض القراء: (**ما وَدَعَك ربك**) ومثله قول الآخر:

فسعى مسعاته في قومه ... ثم لَم يدرك ولا عجزًا ودع

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٥٠- كم عمة لك يا جرير وخالة ... فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

هذا البيت للفرزدق يهجو به جريرًا، وبعده:

شغارة تقد الفصيل برجلها ... فطـــارة لقوادم الأبكار

كنـــا نحاذر أن تضيع لقاحنا ... ولها إذا سمعت دعاء يسار

يقول لجرير: كيف تناجزني، وعماتك وخالاتك قد كن راعيات لإبلي، وإنَّما يجب لك أن ترعى حقي، وتعترف بتقدمي وسبقي.

و"الفدعاء": التي أصابها الفدع في رجليها من كثرة مشيها وراء الإبل، و"الفدع": زيغ وميل في القدم بينها وبين الساق، وفي الكف: زيغ وميل بينها وبين الذراع.

و"العشار": النوق التي دخلت في الشهر العاشر من حملها، واحدتها: عشراء.

و"الشغارة": التي تشغر برجليها كما يشغر الكلب إذا بال.

و"تقد الفصيل برجلها": تضربه إذا دنا منها عند الحلب.

و"الفطر": الحلب بأطراف الأصابع، فإن كان بالكف كله، فهو الصف، والصف إنَّما يكون للكبار من النوق، وأما الصغار فإنَّما تحلب بأطراف الأصابع لقصر ضروعها، وإنَّما وصف حذقها، ومعرفتها بالحلب؛ لأنَّها نشأت عليه.

ومن خفض "العمة، والخالة" أو نصبهما: جعلهما عمات وخالات كثيرة، ومن رفع: جعلها عمة واحدة، وخالة واحدة، وجعل التكثير واقعًا على المرار، كما تقول: كم جاءني زيد، أي: مرارًا كثيرة جاءني زيد، ولذلك صار النصب والخفض أبلغ في الهجاء.

وإذا رفع "العمة والخالة" أو خفضهما، فكم: إخبار بلا خلاف في ذلك، وإذا نصبهما ففيهما خلاف.

فكان السيرافي يقول: إنَّها استفهام، وإلى هذا ذهب أبو القاسم- رحمه الله تعالى-.

وكان الفارسي يقول: لا معنى هنا للاستفهام، ولكنه شبه الخبرية بالاستفهامية فنصب بِها، كما شبه الاستفهامية بالخبرية فخفض بِها في قولك: على كم جذع

بيتك مبني.

وتوسط أبو الحسن الربعي الأمر بينهما، فقال: الوجه ما قاله أبو علي، والذي قاله السيرافي يجوز على أنه استفهمه هازئًا به.

وأنشد أبو القاسم في باب: "مذ ومنذ":

٥١- لمن الديار بقنــــة الحجــــر أقوين من حجــــج ومن دهر

هذا البيت يروى لزهير بن أبي سلمى.

و"زهير": من الأسماء المنقولة، وقد ذكرناه فيما تقدم.

وأما "سلمى": فمن الأسماء المرتجلة، وهو مضموم السين، مقصور على مثال: "حبلى".

واسم "أبي سلمى": ربيعة، و"ربيعة": اسم منقول من الربيعة، وهي: بيضة السلاح.

و"القُنَّة": والقُلَّة باللام والنون: أعلى الجبل.

و"أقوين": أقفرن، و"الحجج": السنون، واحدتها: حجة، ومعناه عند البصريين: من مر حجج،، ومن مر دهر، أي: أقوين من أجل مرور السنين والدهور، وتعاقبهما عليها.

ويروى: مُذ حِجج، ومذ شهر، وهذا على لغة من يخفض "بمُذْ" على كل حال ولأجل هذا قال أبو القاسم: وكان من لغته أن يخفض "بمذ" على كل حال، ويجعلها بمنـــزلة "منذ"، أي: كان زهير من أهل هذه اللغة.

وهذا اعتذار لهذه الرواية لئلا يقال لمن روى هكذا: كيف تخفض بمذ ما مضى، وإنَّما كان حكمها أن ترفع ما مضى، وتخفض ما أنت فيه.

على أن الأبيات الثلاثة التي في أول هذا الشعر، لَم يصح أنَّها لزهير.

وقد روي: أن هارون الرشيد، قال للمفضل بن محمد: كيف بدأ زهير شعره بقوله:

دع ذا وعد القول في هرم خير البداة وسيد الحضر

ولم يتقدم قبل ذلك شيء ينصرف إليه؟ فقال المفضل: قد جرت عادة الشعراء بأن يقدموا قبل المديح تشبيبًا، ووصف إبل، وركوب فلوات، ونحو ذلك، فكأن زهيرًا هم بذلك، ثم قال لنفسه: دع الذي هممت به -مما جرت به العادة- واصرف قولك إلى مدح هرم، فهو أولى من حبر فيه القول ونُظِم، وأحق من بدئ بذكره الكلام وختم، فاستحسن الرشيد قوله. وكان حماد الراوية حاضرًا، فقال: يا أمير المؤمنين ليس هذا أول الشعر، ولكن قبله:

لمن الديار بقنـــة الحجـــــــر أقوين من حجـــج ومن دهـــر
لعب الزمـــان بِها وغيَّـــــرها بعدي ســـوافي المُور والقطـــر
قفرًا بمندفع النحائت مـــــن صفوي أولات الضال والسَّدْر

فالتفت الرشيد إلى المفضل، وقال: ألم تقل: إن "دع ذا.." أول الشعر؟

فقال: ما سمعت بهذه الزيادة إلا يومي هذا، ويوشك أن تكون مصنوعة.

فقال الرشيد لحماد: اصدقني.

فقال: أنا زدت فيه هذه الأبيات.

فقال الرشيد: من أراد الثقة والرواية الحسنة للصحيحة، فعليه بالمفضل، ومن أراد الاستكثار والتوسع فعليه بحماد.

وقد احتذى الشعراء المحدثون كلام المفضل هذا، فقال ابن الرومي:

عـــدِّ عنـــك الْمنـــــازل الطُّلُول والموات لا
إن في المدح في أبي الصقر منها لشــــــاغـــــلا

وقال المتنبي:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعرًا متيـــم
لحب ابن عبد الله أولى فإنـــه به يبدأ الذكر الجميل ويختـــم

وأنشد أبو القاسم في هذا الفصل:

٥٢- تبكي على لبنى وأنت تركـــتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر؟

هذا البيت لقيس بن الذريح الكناني، وهو أحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبته التي شُهِر بِها لبنى.

و"قيس، والذريح، ولبنى": أسماء منقولة.

أما "قيس" فقد تقدم، وأما الذريح، فإنَّها الهضاب، واحدتها: ذريحة، والذريح، والذَّرح: الطعام يجعل فيه الزعفران.

وأما "اللبنى" فهو ضرب من الطيب، يقال: إنَّها الميعة، وقد ذكر هذا امرؤ القيس في قوله:

وبانا وألويا من الهند ذاكيا ورندا ولبنى، والكساء المقترا

و"الملا": المتسع من الأرض، و"الملا": موضع بعينه، قال امرؤ القيس:

أمن ذكر نبهانية حل أهلها بجرع الملا عيناك تبتدران

وإنَّما قال: وأنت تركتها، لأنه كان تزوجها، فكلفه أبوه وأمه طلاقها، فآلى أبوه، ووضع نفسه في الرمضاء، وقال: والله لا برحت من هذا الموضع حتى أموت أو تطلقها، وهو يأبى طلاقها لشدة كلفه بِها، فقبح قومه إليه فعله، وقالوا: إن مات أبوك على هذه الحالة، كان عارًا عليك، فأرض أباك بتطليقها، ثم تراجعها بعد ذلك،فطلقها، ثم أراد أن يراجعها، فأبت حينذاك، وأبى أبوها، وأنكحها غيره، فلذلك قال:

تكنَّفني الوشاة فأزعجوني فيالله للواشي المطاع

وقال:

فإن تكن الدنيا بلبنى تغيرت فللدهر والدنيا بطون وأظهر
لقد كان فيها للأمانة موضع وللقلب مرتاد وللعين منظر

ومعنى قوله: "فللدهر والدنيا بطون وأظهر" أراد: أن أمور الدنيا منها ما يظهر للإنسان وجه الصواب فيه، ومنها ما يخفى عليه. وأنشد أبو القاسم في باب: "النداء":

٥٣- فيا راكبًا إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا

هذا البيت: لعبد يغوث بن وقاص الحارثي.

و"يغوث": اسم صنم نسب إليه، و "وقاص": اسم فاعل من قولهم:

وقصت عنقه، إذا كسرتها، وهي صفة نقلت إلى التسمية بِها، وكان "عبد يغوث" هذا أحد من أُسِر يوم "الكُلاَب"، أسرته تيم الرَّباب، وكانوا يطلبونه بدم رجل منهم، يقال له: النعمان بن جساس، فأيقن أنه مقتول، فقال هذا الشعر ينوح على نفسه، وأوله:

ألا لا تلوماني كفى اللـوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما أن المـلامة نفعـهـا قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكبًا إمـا عرضت فبلغـن فنداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهميـن كليهـمـا وقيسًا بأعلى حضرموت اليمانيا

ومعنى "عرضت": تعرضت، و"أن" مخففة من الثقيلة، واسمها مضمر، وتقديره: أنه لا تلاقيا لنا، فخبر "لا" التبرئة محذوف، والجملة في موضع خبر "أن"، وأراد: من أهل نجران فحذف المضاف، و"أبو كرب والأيهمان": رجال من اليمن، و"قيس" هو

ابن معديكرب، أبو قيس بن الأشعث الكندي، و"الشَّمال": واحد الشمائل.

وأنشد أبو القاسم -رحمه الله تعالى- في هذا الباب:

٥٤- ألا يا نخلة من ذات عـــــرق عليك ورحمة الله الســـــلام

هذا البيت: لا أعلم لمن هو، وينسبه قوم إلى الأحوص.

و"ذات عرق": موضع، وقوله: "من ذات عرق" في موضع الصفة لنخلة، كأنه قال: ألا يا نخلة كائنة من ذات عرق..فمِنْ متعلقة بمحذوف.

وقوله: "عليك ورحمة الله السلام": مذهب أبي الحسن الأخفش، أنه أراد: عليك السلام ورحمة الله، فقدم المعطوف ضرورة، ونظيره قول ذي الرمة:

كأنا على أولاد أحقــب لاَحَهَــــا ورَمْيُ السَّفَى أنفــاسها بسهامِ

جنوب ذَوَتْ عنها التناهي وأنــزلت بِها يــوم ذَبَّــاب السبيب صيام

تقديره: لاحها جنوب ورمى السَّفَى.

وإنَّما قال الأخفش هذا؛ لأن "السلام" عنده فاعل مرفوع بالاستقرار المضمر في "عليك".

ولا يلزم هذا سيبويه على مذهبه؛ لأن "السلام" عنده مرفوع بالابتداء، و"عليك" خبر مقدم، و"رحمة الله" معطوف على الضمير المرفوع الذي في "عليك"، فلا موضع لعلى، على رأي الأخفش، ولها موضع على قول سيبويه.

و"النخلة" في هذا الموضع: كناية عن امرأة، وكان عمر بن الخطاب ﷺ قد نَهى الشعراء عن ذكر النساء في أشعارهم، لِمَا في ذلك من الفضيحة، وكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجر وغيره، ولذلك قال حميد بن ثور الهلالي:

وهل أنا إن عللت نفسي بسرحة من السَّرْح مسدود على طريق

أبى الله أن سرحة مالك على كل أفنان العضَاهِ تروقُ

فقد ذهبت عرضا وما فوق طولها من السرح إلا عَشَّةٌ وَسَحُوقُ

فلا الظل من برد الضحى مستطيعه ولا الفيء من برد العشيِّ تــذوق

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٥٥- أدارًا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يَرْفَضُّ أو يترقرقُ

هذا البيت لذي الرمة، وقد ذكرنا اسمه فيما تقدم، وبعده:

كمستعبري في رسم دار كأنَّها بوعساء تَنْصُوها الجماهير مُهْرَقُ
وقفنا فسلمنا فكادت لمشرف لعرفان صوتي دمنة الدار تنطــق
تجيش إليَّ النفس في كل منزل لِميٍّ ويرتاع الفؤاد المشـــوق

و"حزوى": اسم موضع، و"هِجْتِ": حرَّكْتِ، "العبرة": الدمعة، وسمي الدمع: ماء الهوى، إذ كان الهوى هو الذي يسكبه ويجريه.

و"يَرْفَضُّ": يسقط متفرقًا، و"يترقرق": يتردد في العين.

ومعنى قوله: "كمستعبري": أي: استعبرتُ لهذه الدار، التي بحزوى كاستعباري لهذه الدار النابية، فمستعبر: مصدر لحقته الميم، وجاء على صيغة مفعول، كما يقــال: اكتسبت اكتسابًا ومكتسبًا، ويطرد في كل فعل جاوز ثلاثة أحرف أن يجيء مصدره على صيغة مفعوله.

و"الوعساء": رملة سهلة لينة.

معنى "تنصوها": تحتذيها وتتصل بِها، من قولك: نصوت الرجل، إذا أخذت بناصيته، ويروى: "تنضوها" بضاد معجمة، أي: تبرزها وتظهرها.

و"الجماهير": الرمال العظيمة، و"المهرق": الصحيفة.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٥٦- ألا يا عباد الله قلبي متيم بأحسن من صلى وأقبحهم بَعْلا

هذا البيت لا أعلم قائله.

ووقع في كثير من النُّسَخ "فعلا" وهو غلط وتصحيف وإن كان له معنى حسن؛ لأن ما بعد هذا البيت يبطله، وهو قوله:

يدب على أحشائها كل ليلة دبيب القرنبي يقرو نقًا سهلا

فالبيت الثاني: يدل على أنه يمدح امرأة، ويهجو زوجها، فقال: هي أحسن الناس، وشبهه إذا علاها للنكاح بقرنبي تدب فوق بعل، إشارة إلى كثرة لحمها، وعِظَم كَفَلِها. وفي "تدب" ضمير راجع إلى البعل.

و"القرنبي": نوع من الخنفاس. و"النقا": الرمل المستطيل، و"تقرو": تسير من موضع إلى موضع، و"الدبيب": المشي الضعيف، و"المتيم": الذي عَبَّدَه الحب، ومنه قيل: تيْم اللات، واللات: صنم.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٥٧ - قالت هريرة لِمَا جئت زائرها ويل عليك وويلي منك يا رجل

هذا البيت لأعشى بكر، وقد ذكرنا اسمه فيما تقدم.

ويروى: وَيْلٍ عليك. و"ويلاً" رُوِيَ بكسر اللام وفتحها. و"زائرها": منصوب على الحال. ومعناه: ويلي عليك؛ لأنك تقتل بسببِي، وويلي منك؛ لأنك تفضحني. وبعده:

يا من رأى عارضًا قد بت أرقبه كأنما البرق في حافاته شُعَـــلُ

له ردَفٌ وجَوْزٌ مُفْأَمُ عَمِـــلٌ منطَّق بسجال الماء متصـــل

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٥٨ - حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت فحي ويحك من حيـــاك يا جمل

ليت التحية كانت لـــي فأشكرها مكان "يا جملا "حُيِّيت يا رجل

هذا الشعر لكثير عزة، وقد ذكرناه فيما مضى.

وكانت عزة قد هجرته، وحلفت ألا تكلمه، ثم لقيته بمكة فضربت بيدها على جمله، وقالت: حياك الله يا جمل.

وقوله: "يا جملا" كان الوجه رفع "الجمل" وترك التنوين، وبنائه على الضم، لإقباله عليه بالنداء، كما ارتفع "الرجل" بالإقبال عليه، ولكنه اضطر فنونه ورده إلى أصله، وهذا اختيار أبي عمرو بن العلاء.

وقد روي: "يا جمل حييت" بالرفع وتنوينه للضرورة، وتركه على رفعه اختيـــار الخليل وسيبويه- رحمهما الله تعالى-. وبعد هذا الشعر:

لو كنت حييتها ما زلت ذا مقة عندي ولا مَسَّكَ الإدلاج والعمل

فَخَرَّ من جَذَعٍ إذ قلت ذاك له ورام تكليمها لو تنطق الإبـــل

ويروى: "فأقبلها"، ويروى "يوم النفر": وهو يوم انقضاء الحج.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٥٩ - ألا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خَمَرَ الطـــريق

هذا البيت لا أعلم قائله.

و"الخمر": كل ما يستر الإنسان وغيره، من شجر وغيره.

و"السُّرَى": ما سير من السَّحَر خاصة.

يقول لصاحبيه: قد جاوزتما المكان الذي فيه انقطاع السبيل، فسيرا آمنين، واتركا ما أنتما عليه.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٦٠ - فما كعب ابن مامة وابن سُعْدى بأجود منك يا عمر الجوادا

هذا البيت لجرير بن الخطفي، في شعر يمدح به عمر بن عبد العزيز، وبعده أبيات وهي:

يعود الحلم منك على قريش وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد أمنت وحشهم برفق ويعيي الناس وحشك أن تصادا
وتدعو الله مجتهدًا ليرضى وتذكر في رعيتك الْمعادا

وأراد بـ "ابن سُعْدَى": أوس بن حارثة بن لأم الطائي، و"سُعْدَى": أمه، وقد ذكره بشر بن خازم في قوله:

إلى أوس بن حراثة بن سعدى ليقضي حاجتي فيمن قضاها
وما وطئ الثرى مثل ابن سُعْدى ولا لبس النعال إذا احتذاها

و"كعب": هو كعب بن مامة الإيادي، وهو الذي آثر على نفسه بالماء، حتى هلك عطشًا.

وكان من حديث ذلك: أنه كان في رفقة، ومعه رجل من النمر بن قاسط، يقال له: يعفر بن قاسط، فقل عليهم الماء، فدفعوا ما كان معهم من الماء إلى رجل يقسمه بينهم بالسوية، فكان يضع حجرًا مستديرًا في إناء، ثم يصب عليه من الماء ما يغمره، ويدفع إلى كل رجل حظه من الماء، ويسمي ذلك الحجر: "الَمقْلَة"، وذلك لفعل التصافن، فكان الساقي إذا أراد أن يسقي "كعبًا" حظه من الماء، نظر النمري إلى كعب نظر راغب مستعطف، فكان كعب يقول: اسق أخاك النمري.

فلم يزل يفعل ذلك حتى جهد كعب، وضعفت قوته، وهم قد نزلوا بالقرب من موضع الماء، فَسُرَّ كعب بذلك، وقيل له: رِدْ فقد وصلت إلى الماء فلم يكن به نهضة، وخر ميتًا، فقال أبوه في ذلك يرثيه ويذكره:

أوفى على الماء كعب ثم قيل له رِدْ كعب إنك وارد فما وردا

وقد ذكر ذلك الفرزدق، وكان يسافر في ركب، فقل عندهم الماء، فتصافنوه،

وسأله رجل من بني العنبر بن عمرو بن غَنَم، أن يؤثره بحظه من الماء، ففعل ذلك الفرزدق، ثم سأله أن يؤثره ثانية فأبى، وقال في ذلك:

ولما تصافنَّا الإداوة أجهشت ... إلى غضون العنبري الجراضم

فجاء بجلمود لـــه مثل رأســـه ... ليسقي عليــــه الماء بين الصرائم

فآثرته لمـَّـا رأيت الــــذي به ... على القوم أخشى لاحقت اللوائم

على حالة لو أن في القوم حاتمًا ... على جوده ما جـــاد بالماء حاتم

وكنا كأصحاب ابن مامة إذ سقى ... أخا النمر العطشان يوم الضَّجاعِم

إذا قال كعب: هل رويت ابن قاسط ... يقول لـــــه: زدني بلال الحلاقم

فكنت ككعب غير أن منيتي ... تأخر عني نــزعها بالأخارم

وكنت أُرجِّي الشكر منه إذا أتى ... ذوي الشأم من أهل الحفير وجاسم

تمنى هجائي العنبري وخلتــــــني ... شديد شكيمتي عرضـــة للمراجم

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٦١- سلام الله يا مطر عليهـــــا ... وليس عليك يا مطر الســــلام

هذا البيت للأحوص، واسمه محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري.

والأحوص ومحمد وعاصم: أسماء منقولة.

و"الأحوص": الذي في عينيه ضيق.

و"المحمد": الذي يحمد كثيرًا، وينسب إلى الحمد، وقال زهير:

أليس بفيَّاض يداه غمــــامة ... ثمال اليتامى في السنين محمد

و"عاصم": اسم فاعل من العصمة، ونون "مطر" ضرورة. وبعده:

فإن يكن النكاح أحل شيء ... فإن نكاحها مطرًا حــرام

فطلقها فلست لَها بكــفء ... وإلا يَعْلُ مفرقك الحســام

فـــلا غفر الإله لمنكحيها ... ذنوبهم وإن صلوا وصاموا

وكان مطر دميمًا، وهند أسفله، وكان أقبح الناس، وزوجه أحسن الناس.

وأراد: وإن لا تطلقها يعل مفرقك الحسام، فحذف الشرط، لدلالة ما قبله عليه كما قال زهير:

وإلا فإنا بالشربة واللوى ... تُعَقِّر أُمَّات الرباع ونَيْسَرُ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٦٢ – ضربت صدرها إليَّ وقــالت يا عديًا لقد وقتك الأواقي

هذا البيت لمهلهل بن ربيعة التغلبي، واسمه عدي، وزعم ابن الكلبي أن اسمه: امرؤ القيس.

وسُمِّيَ: "مهلهلا" لأنه أوَّل من أَرَقَّ الشعر، وزعم ابن الكلبي أنه إنَّما سمي مهلهلا بقوله في شعر له:

لِمَا توعر في الغبار هجيهم هلهلت أثأر جابرًا أو صنبلا

وذكر ابن الكلبي أن قوله: "ضربت صدرها إليَّ" ليس لمهلهل وإنَّما هو لعدي أخيه، وأنشده غيره:

طَفْلَة ما ابنة المحلل شَمَّا ء لعوب لذيذة في العِناق

ظبية من ظباء وجرة تعطو ويداها في ناضر الأوراق

ضربت صدرها إليَّ وقالت يا عديًا لقد وقتك الأواقي

ارحلي ما إليك غير بعيد لا يواتي العناق من في الوثاق

ما أرجى بالعيش بعد نداما ي أراهم سُقوا بكأس حلاق

بعد عمرو وعامر وحيٍّ وربيع الصدوف وابني عناق

وكليب سَمّ الفوارس إذا حمـــ ـــم رماة الكماة بالإيفاق

إن تحت الأشجار حزمًا وجودًا وخصميًا ألدَّ ذا مِعْلاقِ

حية في الوجار أربــد لا ينـــ ـــفع منه السليم نفثة راقــي

"الطَّفلة" بفتح الطاء: الناعمة الجسم، والطِّفْلَة بالكسر: الصغيرة، ويقال: طِفلة وطَفْلَة. و"الشَّمَّاء": التي في أنفها شمم.

ومعنى "وقتك": حفظتك، و"الأواقي": جمع واقية، وهي: ما يقي الإنسان، ويحفظه من كلاءة الله، والأقدار السابقة، ومعناه: وقاك الله ﷻ من أمور عظام أشرفت منها على الهلاك، كره اجتماع الواوين، فهمزت الواو الأولى، حملاً للتكسير على التصغير، إذا قلت: أويقية.

و"حَلاقِ": اسم للمنية مبنِي على الكسر مثل: حزام، وقطام.

و"الكماة": الشجعان، واحدهم: كامٍ، مثل: قاض وداع، وقضاة ودعاة.

و"الإيفاق": وضع السهم على الوتر عند الرمي.

و"الألد": الشديد الخصومة.

و"المِغْلاق": بالعين المعجمة، ما يغلق به الباب إذ يغلق بالمغلاق، ويروى: "معلاق" بعين غير معجمة، والمعلاق: شبه الخطاف الذي يعلق به الشيء، فمعناه: إذا علق بخصمه لَم يتخلص منه، كما قال البعيث:

أَلَدُّ إذا لاقيت قومًا بخطة أَلح على أكتافهم قَتَبٌ عُقَرْ

و"الوَجار": الوِجار -بفتح الواو وكسرها- : جحر الضبع ويستعار لغيرها.

و"الأربَد": الذي يضرب إلى السواد.

وهذا الشعر يدل أنه لمهلهل، بخلاف ما قال ابن الكلبي.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٦٣ - ألم تسمعي: أي عَبْدَ في رونق الضحى بكاء حمامات لهن هديـــر؟

هذا البيت لا أعلم قائله، وزعم قوم أنه لكثير، وقوله: أي عَبْدَ: أراد يا عبدة.

و"رونق الضحى": إشراقه وضياؤه.

و"الهدير": والهديل -بالراء واللام-: صوت الحمام؛ يقال: هدر يهدر هديرًا، وهدل يهدل هديلاً.

و"في": متعلقة بتسمعي، ولا يجوز أن تتعلق بالبكاء، لأنك تقدم الصلة على الموصول.

وقوله: "لهن هدير": جملة في موضع الصفة لـــ "حمامات" وبعده:

بكين فهيجن اشتياقي ولوعتي وقد مر من عهد اللقاء دهور

والعرب تختلف في صوت الحمام، فمنهم من يجعله بكاء، ويزعم أنَّها تبكي على فرخ لها هلكت في عهد نوح عليه السلام، ويسمونه الهديل، ولذلك قال الكميت:

وما من تهتفين به لنَصْـــــــرٍ بأقرب جابة لك من هديـــل

ومنهم من يجعله غناء، كما قال الآخر:

ألا قاتل الله الحمامات غدوة على غصن ما هيجننا حين غنت

وأظهر أبو العلاء الشك في ذلك حين قال:

أبكت تلكم الحمامة أم غنَّــ ـــت على فرع غصنها الميَّاد؟

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٦٤ – أعبدًا حل في شُعَبَى غريبـــاً ألؤمًا لا أبا لك واغترابـــا؟

هذا البيت لجرير بن الخطفي، وقد ذكرنا اسمه ونسبه فيما مضى.

وكان السبب في قوله هذا الشعر: أنه لَمَا هجا الراعي النميري فقال في هجائه:

إذا غضبت عليك بنو تميم حَسِبْتَ الناس كلهم غضابا

عارضه العباس أو خالد بن يزيد الكندي، وكان مقيمًا بِشُعَبَى، فقال يجاوبه:

ألا رَغِمَتْ أنــوف بني تميم قساة التمر إن كانوا غضابا

لقــد غضبت عليَّ بنو تميم فما نَكَأَتْ بغضبتها ذبابــا

لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فقال جرير يهجوه:

إذا جهل الشقي ولم يقدر لبعض الأمر أوشك أن يصابا

ستطلع من ذرا شُعَبَى قَوَاف على الكنديِّ تلتهب التهابا

أعبدًا حلَّ في شُعَبَى غريبًا ألؤمًا لا أبــا لك واغترابا

فما تخفى هضيبة حين تمسي ولا إطعام سخلتها الكلابا

تُخَرَّقُ بالمشاقص حالبيهـــا وقد بلت مشيمتها الترابـــا

وقد أجاز سيبويه في قوله: "أعبدا" أن يكون منادى، أو يكون منصوبًا على الحال، كأنه قال: أتفخر عبدًا، أي: في حال عبوديته، ولا يليق الفخر بالعبد.

و"شعبى": موضع، و"غريبًا": ينصب على النعت لِعَبْد، أو على الحال من الضمير في "حل".

وقوله: "ألؤمًا لا أبا لك، واغترابا"، يكونان منتصبين على وجهين أيضًا: أحدهما: أن يكون التقدير أتلؤم لؤمًا، وتغترب اغترابًا فيكونان مصدرين منصوبين بفعلين مضمرين.

والثاني: أن يكون التقدير: أتجمع لؤمًا واغترابًا، فتضمر فعلاً وحداً، يعمل فيهما جميعًا، وهذا الوجه عندي أحسن من الأول.

والألف في قوله: "ألؤما" ألف التوبيخ والإنكار، كالتي في قول العجاج:

أطربًا وأنت قنسريٌّ؟ وإنَّما يأتي الصبا الصبيُّ

وأنشد أبو القاسم في باب: "الاسمين اللذين لفظهما واحد، والآخر منها مضاف":

٦٥ – يا تيمَ عدي لا أبا لَكُـــــمُ لا يلقينكم في سوأة عُمَرُ

هذا البيت لجرير، بقوله لعمر بن لجأ.

وكان السبب في ذلك أن جريرًا مر بعمر بن لجأ، وهو ينشد أرجوزة له، والناس حوله يستمعون، فوقف ليستمع، فلما بلغ إلى قوله:

قد وردت قبل أنى ضحائها
تفترس الحيات في خَرْشَائِها
تجر بالأهوان من أرابـــها
جر العجوز إلى خبائـــها

قال له جرير: أسأت، وأخفقت فيما قلت!

فقال له عمر: فكيف أقول؟

فقال له: قل : جر العروس الثَّنْي من أردانها.

فخجل عمر وقال: أنت أسوأ حالاً مني حيث تقول:

لقومي أحمى للحقيقـــة منكم ... وأضرب للجبار والنقع ساطع
وأوثق عند المردفات عشيـــة ... لحاقًا إذا ما جرد السيف قاطع

وإنَّما قال جرير: عند المرهفات، فرواه عمر: عند المردفات.

ثم قال لجرير: أخذن غدوة، وأدركتهن عشية، والله ما أدركتهن إلا وقد نكحن، وفضحن، فقال جرير: والله لهذا البيت أحب إليَّ من بكري حرزة، ولكنك محلت للفرزدق وصُيِّرْتَ إليها عليَّ، وستعلم.

ثم قال جرير قصيدته التي يقول فيها:

خـــل الطريق لمن يبني المنار بِهـــا ... وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر
يـــا تَيْمُ تَيْمَ عدي لا أبا لكم ... لا يلقينكم في ســـوأة عمـــــر
ما زِلْتَ تنطق أقـــوالاً وتبلغني ... ريح المريـــرة حتى أَشْخَصَ المدَرُ
أحين كنت سِمَامًا يـــــا بني لجأ ... وخاطرت بي عن أحسابها مضر؟

فأجابه عمر بن لجأ فقال:

لقد كذبت وشر القول أكذبه ... ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
ألست نــزوة خَوَّار على أمة ... لا يسبق الحَلَبَاتِ اللؤم والخـــور
ما قلت من مَرَّةٍ إلا سأنقضها ... يا ابن الأتان بمثلي تنْقَضُ المـــرَرُ

ثم نصير إلى تفسير الشعر المتقدم:

"يا تَيْمُ تَيْمَ عدي" فيه مذهبان:

مذهب سيبويه: إن "تيم" الأول مضاف إلى "عدي"، و"تيم" الثاني مؤكّد اعترض بين الخافض والمخفوض، كاعتراض "ما" في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومذهب أبي العباس المبرد: أن "تيمًا" الأول، مضاف إلى محذوف دل عليه ما بعده، كأنه قال: يا تيم عدي، يا تيم عدي.

وذهب الفراء، إلى نحو هذا، فتكون الحركة في "تيم" الأول حركة إعراب، وفي "تيم" الثاني حركة إتباع على مذهب سيبويه، والحركتان على مذهب أبي العباس حركتا إعراب.

ومن اعتقد أن الاسمين معًا جعلا اسمًا واحدًا، بمنزلة حضرموت، وبعلبك، أضيفا إلى عدي، كانت حركة "تيم" الأول حركة بناء، وحركة "تيم" الثاني حركة إعراب.

وأجاز السيرافي أن تكون بمنزلة "يا زيد بن عمرو"، وجعل فيه الموصوف مع صفته بمنزلة اسم واحد، فيجري "زيد" في هذا الرأي مجرى عطف البيان الجاري مجرى الصفة.

وقوله: "لا أبا لكم": "لا" تبرئة حذف خبرها، كأنه قال: لا أبا لكم موجود في الدنيا.

فإن قلتَ: فما الذي يمنع أن يكون "لكم" هو الخبر؟ فلا يحتاج إلى إضمار؟

فالجواب: أن المانع من ذلك، هو ظهور الألف في الأب؛ لأن حروف المد واللين في الأب -وأخواته- أصول إنَّما ثبتت في حال الإضافة، فوجب من أجل أن الألف تكون مضافًا إلى الضمير، وتكون اللام مقحمة تأكيدًا للإضافة، وإذا كان الأمر على ما وصفناه، بطل أن يكون "لكم" الخبر، وإنَّما يكون المجرور هو الخبر، إذا حذفت الألف، وقلت: لا أب لك، كما قال نهار بن توسعة اليشكري:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

فإن قال قائل: كيف يصح أن يقال في هذه اللام: إنَّها زائدة مقحمة، وأنت إذا قلت: لا أبا لك لَم يجز؛ لأنه يصير الأب معرفة بالإضافة إلى الضمير، و"لا" لا

تعمل في المضاف، فإذا كانت هذه اللام هيأت الاسم، وأصلحته لأن تعمل فيه "لا" والاعتماد عليها، فكيف يقال فيما هو معتد به، معتمد عليه: إنه زائد؟.

فالجواب: أن اللام معتد بِها؛ من جهة أنَّها هيأت الاسم لأن تعمل فيه "لا" وهي غير معتد بِها؛ من جهة إثبات الألف في "الأب".

فإن قيل: فكيف يصح أن يقال في شيء واحد: إنه معتد به ، وغير معتد به؟ وهل هذا إلا بمنـــزلة الجمع بين النقيضين؟

فالجواب: أنه إنَّما كان يعد جمعًا بين نقيضين لو قلنا: إنه معتد بِها، من جهة واحدة بمعنى واحد، وإذا اختلف الجهتان لَم يلزم هذا الذي اعترضت به؛ لأنه لا ينكر أن يكون الشيء معتدًّا به من جهة ما، وغير معتد به من جهة أخرى.

فإن قال قائل: فإذا قلتم: لا أبا لزيد، بم تخفضون "زيدًا"، بإضافة "الأب"، أو باللام؟.

فالجواب: أن الاختيار عندنا أن يكون مخفوضًا باللام لا بالإضافة، والعلة في ذلك: أنه لِمَا اجتمع عاملان، ولم يجز أن يجر "زيد" بهما جميعًا، إذ لا يعمل عاملان في معمول واحد، في حالة واحدة، من جهة واحدة، لَم يكن بد من تعليق أحدهما عن العمل وإعمال الآخر، فكان تعليق الاسم أولى لوجهين:

أحدهما: أنا قد وجدنا الأسماء تعلق عن العمل، في نحو قولهم: مررت بخير وأفضل من ثَمَّ، وقطع يد ورجل من قاله، وقال الفرزدق:

يا من رأى عارضًا أَرِقْتُ له بين ذراعي وجبهة الأسد

ولم نجد حرفًا يعلق عن العمل، وإن كان زائدًا إلا نادرًا، كالباء في قولنا: "ليس زيد بقائم" فهي زائدة، وقد عملت كما عملت غير الزائدة في "مررت بزيد".

وكذلك قلنا: "ما جاءني من أحد"، "من" قد عملت في "أحد" وهي زائدة كما عملت غير الزائدة، في قولنا: خرجت من الدار.

والوجه الثاني: أن الاسم أقوى من الحرف، والأقوى يحتمل من التعليق والحذف، ما لا يحتمله الأضعف، كذلك قال ابن جني، وأجاز القول الأول، وهو تعليق الاسم.

ويمكن من علق الحرف أن يقول: إنا قد وجدنا الحروف تعلق في الحكاية كقول الراجز:

والله ما ليلي بنام صاحبه ... ولا مخالط اللَّيان جانبه

وأنشد أبو القاسم في باب: "ما لا يجوز فيه إلا إثبات الياء":

٦٦- يا ابنة عمًّا لا تلومي واهجعي

هذا البيت لأبي النجم العجلي، واسمه: الفضل بن قدامة.

و"قدامة": اسم مرتجل مشتق من التقديم، أو من التقدم، و"الفضل، والنجم": منقولان. وبعده:

لا تُسمعي منك لومًا واسمعي ... أيهات أيهات ولا تطلعي

هي المقادير فلومي أو دعي ... لا تطمعي في فرقتي لا تطمعي

ويروى: هي الملازم، أي: الأقدار اللازمة، التي لا ينجو منها أحد.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٦٧ – يا ابن أمي ويا شقيق نفسي ... أنت خليتني لدهر شديد

هذا البيت يروى لأبي زبيد الطائي، واسمه: حرملة بن المنذر، في شعر يقول فيه:

غير أن الجُلاح هدَّ جناحي ... يوم فارقته، بأعلى الصعيد

عن يمين الطريق عند صَدًى ... حران يدعو بالليل غير مَعُودِ

صاديًا يستغيث غير مغاث ... ولقد كان عُصْرَة المنجود

و"زبيد": اسم منقول، يجوز أن يكون تصغير "زَبْد"، وهو العطاء، أو تصغير "زُبْد" المعروف، أو تصغير "الزَّبَد" الذي يعلو الماء، أو تصغير زابد أو مزبود أو مزبد، على معنى تصغير الترخيم.

و"حرملة": منقول أيضًا من واحدة الحرمل.

وأما "طيِّئ": فإنه "فيعل" من طاء يطوء، إذا ذهب وجاء، وأصله: طيو فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، كما فعل بسيّد وميّت، فإذا نسبت إليه قلت: طائي، وأصله: طيئي، على مثال طيعي، فحذف أحد اليائين تخفيفًا، وأبدلت الثانية ألفًا استحسانًا، لا وجوبًا عن علة، كما قالوا في النسبة إلى الحيرة، حاري.

ومعنى "هدَّ": هدم وأذهب، و"الصعيد": وجه الأرض، والصعيد أيضًا: القبر.

و"الصَّدَى": طائر، وكانت العرب تزعم أنه يتخلص من الميت المقتول، ويقول: اسقوني، حتى يقتل قاتله، ولذلك قال: صاديًا، أي: عطشان، هذا هو

المشهور عند العرب من أمر الصدى وصياحه.

واستعمله طرفة بن العبد على معنى آخر، فقال:

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا صدى أينا الصَّدِي؟

يقول لعاذليه عن الاستهتار بشرب الخمر: أنا أروي صداي في حياتي فلا يحتاج أن يصيح بعد موتي: اسقوني، اسقوني، وأنت لا تروي صداك، فستعلم إن متنا غدًا، صدى من يصيح، أصداي أم صداك؟

و"الصدى": مرفوع بالابتداء، "وأينا": مخفوض بإضافة صدى إليه، كما تقول: ابن أي القوم أنت؟

وقد أولع الناس بتنوين "صدى" ورفع أينا، وهو خطأ لا وجه له.

و"العصرة": الملجأ، و"المنجود": المكروب.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٦٨ – يا ابن أمي لو شهدتك إذ تد عُو تميماً وأنت غير مجاب

هذا البيت لمعديكرب، المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث، وكان قتل يوم "الكُلاب"، وكان في ذلك اليوم رئيس بكر، وذكر ابن النحاس أنه لمهلهل وهذا غلط.

و"معديكرب": اسم مرتجل، ومعناه: عداك الكرب، كذا قال أبو العباس ثعلب.

وقال بعض اللغويين: معنى شرحبيل، وشراحيل: وديعة الله.

و"غلفاء": منقول؛ لأنه تأنيث الأغلف، وكذلك الحارث؛ لأنه صفة مشتقة من حرث يحرث، وهذا البيت من جملة أبيات أنشدها أبو عبيدة وهي:

إن جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الظراب

من حديث نمى إليَّ فلا ترً قأ عيني ولا أسيغ شرابي

مرة كالزعاف أكتمها النا س على حرملة كالشهاب

من شُرحْبيل إذ تعاوره الأرْ ماح في حال صبوةٍ وشباب

يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تد عو تميمًا وأنت غيرُ مجاب

ثم طاعَنْتُ من ورائك حتى أدفع القوم أو تُبَزَّ ثيابي

وأنشد أبو القاسم في باب: "ما لا يقع إلا في باب النداء خاصة، ولا يستعمل في غيره":

٦٩- وقد رابني قولها: يا هنـــــاه ويحك ألحقت شرًّا بِشَرٍّ

هذا البيت يروى لامرئ القيس بن حجر، وكان الأصمعي يروي هذا الشعر لرجل من النمر بن قاسط، يقال له: ربيعة بن جشم، ومعنى "رابني": شككني، ومعنى "يا هناه": يا رجل، وهي كلمة تقال لمن يستحقر.

ومعنى "ألحقت شرًّا بشر": أي: كنت عند الناس متهمًا بأمرك، وقد زدت الآن بإقبالك إليَّ تهمة على تهمة.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٠- في لجـــة أمسك فلانـــًا عن فُـــل

هذا البيت لأبي النجم، واسمه: الفضل بن قدامة وقبله:

تثير أيديها عَجاجَ القسطل

إذ عصبت بالعَطَن المغربل

تدافع الشِّيب ولم تُقَتّـــــل

في لُجّةٍ أمسك فلانًا عن فل

وصف إبلاً، يقول:

أقبلت وأيديها تثير العجاج، وهو الغبار، لكثرتها، و"القسطل": الغبار، و"الشِّيب": الشيوخ، جمع أشيب.

ومعنى "ولم تقتل": أي: تتزاحم، ولا تتقاتل، فشبه تزاحمها ومدافعتها بعضها بعضًا بقوم شيوخ في لجة، يدفع بعضهم في بعض، فيقال: أمسك فلانًا عن فل، و"اللجة": اختلاط الأصوات، والمعنى: في لجة يقال فيها، فأضمر القول، كما قال ﷻ: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ**﴾ [الرعد: ٢٤]، أي: يقولون: سلام عليكم.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧١- أُطَوِّفُ ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكَاعِ

هذا البيت للحطيئة، واسمه: جرول بن أوس، ويكنى: أبا مليكة، يهجو به امرأته.

و"جرول" وأوس، والحطيئة، والمليكة": أسماء منقولة، فأما "الجرول" فهو الحجر، قال الراجز:

يا نخل ذات السدر والجراول

تطاولي ما شئت أن تطـــاولي

وأما "الأوس": فالعطية على جهة العوض، و"أوس": الذئب، وكذلك أويس، قـــال الراجز:

يا ليت شعري عنك والأمر أَممْ   ما فعل اليــــوم أويس بالغنم

و"مليكة": تصغير ملكة، مؤنثة الملك، أو تصغير مُلْكَة على مثال ظُلْمَة، وهي الجلبانة.

وأما "الحطيئة": فتصغير حَطْأة، وهي الضرطة، والحطأة أيضًا: الصَّرْعة، يقال: حطأت الرجل، إذا صرعته بالأرض.

واختلف في تلقيبه بالحطيئة:

فقيل: لقب بذلك لقصره، وقيل: لقب بذلك لأنه ضرط بين قوم، فقيل له: ما هذا؟ فقال: حُطَيئة.

وقال الرياشي: سمي بذلك؛ لأنه كان محطوء الرِّجْل، والرِّجْل المحطوءة هي التي لا أخمص لها.

ومعنى "أطوف ما أطوف": أُكْثِرُ الطواف، ويروى: أُطَوِّدُ- بالدال غير معجمة، وهو مثل أطوف-، هكذا رواه يعقوب.

و"ما" مع الفعل بتقدير المصدر، كأنه قال: أطوِّف طوافي، وهو من المصادر السادة مسد الظروف، كأنه قال: مدة طوافي. و"آوي": ألجأ.

و"قعيدة" الرجل: امرأته سميت بذلك للزومها البيت.

ومعنى "لكاع": خسيسة، وإذا قيل ذلك للرجل، قيل: يا لكع، والأغلب عليهما ألا يستعملا إلا في النداء، وربما استعملا في غيره، وقد جاء في هذا الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع ابن لكع**».

أي: خسيس ابن خسيس.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٢- وما عليك أن تقولي كلمـــا   هلَّلت أو سبَّحت ياللهم ما

أردد علينا شيخنـــا مســـلمًـــا   من أينما وحيثما وكيفمـــا

هذا الرجز لا أعلم قائله، وزاد فيه الكوفيون:

فإننا من خيره لن نعـــدمـــا

أي: أمر بنيه وأهله، ومن جرى مجراهما بالدعاء له، والسلامة في السفر بعد انقضاء البغية والوطر. و"ما" زائدة.

وأنشد أبو القاسم في باب: "الاستغاثة":

٧٣ - يا عجبًا لهذه الفليقـــــة   هل تُذْهِبَنَّ القوباء الريقـــة

هذا الشعر لا أعلم قائله.

و"الفليقة": الداهية، ويقال أيضًا: فليق، -بغير هاء،- وفِلْق وفِلْقَة وفيلق.

وزعم أبو العباس المبرد أنه يقال: فَلق بفتح الفاء، وذلك غير معروف، قال سويد بن كراع:

إذا عرضت داوية مدلهمة   وغَرَّدَ حاديها عَمِلْنَ بِها فَلْقا

وقال الآخر:

نَشُقُّهَا بفيلق عن فيلق

قال خلف الأحمر: موت الإمام فَلْقَةٌ من الفِلَق.

و"القَوَبَاء": بفتح الواو وتسكينها، فمن فتح الواو جعل الهمزة للتأنيث فلم يصرفها، ومن سكن واوها جعل الهمزة للإلحاق فصرفها.

وأجاز الكوفيون ترك صرفها، مع سكون الواو، وتكون ألفها للتأنيث، ولا يجيز ذلك البصريون. و"الريقة": القطعة من الريق.

وهذا البيت لأعرابي أصابته قوباء، فقيل: اجعل عليها شيئًا من ريقك، وتعهدها بذلك فإنَّها ستذهب، فعجب من ذلك واستغربه.

ويروى: هل تغلبن القوباءُ الريقة -برفع القوباء- كأن معناها: أن الأعرابي كان يعتقد أن الريقة لا تبرؤها، فأنكر ذلك وتعجب منه، ويجوز تنوين العجب، وترك تنوينه.

لمن نونه فله وجهان من الإعراب:

أحدهما: أن يكون منادى منكورًا، أو منادى مطولاً، وهو الذي ينصب، وإن كان يقصد إليه لطوله بما يتصل به، كقولك: يا خيرًا من زيد، ويسمى المشبه بالمضاف، لاحتياج الأول إلى الثاني، كاحتياج المضاف إلى المضاف إليه.

والوجه الثاني: أن يكون المنادى غير المتعجب، ويكون "عجبًا" منصوبًا على

المصدر، كأنه قاله: يا قوم اعجبوا عجبًا.

ومن روى: "يا عجبَا" بلا تنوين، فله وجهان أيضًا:

أحدهما: أن يكون منادى مضافًا، على لغة من يقول: يا غلامًا أقبل، ونحوه قول أبي النجم:

يا ابنة عمًّا لا تلومي واهجعي

والوجه الثاني: أن تريد: يا عجباه، وأكثر ما يستعمل هذا في الندبة، وقد جاء في غير الندبة نحو قول الآخر:

يا مرحباه بحمار ناجية إذا أتى قربته للسانية

وقال الآخر:

يا مرحباه بحمار عفراء إذا أتى قربته لِمَا يشاء
من الحشيش والشعير والماء

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٤- تكنفني الوشاة فأزعجوني فيا لله للواشي المطاع

هذا البيت لقيس بن ذريح، وقد ذكرنا اسمه فيما تقدم، وكان تزوَّج لبنى، وأبوه كاره لذلك، فأمره بتطليقها، فأبى، وأقسم أبوه ألا يكنه سقف حتى يطلقها، ثم استلقى في الرمضاء، وهي الرملة التي قد حميت بحر الشمس، وقال: والله لا برحت من هذا الموضع حتى تطلقها أو أموت، فعنفه قومه لعقوق أبيه، وقالوا: إن مات أبوك على هذه الحال كان ذلك سبَّة عليك، فَأَرْضِهِ بطلاقها، وسترغب إليه بعد ذلك في أن تراجعها، فطلقها كارهًا، ثم زال عقله، وندم أبوه على ما فعل، فأتى والد لبنى، وسأله أن يراجعها، فأبى وأنكحها غيره، فقال في ذلك:

أيا كَبِدا وعاودني رداعي وكان فراق لبنى كالجُدَاعِ
تكنَّفني الوشاة فأزعجوني فيا لله للواشي المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفس على شيء وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه تبين غبنه بعد البياع
بدار مضيعة تركتك لبنى كذاك الجُبن يهدى للمضاع
وقد عشنا بلذ العيش حيْناً لو أن الدهر للإنسان راعي

ولكن الجميع إلى افتـــــراق وأسباب الحتوف لها دواعـــي

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٥- يبكيك ناء بعيد الدار مغترب يا للكهول وللشُّبان للعجب

هذا البيت لا أعلم قائله.

و"النائي": البعيد، وأراد هاهنا بعده منه في النسب، لأنه ذكر بعد مكانه من مكانه.

ووصف "ناء"، وهو نكرة "ببعيد الدار" المضاف إلى معرفة، لأن إضافته في نية الانفصال؛ لأن الدار فاعلة في المعنى، وإن كانت مخفوضة اللفظ، لأن التقدير: بعيد داره.

يقول: يبكي عليك الغريب ويسر لموتك القريب، وذلك أحد الأعاجيب، كما قال الآخر:

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور

وقد استغاث بهم، كما استغاث بالكهول.

وكسر لام "الشبان"؛ لأن أصل هذه اللام الكسر، وإنَّما فتحت فرقًا بين المستغاث به، والمستغاث من أجله، فلما عطفت أحد الاسمين على الآخر علم أنه داخل في حكمه؛ لأن من خاصة الواو أن تشرك بين المعطوف، والمعطوف عليه لفظًا ومعنى، فأغنى ذلك عن فتحها، فجاء بِها على الأصل، وهذا ليس في كل موضع، وإنَّما تكون فيما لَم يكن فيه حرف النداء مكررًا، كقولك: يا لزيد ولعمر وللعجب، فإذا كررت حرف النداء قلت:

يا لزيد ويا لعمرو، بفتحهما معًا؛ لأن الكلام صُيِّرَ جملتين، قال الشاعر في التكرير:

يا لَقومي من لِلْعُلى والمساعي يا لَقومي من لِلندى والسماح

يا لَعَطَّافِنا ويــــا لريـــــاح ولأبي الحشرج الفتى النَّفـــاح

ويروى: وأبي الحشرج الفتى النَّفَّاح.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٦- حار بن كعب ألا أحلام تزجركم عنا وأنتم من الجوف الجماخير

هذا البيت لحسان بن ثابت، وقد ذكرت اسمه فيما تقدم. وكان سبب قوله هذا الشعر: أن النجاشي، هجا بني النجار من الأنصار، بشعر يقول فيه:

لستم بني النجار أكفاء مثلنا فأبعِد بكم عنا هنالك أَبْعِـــدِ

فإن شئتم نافرتكم عن أبيكم إلى من أردتم من تهام ومنجَدِ
ألم يك فينا ينفخ الكير باسْتِهِ كـأن بشدقيه نُفَاضَة إثْمدِ؟!

فقالت الأنصار لحسان بن ثابت: يا أبا الوليد أتهجو النجاشي؟

فقال: أين أنتم من ابني عبد الرحمن؟

فقالوا: إياك أردنا، فقد راجعه عبد الرحمن، فلم يصنع شيئًا.

فوثب حسان فضربه بالباب، فشجه على حاجبه، فقال: باسم الله اللهم أخلف في رسولك اليوم، ثم قال شعره الذي يقول فيه:

أَبَنِي الحِمَاسِ أليس منكم ماجد إن المروءة في الحِمَاس قليل

ثم قال: والله ما أنجزت بما قال! ثم قال: اسمعوا:

حـار بن كعب ألا أحلام تزجركم
عنـا وأنتم من الجوف الجماخيرِ؟!
لا بـأس بالقوم من طول ومن قِصَرٍ
جسم البغـال وأحلام العصافيـر
ذروا التخاجؤ وامشوا مشية سُجُحًا
إن الرجـال ذوو عَصْبٍ وتذكير
لا ينفع الطُّول من نَوْك القلوب ولا
يهدي الإلـه سبيل المعشر البـور
إني سـأقصر عرضي عن سَرَاتِكُمُ
إن النجـاشي لشيء غير مذكور
ألفى أبـاه، وألفى جـده حُبِسا
بمعزل عن مسـاعي المجد والخِير

ثم قال: اكتبوها صكوكًا، وألقوها على غلمان الكتابة، ففعلوا. واتصل ببني عبد المدان الخبر، فأخذوا النجاشي، وأوثقوه وأتوا به حسان، وقالوا: هذا صاحبنا، وقد جئناك به، فحكّمنا فيه يا أبا الوليد.

فقال حسان: نادوا في الناس، فانجفل الناس إلى أُطُم[1] حسان، ومعهم السلاح، ووضع لحسان منبر فقعد عليه، وبيده مخصرة، وقال: أين صاحبي؟ فجيء بالنجاشي، فأقعد بين يديه، فقال له عبد الله بن عبد المدان: هذا هو، فاحكم فيه برأيك، واكفف عنا غرب لسانك، فقد كنا نفخر على الناس بعظم أجسامنا، وبطولنا، فأفسدت ذلك علينا، فقال حسان: كلا، ألست القائل فيكم:

وقـــد كنـــا نقول إذا رأينا ... لـــذي جسم يُعَدُّ وذي بيانِ

كأنك أيهـــا المعطي بيـــانًا ... وجسمًا من بني عبد المدان؟

ثم نظر إلى النجاشي ساعة، ثم قال لابنه:

أين الدراهم التي بقيت من صلة معاوية؟ فأُوتِيَ بِها إليه، وكانت مائة دينار، ثم قال: جيئوني ببغلة ابني عبد الرحمن، فجاءوا بِها.

فقال: حلوا عنه وثاقه، فحلوه.

فقال حسان: خذ هذه الدراهم، فأنفقها، وهذه البغلة فاركبها، فشكرته الجماعة على ذلك.

و"الجوف": جمع أجوف، وهو العظيم الجوف، و"الجماخير": جمع جمخور، وهو العظيم الجسم الخوّار.

و"التخاجؤ": مشيٌ فيه تبختر، والمشية السجح: السهلة.

و"العَصْب": شدة الخلْق يقال: رجل معصوب، شديد الخلْق.

و"البور": جمع بائر، وهو الهالك.

و"المعْزِل": المكان المعتزل عن المنازل.

و"المساعي": ما يسعى إليه الإنسان من خير وشر.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٧- يا حار لا أُرْمَيْنَ منكم بداهية ... لَم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

هذا البيت من مشهور شعر زهير بن أبي سلمى، يخاطب الحارث بن ورقاء الصيداوي الأسدي، وكان أغار على بني عبد الله بن غطفان، فغنم، وأخذ إبل زهير

(١) الأطم: الحصن، وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع.

وراعيه يسارا، فطالبهم بذلك ليردوا عليه ما أخذوه.

و"السُّوقة" من الناس: من دون الملك.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٨- أعائش ما لأهلك لا أراهم يُضِيعُونَ الهجان مع المضيع

هذا البيت للشماخ، واسمه: معقل بن ضرار، وقد تقدم ذكره. وبعده:

وكيف يضيع صاحب مُدْفآت على أثباجهن من الصقيع

"هجان الإبل": كرائمها، و"المدفآت": الكثيرات الوبر، و"الأثباج": الأوساط، واحدها: ثبج، و"الصقيع": الثلج.

أراد: أن على أوساطهن وبرًا كثيرًا يقيها البرد، قد أدفئت به. أراد: أن عائشة قالت له: ما لك لا تزورنا، وتتشاغل برعي إبلك والتغرب بِها؟.

فقال لها: إن كان تضييع المال من الصواب، فما لأهلك لا يفعلون ذلك؟ فكما أن أهلك يرعون إبلهم، ولا يضيعونها، فكذلك أرعى إبلي، ولا أضيعها، ثم قال: وكيف يضيع ماله من له من الإبل جِنَابٌ قد أدفئت بكثرة الأوبار على ظهورها؟

ثم قال بعد ذلك يمدح إبله، ويؤكد حفظها:

لمالُ المرء يصلحه فَيُغْنِي مفاقره أعف من القنوع

يسد به نوائب تعتريه من الأيام كالنهل الشروع

و"القنوع": السؤال، و"النهل": الإبل العطاش، واحدها: ناهل، و"الشروع": التي تشرع في الماء.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٧٩- يا أَسْمُ صبرًا على ما كان من حدث إن الحوادث مَلْقِيٌّ ومُنْتَظَرُ

هذا البيت لأبي زبيد الطائي، يعزي به أسماء أم عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وقتل بصفين، وكان مع معاوية، ولذلك قال في هذا الشعر:

كم من أخ لي كعدْلِ الموت مهلكه أودى فكان نصيبي بعده الذكر

يا جنفة كنضيح الحوض قد كُفِئَتْ ببطن صِفّين يعلو فوقها العَفْرُ

يقول: من الحوادث ما قد لقيه الإنسان، ومنها ما ينتظره، ولا يشك في أنه يلقاه، إذ كان الإنسان مخلوقًا للفناء عالمًا بأنه لا سبيل له إلى البقاء.

و"عِدل" الشيء بكسر العين: نظيره من جنسه، تقول: عندي عدل ثوبك، أي: ثوب مثله، وعندي عَدله بفتح العين، أي: قيمته. ويجوز "مُهْلِكُه"- بضم الميم- فيكون مصدرًا بمعنى الإهلاك، ويجوز- "مَهْلِكَه"- بفتح الميم- فيكون مصدرًا بمعنى الهلاك.

و"مفعل" إذا كان الفعل ثلاثيًا، فميمه مفتوحة، وإذا كان من فعل قد تجاوز الثلاثة، فميمه مضمومة.

وإذا فتحت الميم من "مهلك" فلك أن تكسر اللام، ولك أن تفتحها ويقرأ: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِه﴾ [النمل: ٤٧].

و"النَّضيح": الحوض الكبير، و"كفئت": قلبت، و"العفر": الغبار، ويقال: كفئت جفنة فلان، وصَفِرَت وِطَابُه، إذا مات، وذلك أن السيد كان إذا مات كسرت جفنته، التي كان يطعم فيها، وتركت وطابه فارغة، لا يمحض فيها لبن، ولذلك قال امرؤ القيس:

وأفلتهن عِلْباءٌ جريضًا ولو أدركته صفر الوطابُ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٠- قفي يا أَسْمَ هل تعرفينه أهذا المغيري الذي كان يذكر؟

هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة، وقد ذكرنا اسمه وكنيته، وهذا البيت من قصيدته المذهبة، وهي ثمانون بيتًا وقبله:

على أنَّها قالت غداة لقيتها بمدفع أكنان أهذا المشهر؟

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨١- يا مُرْوُ إن مطيتي محبوسة ترجو الحباء وربها لَم يَيْأَسِ

هذا البيت للفرزدق، وقد ذكرنا اسمه وكنيته فيما تقدم. وكان سبب قوله هذا الشعر أنه كان مقيمًا بالمدينة، وكان أزنى الناس فقال شعرًا يقول فيه:

هما دَلَّيَاني من ثمانين قامةً

كما انفضَّ بازٍ أَقْتَمُ الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا

أحَيٌّ فَيُرْجَى أم قتيل نحاذره؟

فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا

وأقبلتُ في أعجاز ليـــل أبــادره

أحاذر بَوَّابَيْن قد وكــــلا بنـــا

وأسود من ساج تَبِصُّ مســـامره

فعيره جرير بذلك في شعر له طويل فقال:

لقد ولدت أم الفرزدق فاجـــرًا

فجاءت بِوْزَوازٍ قصير القوائـــم

يوصل حبليه إذا جـــن ليـــله

ليرقى إلى جـــاراته بالسـلالم

تدليت تـــزني من ثمانين قامـــة

وقصرت عن باع العلا والمكـارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا

مداخل رجس بالخبيثات عـــالم

لقد كان إخراج الفرزدق عنكـم

طهورًا لِمَا بين المصـلى وواقـم

فاجتمع أشراف أهل المدينة إلى مروان بن الحكم، وكان واليها، فقالوا له: ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج النبي ﷺ، وقد أوجب على نفسه الحد. فقال مروان: لست أحدُّه أنا، ولكن أكتب إلى من يحده، فأمره مروان بالخروج من المدينة، وأجله ثلاثة أيام، وفي ذلك يقول الفرزدق:

توعدني وأجلسني ثلاثـــًا كما وُعِدَتْ بمهلكها ثَمــود

ثم كتب له كتابًا إلى عامله، فأمره فيه بأن يحده، ويسجنه، وأوهمه أنه كتب له بجائزة، ثم ندم مروان على ما فعل، فوجه إليه رسولاً، وقال: إني قلت شعرًا، فأسمعه، فأنشده:

قـــل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة إنَّها مذمـــومـــة واقصـــد لمكة أو لبيت المقـدس

وإن اجتنبت من الأمور عظيمة فخذن لنفسك بالرباع الأكيس

فَفَطِنَ الفرزدقُ لما أراد، فرمى الصَّحيفة. وقال:

يا مَرْوُ إنّ مطيتي محبوســة ترجو الحِبَاءَ وربُّها لم يَيْأَس

وحبوتني بصحيفة مختومة تخشى علي بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يا فرزدقُ لا تكنْ نكراء مثل صحيفة المتلمس

وخرج فارًّا حتى أتى سعيد بن العاص، وعنده الحسن والحسين- عليهما السلام-، وعبد الله بن جعفر، فأخبرهم الخبر، فأمر له كل واحد منهم بمائة دينار وراحلة، وتوجه إلى البصرة.

وقيل لمروان: أخطأت فيما فعلت، فإنك عرضت عرضك لشاعر مُضَر، فوجه وراءه رسولاً ومعه مائة دينار وراحلة، خوفًا من هجائه.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٢- كليني لِهَمٍّ يا أميمة ناصبِ وليل أقاسيه بطيء الكواكب

هذا البيت من مشهور شعر النابغة الذبياني، وكان يكنى: أبا أمامة، وأبا عقرب، بابنتين كانتا له.

واختلف في تسمية "النابغة" نابغة:

فقيل: سمي بذلك لأنه قال الشعر بعدما كبر. يقال نبغ الرجل: إذا لَم يكن يقول الشعر، ثم قاله. وقيل: سمي نابغة لقوله:

نأت بسعاد عنك نوى شطون فباتت والفؤاد بِها رهين
وحلَّتْ في بني القين بن جسر فقد نبغت لنا منهم شئون

وقيل: هو مشتق من نبغت الحمامة، إذا تعبت. قال ذلك الرياشي، وحكى ابن وَلاَّد أنه قال: نبع الماء، ونبغ، فكأنهم أرادوا: أن له مادة من الشعر لا تنقطع، كمادة الماء النابع.

و"الناصب": المتعب، وكان قياسه أن يقول مُنْصِب، كما قال طفيل:

تعناك نصب من أميمة منصب

ولكنه جاء على معنى النسب، أو على حذف الزيادة من الفعل، كما قال: أورس الشجر[1]، فهو وارس، وأبقل المكان فهو باقل.

وقوله: "بطيء الكواكب": أراد أن الليل لطوله يخيل إلى الساهر فيه أن

(١) أي: أورق، أخرج ورقه.

كواكبه لا تبرح.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٣- قالت بنو عامر خالوا بني أسد　　　يا بؤس للجهل ضرارًا لأقوام

هذا البيت من مشهور شعر النابغة.

ومعنى "خالوا بني أسد": تاركوهم، يقال: خالى الرجل أهله، إذا طلقها.

وكانت ذبيان أرادت مخالفة بني عامر، فقال بنو عامر: لا نخالفكم حتى تتركوا ما بينكم وبين بني أسد من الحلف، فنسبهم النابغة إلى الجهل فيما قالوا وأعلمهم أن ذلك لا يكون، فإن ذلك سيضرهم عند بني أسد، ويحقدهم عليهم.

ونصب "ضرارًا" على الحال.

واللام في قوله: "يا بؤس للجهل" مقحمة، وقد قلنا فيما مضى من شعر جرير "لا أبا لكم": إن الاختيار أن تكون اللام هي الجارة، دون الإضافة، وإن كانت زائدة، وقلنا في هذا هناك ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، فارجع إليه تره -إن شاء الله تعالى-.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٤- يا بؤس للحرب التي وضعـــت　　　أراهط فاستـــــراحـــوا

هذا البيت لسعد بن مالك القيسي، يقوله في حرب "البسوس"، حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب، لقتل كليب، فاعتزل الحارث بن عباد الحرب، وقال: هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل، فلم يزل معتزلاً لهم، إلى أن قتل مهلهل ابنه بجيرًا، فأخبر بذلك، فقال: إن ابني لأعظم قتيل بركة إذا أصلح الله به بين ابني وائل، وكف سفاههما وحقن دماءهما.

والسفاه: الطيش والخفة، فقيل له: إنه حين قتله قال: بؤ بَشِسْعِ نعل كليب.

فلم يصدق ذلك، وأرسل إلى مهلهل يقول له: إن كنت قتلت ابني بأخيك ورضيته ثأرًا، فقد رضيت ذلك لتطفأ هذه الثائرة، فقال مهلهل: إنَّما قتلته، بشسع نعله، فعند ذلك غضب الحارث، وقال الحارث لأمه: ردي أحمالك لألحقك بقومك، فمن أنا من ما أنت؟ فذهبت مثلاً. وقال:

قَرِّبا مربطَ النعـــــامة مني　　　لَقِحَتْ حرب وائل عن حيالٍ

لَم أكن من جنـــاتها علم الله وإني لحرها اليوم صـــــال
لا بجير أغنى فتيلاً ولا رهـــ ـــط كليب تزاجروا عن ضلال
قربا مربط النعامـــــة مني إن قتل الغلام بالشسع غال

ورجع إلى بكر بن وائل، وشهد الحرب، وكان يوم تسميه العرب: يوم التحالق، وكان سعد بن مالك قد قال عند اعتزال الحارث الحرب يُعرِّض به، وبمن شايعه على مذهبه:

يـــــا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا
والحـــــرب لا يبقى لِجَـــا حمها التخيـــل والمـــراح
إلا الفتى الصبار في النجـــ ـــدات والفرس الوَقَـــاحُ
من صـــــد عـــن نيـــرانهـــا فأنا ابن قـــيس لا بَـــرَاحُ
كشفـــت لنـــا عن ساقهـــا وبدا لنـــا منهـــا الصـــراح

فلما انقضى يوم التحالق، وكان الظهور ذلك اليوم لبكر على تغلب، قال الحارث لسعد بن مالك: أتراني فيمن وضعته الحرب؟ فقال: لا، ولكن "لا مخبأ لعطر بعد عروس"، فذهبت مثلاً، ومعناه: إن لَم تنصر قومك الآن، فلمن تدخر نصرك؟

ومعنى "وضعت أراهط": أي: أسقطتهم، فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب فاستراحوا من مكابدة شرها ومقاساة حرها.

و"أراهط": جمع رهط، وقد جاء أراهط مستعملاً على أرهط، قال رؤبة:

هو الذليل نفرًا في أرهطه

وأكثر النحويين يرى أن أراهط جمع رهط على غير قياس.

و"التخيل": الخيلاء، و"المراح": النشاط.

و"جماحها": جحيمها، و"النجدات": الشدائد.

و"النعامة": اسم فرس الحارث بن عباد.

ومعنى "لقحت": حملت، و"الحيال": أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل، يقال: كانت حرب بكر وتغلب قبل اليوم حيالاً، أي: بمنـــزلة الناقة الحائل، فصارت اليوم بَمنـــزلة الولود. وإنَّما ضرب ذلك مثلاً لِمَا يولد من الحرب، من الأمور التي لَم تكن تحتسب، ثم حلف الحارث بن عباد لا يصالح تغلب حتى تكله الأرض، فلما كثرت وقائعه في تغلب ورأت تغلب أنَّها لا تقدر على مقاومته، حفروا سربًا تحت

الأرض، فأدخلوا فيه إنسانًا، وقالوا له: إذا مر الحارث بك فتغن بِهذا الشعر:

أبا منذر أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فلما مر الحارث على ذلك الموضع، اندفع الرجل يتغنى في السرب بِهذا البيت، فقيل للحارث: قد برّ قسمك، فابق بقية قومك، ففعل.

وأنشد أبو القاسم في باب : "ما رخمت الشعراء في غير النداء اضطرارًا":

٨٥- ألا أضحت حِبالُكم رِمَامًا وأضحت منك شاسِعَةً أُمَاما

هذا البيت لجرير بن الخطفي.

وأراد بـ"الحِبَال": العهود، والمواصلة التي كانت بينهما.

و"ورِمَام": جمع رمة، وهي القطعة من الحبل البالية.

و"الشاسعة": البعيدة.

هكذا أنشده سيبويه شاهدًا على جواز الترخيم في ضرورة الشعر على لغة من يقول: "يا حارِ" بكسر الراء.

وزعم أبو العباس محمد بن يزيد، أنه قرأ على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

وما عهد كعهدكِ يا أُمَامَا

وهذا لا ضرورة فيه. وبعد هذا البيت:

يشق بِها العاقل مؤجداتٌ وكل عرندس ينفي اللغاما

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٦- ألا ما لهذا الدهر من متعلل على الناس مهما شاء بالناس يفعل

وهذا ردائي عنــده يستعيــره ليسلبني نفسي أمــال بن حنظل

هذا الشعر للأسود بن يعفر التميمي.

و"الأسود": اسم منقول عن الأسود، الذي هو ضد الأبيض، والأسود: الذي يراد به الحية، أو الأسود: الذي يراد به حبة القلوب، أو سواد العين.

و"يعفر": منقول من مستقبل "عفر"، بمنزلة "يشكر" منقول من مستقبل "شكر". يقال: عفرت الزرع، إذا سقيته أول أمره، وعفرت النخل: إذا ألقحته، وعفرت الرحل في التراب، وعفُر الرجل -بضم الفاء- عفارة، إذا خبث وتنكر، وفيه ثلاث لغات، "يَعفُر" -بفتح الياء، وضم الفاء-، و"يُعَفر" -بضم الياء، وفتح الفاء-

و"يُعْفُر" -بضم الياء والفاء-.

فمن ضم الياء والفاء صرفه، وفي الوجهين الآخرين لا ينصرف.

ومن روى: "ألا ما لهذا الدهر من متعلّل" كسر اللام؛ لأنه اسم فاعل من "تعلل".

ومن روى: "ألا هل لهذا الدهر" فتح اللام من "متعلّل"؛ لأنه مصدر بمنـــزلة التعلل.

وأراد "بالرداء" هاهنا: الشباب، يقول: الدهر يأخذ شبابي، ويعوضني منه الهرم ليدرجني بذلك إلى الهرم والموت.

وهو مثل قول امرئ القيس:

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

وقوله: "من متعلل" في رواية من روى "ألا ما لهذا الدهر": "من" ها هنا التي تقدر مع التمييز، فإذا سقطت انتصب الاسم كقول الآخر:

يا فارسًا ما أنت من فارس موطَّأُ الأكناف رحب الذِّراع

ولو سقطت من لقلت: ألا ما لهذا الدهر متعللاً، ويا فارسًا ما أنت فارسًا، وإذا ظهر النصب احتمل أن يكون تمييزًا، وأن يكون حالاً.

وأما من روى: "ألا هل لهذا الدهر من متعلل" بفتح اللام، فإن المتعلل مصدر بمعنى التعلل، ومن زائدة كزيادتها في قولك: هل لزيد من خروج؟ وموضع المجرور رفع بالابتداء.

قولـــه: "يستعيره" جملة في موضع الحال من الهاء، التي هي ضمير الدهر، أو من ضمير الرداء المضمر في الظرف؛ لأن معناه مستقرًّا عنده في هذه الحال.

فإذا كانت حالاً من الدهر، كانت حالاً جارية على من هي له .

وإذا كانت حالاً من ضمير الرداء، كانت حالاً جارية على غير من هي له.

ولو صيرتها اسمًا مفردًا لقلت -إذا كانت حالاً من الدهر- مستعيره، فلم يظهر الفاعل.

فإذا كانت من ضمير الرداء قلت: مستعيره هو، فأظهرت الضمير الفاعل، وقوله: "عنده" إن شئت جعلته في موضع رفع، كما تقول: هذا زيد منطلق، وإن شئت في موضع نصب، كما تقول: هذا زيد منطلقًا وهو الوجه.

واللام في قوله: "ليسلبني" لام "كي" وتسمى لام العلة، وهي متعلقة بالاستقرار

أو بـــ"يستعيره".

ويجوز في قوله: "نفسي" أن يكون مفعولاً ثانيًا، ويجوز أن يكون بدلاً من الضمير؛ لأن السلب تارة، يستعمل متعديًا إلى مفعولين، وتارة متعديًا إلى مفعول واحد.

ويجوز في "أمالِ" كسر اللام على لغة من يقول: يا حارِ، وفتحها على لغة من يقول: يا زيدُ بن عمرو، وهذا لا يكون إلا على مذهب من يجعل الرخم بعد ترخيمه بمنـــزلة اسم قائم بنفسه لَم يحذف منه شيء.

واللام في قوله: "لِهذا" متعلقة بمحذوف؛ لأنَّها في موضع خبر المبتدأ الذي هو "ما"، فهو بمنـــزلة "ما لزيد".

وأما الباء في قوله: "بالناس" فيجوز أن تكون متعلقة بـــ"شاء" كما تقول: أردت بزيد الخير. ويجوز أن تتعلق "بيفعل" كما تقول: فعلت به الجميل.

ونظير الوجه الأول قول الشاعر:

أراد بي التي لا خير فيها فحالت دونه أيد منيعة

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٧- وابن اللَّبون إذا ما لُزَّ في قَرَن لَم يستطع صولة البُزْلِ القناعيسِ

هذا البيت لجرير بن الخطفي.

وكان سبب قوله إياه: إنه دخل على الوليد بن عبد الملك بن مروان، وعدي ابن الرقاع العاملي ينشده قصديته التي أولها:

عرف الديار توهما واعتـــادها من بعد أن شمل البلى أبلادها

فلما فرغ من إنشاد القصيدة قال له الوليد: تسمع يا ابن الخطفي؟!

قال: من هو يا أمير المؤمنين؟

قال: عدي بن الرقاع العاملي.

قال له جرير: مِنَ الذين قال الله فيها: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً**﴾ [الغاشية: ٢، ٣، ٤].

فقال له الوليد: لا أم لك، أتقول هذا لمن يمدح أحياءنا، ويؤبن موتانا؟!

فقال جرير:

يقصر باع العاملي عن العلا ولكن أيْرَ العاملي طويل؟

فقال عدي: أأمك أخبرتك بطوله، أم أنت امرؤ لَم تدري كيف تقول؟

فقال الوليد: بل هو امرؤ لَم يدر كيف يقول، فغضب جرير، فقال عدي: يا أمير المؤمنين، أجرني من لسانه.

فقال الوليد لجرير: والله لئن ذكرته في شعرك لأُسْرِجَنَّك وليركبنك حتى تُعَيرك الشعراء بذلك.

فلم يذكره جرير في شعره، غير أنه عرض به في قصيدته التي أولها:

حيي الهِدَمْلَة من ذات المواعيس

فالحِنْوُ أصبح قفرًا غير مأنوس

فقال فيها:

إني إذا الشـــاعر المغرور حَرَّبَنِي جار لقبر على مـــــرَّان مرموس

قد كان أشوس أبَّاءً فأورثنا شَغْبًا على الناس في أبنائه الشوس

أقصر فإن نـــزارًا لن يفاخرهم فرع لئيم وأصـــل غير مغروس

لا يستطيع امتناعًا فَقْع قرقـــرة بـــين الطريقين بالبيد الأماليس

وابن اللبون إذا ما لزَّ في قَـــرَنٍ لَم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس

"الهدملة": من الرمل في قول أبي عبيدة، ما استدق وطال.

و"المواعيس": رمال سهلة الموطئ، واحدتها: "ميعاس".

ومعنى "حربني": أغضبني. و"مَرَّان": موضع على أربع مراحل من مكة، إلى البصرة، دون بلاد بني تميم بن مر.

ومعنى كونه جارًا له: أنه يجيء نحوه ينتصر وينتهر لعرضه ويعتز بالانتساب إليه، ويفاخر الناس به.

و"مَرْمُوس": مدفون، وفي الكلام حذف معناه: جار لذي قبر مرموس، يحذف المضاف لأن القبر لا يوصف بأنه مرموس.

و"الأَشْوس": المتكبر الذي ينظر بإحدى عينيه تيهًا.

"الأباء": الكثير التأبي، من الظلم.

و"القرقرة": المكان المستوي من الأرض.

و"البِيد": الفلوات التي تبيد من يسلكها، واحدتها: بيداء.

و"اللبون": الناقة التي لها لبن. و"لز": شد وربط.

و"القرن": الحبل الذي يقرن به البعير أو الثور.

و"البُزل": الجمال المسنة، واحدها بازل، والبازل من الإبل بمنـــزلة القارح من الخيل.

و"القناعيس": جمع قِنعاس، وهو الضخم، ونظير هذا البيت في معناه قول سحيم بن وثيل الرياحي:

عزرت البزل من أن خاطرت بي ... فما بالي ومال ابني لبون

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٨- وجدنا نهشلاً فَضَلَتْ فُقَيمًا ... كفضل ابن المخاض على الفصيل

هذا البيت للفرزدق. و"نهشل، وفقيم": قبيلتان.

و"ابن المخاض": الذي حمل على أمه، فلقحت، وذلك في السنة الثانية من مولده.

و"الفصِيل": الذي فُصِل عن الرضاع، وليس بينهما تفاوت كبير، فشبه بذلك تفاضل ما بين هاتين القبيلتين.

وقد أولع كثير من النحويين بأن يجيزوا في "فضلت" في هذا البيت فتح الضاد وكسرها؛ لأن أهل اللغة حكوا أنه يقال: فَضِل وفَضَل.

واللغتان إنَّما هما في الفَضْلة من الشيء، يقال من ذلك: فَضَل يَفْضُل على مثال: قعد يقعد، وفَضِل يَفْضَل، مثل: سمع يسمع، وفضل يَفْضِل بكسر الضاد من الماضي وضمها من المستقبل، و"فضلت" المذكورة في هذا البيت، إنَّما هو من قولهم: فاضلت الرجل ففضلته، أي: غلبته في الفضل، وفعل من هذا الباب، وهو باب المغالبة والمناوأة لا يكون إلا مفتوح العين وهو مطرد في ذلك.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٨٩- يا رب غابطنا لو كان يطلبكم ... لاقى مباعدة منكم وحرمانا

هذا البيت لجرير بن الخطفي، وقد مضى ذكره في باب اسم الفاعل.

وأنشد أبو القاسم في باب: "الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة":

٩٠- أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها ســود الكــلاب

هذا البيت لا أعلم قائله.

وصف قائله أن محبوبته لمــَّا كانت سوداء أحب كل شيء أسود من أجلها،

كما قال علي بن هشام، وقد عنف على حبه سوداء:

يكون الخـــال في وجه قبيح فيكســـوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام معشوق على من يراهـــا كلها في العين خالا

ولبعض أهل هذا العصر بيتان عكس ما هذا الأول، وهو قوله:

تعشقت سوداء على خبثهـــا فحـــلَّ عليَّ لَهـــا رداء

وعشقي سوداء عكس اسمها أوله "سو" وباقيــه "داء"

وقوله: "حتى أحب" يحتمل أن يكون في تأويل الماضي، كما قال أبو القاسم، كأنه قال: حتى أحببت.

ويحتمل: أن يكون فعل حال في وقته الذي قال فيه الشعر، كأنه قال: إني الآن في هذه الحالة، كما يقال: مرض فلان حتى لا يرجونه، أي: حتى هو الآن لا يُرجى.

واللام في قوله: "لحبها" متعلقة بـــ"أحب"، وهي لام العلة والسبب، ولا موضع لها، لتعلقها بظاهر.

وأنشد أبو القاسم في باب: "أو":

٩١- فقلت له: لا تبك عينك إنَّما نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا

هذا البيت من مشهور شعر امرئ القيس، وشهرته تغنينا عن ذكر الكلام فيه. ويروى: "فنعذَر" بفتح الذال، أي: يعذرنا الناس، ونعذِرا- بكسر الذال- أي: نبلغ العذر.

وأنشد أبو القاسم في باب: "الواو":

٩٢- لا تنَه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلـــت عظيـــم

اختلف الناس في قائل الشعر. فقوم يروونه: للأخطل. وقوم يروونه: للمتوكل الليثي. وقوم يروونه: لأبي الأسود الدؤلي وهي أثبت الروايات وبعده:

وابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غيهـــا فإذا انتهت عنه فأنت حكيـــم

وهناك يُسْمَعْ ما تقول ويقتدى بالفعل منك وينفع التعلـــيم

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٩٣- لَلُبس عبـــاءة وتقر عيني أحب إليَّ من لبس الشفوف

هذا البيت: لميسون بنت بجدل الكلبية.

و"ميسون، وبجدل": من الأسماء المرتجلة.

أما "بجدل": فلا أعلم له اشتقاقًا.

وأما "ميسون": فيحتمل أن يكون مشتقًّا من قولهم: مسنه بالسوط مسنًا، إذا ضربه فتكون ميمه أصلية، وياؤه زائدة، ووزنه: فيعول.

ويحتمل أن يكون مشتقًّا من "ماس يميس" إذا تبختر، فيكون اشتقاق "ميسون" للمرأة و"ميسان" للبلدة من أصل واحد.

والأشبه أن يكون من "مسن"، لأن اشتقاقه من "ماس" يوجب أن تكون النون في "ميسون" زائدة والياء أصلية، فيكون وزنه: "فعلونًا"، و"سحنون"[١] و"فعلون" غريب لا يعرف نظيره، إلا قولهم: زيتون، فإن قومًا من النحويين استدلوا على زيادة النون فيه بالزيت المعصور منه، وحكى بعض اللغويين: أرض زيتية، إذا كان فيها زيتون، وهذا يوجب أن يكون وزنه: فَيعُولاً.

و"العباءة"، والعباية: الجبَّة.

و"الشفوف": الثياب الرقاق التي يُرى ما وراءها.

وكان معاوية بن أبي سفيان، تزوج "ميسون" هذه، وساقها من البادية، وجعلها من كرائمه، فأبغضته لكبر سنه وشيخوخته فقالت هذا البيت، وبعده:

لبيت تخفق الأرواح فيــــه أحب إلي من قصر منيف

لكلب ينبح الأضياف وَهْنًا أحب إليَّ من قط أليــف

لأمرد من شباب بني كلاب أحب إليَّ من شيخ عنيف

فطلقها معاوية، وقال: الحقي بأهلك.

وتقدير البيت: أحب إليَّ من لبس الشفوف، دون قرة عيني، فحذفت ذلك لِمَا دل عليه معنى الكلام.

ويروى أن شيخًا تعرض لامرأة فقال له: لست أركب أشهب، وكتب شيخ إلى امرأة متأدبة يخطبها، وكان أفوه، طويل الأسنان، فكتبت إليه، ووقعت على ظهر كتابه: اتق الله في دمي يا مليح التبسم.

وأنشد أبو القاسم في باب: "من مسائل الفاء":

(١) السحنون: أول الريح والمطر.

٩٤- ألم تسأل الربع الخواء فينطق وهل تخبرك اليوم بيداء سِمْلَقُ

هذا البيت لجميل بن معمر العذري.

وجميل ومعمر وعذرة: كلها منقولة.

أما "الجميل": فالحسن من كل شيء، والجميل: الوَدَك، قال أبو خراش:

تقابل جوعهم بمكللات من الفُرْنيّ يَرْعَبُها الجميل

والرعيب: الدسم.

و"المعمر": موضع العمارة، و"معمر": اسم موضع بعينه.

و"عذرة" الجارية: انغلاق قبلها قبل أن تنكح. والعذرة: شعر الناصية، قال امرؤ القيس:

لها عذر كقرون النسـا ء ركبن في يوم ريح وصر

و"الرَّبْعُ": المنـزل حيث كان، والمربع: المنـزل خاصة.

و"القواء": الخالي، و"البيداء": الفلاة التي تبيد من يسلكها.

و"السملق": التي لا شيء فيها.

ومعنى نطق الربع: ما يبين من آثاره، والعرب تسمي كل دليل نُطْقًا وقولاً. وكذا قال الله تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ**﴾ [الجاثية: ٢٩]. ومنه قول زهير:

أمن أمِّ أوفى دمنة لَم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

أي: لَم يَبِنْ لها تكلم وأثر نسيان لقدم عهدها بالنـزول فيها، ونحو قوله: هلّا وقفت على الجنان فقلت: من أجرى أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لَم تجبك حوارًا، أجابتك اعتبارًا. وإلى هذا ذهب أبو العلاء المعري بقوله:

أتحسب أن البـدر ليـس بناطق
فصيح وأن الشمـس لا تَتَكَلَّمُ

فلا قد أتانا كل مـا هو زائـل
ولكننـا في عـالم ليس يعلم

وبعد بيت جميل:

وإما ترد القـول : دار كأنَّها لطول بلاها والتقـادم مهْرَقُ

وقفت بِها حتى تجلت عمايتي ... ومل الوقوف الأرحبّي المنَوَّقُ

وأنشد أبو القاسم في باب من مسائل "إذا":

٩٥- لئن عاد لي عبد العزيز بمثلـــها ... وأمسكني منها إذًا لا أقيلها

هذا البيت لكُثَيِّر عزة الخزاعي.

و"عبد العزيز" -هذا- هو عبد العزيز بن مروان، أبو عمر بن عبد العزيز.

وكان كثير عزة مدحه، فاستحسن شعره، فقال: سل حاجتك.

فقال: تجعلني مكان كاتبك ابن رمانة.

فقال: ويلك، ذاك كاتب، وأنت شاعر، واستحمقه.

وقيل: بل عرّض له بجارية أن يهبها له، ويدع التغزل بعزة، فأبى من ذلك، ثم ندم على ما فعل، ثم قال شعره الذي يقول فيه:

وإن ابن ليلى فـــاه لي بمقالة ... ولو سرت فيها كنت ممن ينيلها

فلما تدبرت الأمور وقد بدت ... نصيحتـــه ودَّعْتهـــا ووبيـــلها

عجبت لتركي خطة الرشد بعدما ... بدا لي من عبـــد العزيز قبولها

وإني صعبات الأمـــور أروضها ... وقد أمكنني يوم ذاك ذلـــولَها

حلفت برب الراقصـــات إلى منى ... تغول البلاد نَصُّها وذميلها

لئن عاد لي عبـــد العزيز بمثلها ... وأمكنني منهـــا إذًا لا أقيلها

فهل أنت إن راجعتك القول مرة ... بأحسن منها عائـــد ومنيلها؟

وأنشد أبو القاسم في باب: "مسائل "أن" الخفيفة الناصبة للفعل":

٩٦- فقلت لهم ظُنُّوا بألفي مدجج ... سراتُهم بالفارس المسَرَّد

هذا البيت لدُرَيْد بن الصُّمَّة.

و"دريد": اسم منقول يمكن أن يكون من الدرد، الذي هو سقوط الأسنان، أو تصغير الأدرد، على جهة الترخيم.

و"الصِّمَّة": اسم منقول أيضًا من الصِّمَّة، التي يراد بها الأسد، والصمة أيضًا: الشجاع.

وهذا البيت من شعر رثى به أخاه عبد الله، وكان غزا غطفان فغنم وانصرف، فلما وصل إلى منقطع اللوى نـــزل، فقال له دريد: إن هذا ليس بموضع نـــزول، فإن أصحاب هذه الغنيمة، لا يتركون إتيانك وطلبك.

فقال له عبد الله: لا أبرح حتى أنتقع، وأرتصع، وأُجِيلَ السهام، فلم يقدر دريد على عصيانه، وأمر ربيئة، فصعد على شرف الأرض، وقال له: انظر وأخبرنا بما ترى.

فمكث ساعة، وقال: أرى خيلاً عليها رجال كأنَّهم الصِّبْيان، رماحهم بين آذان خيولهم.

فقال عبد الله: هذه فزارة، ولا بأس.

ثم قال الربيئة: أرى قومًا كأن ثيابهم غمست في الجاب.

فقال عبد الله: هذه أشجع، وليست بشيء. و"الجأب": المغرة.

ثم قال الربيئة: أرى قومًا سودًا يقلقون الأرض، دوابهم سوادهم، ويجرون الأرض بأقدامهم ورماحهم.

فقال عبد الله: فهذه "عبْس" قد أتاكم الموت الزؤام، فاركبوا، فتلاحق القوم، واقتتلوا قتالاً شديدًا، وعمد ذؤاب بن أسماء، إلى عبد الله فطعنه، فسقط إلى الأرض، واستغاث بأخيه "دريد"، فأقبل دريد، فدافع الخيل عنه ساعة وكشفها، وطعن دريد وصرع، وقتل عبد الله، وانهزم أصحابه، واستعيدت الغنيمة، فقال دريد -ويسمى هذا اليوم يوم اللوى-:

وقلت لعارضٍ وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شُهَّدِي

وقلت لَهُم إن الأحاليف كلها ... قعود على ماء البليل فَتَهْمَد

وقلت لهم: ظنوا بألفي مدجَّج ... سراتهم بالفارسي المسَّرد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم أو أنني غير مهتدي

أمرتهم أمري بمنعرج اللّوى ... فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وهل أنا إلا من غوية إن غوت ... غويت وإن ترشد غوية أرشد

و"المدجّج": الكامل السلاح، يقال بكسر الجيم وفتحها، وفرق بينهما بعض اللغويين، فقال:

المدجِّج بالكسر: الفارس، والمدجَّج بالفتح: الفرس، لأنهم كانوا يدرعون الخيل.

وأراد بـ"الفارسي": درعًا يصنع بفارس، و"المسرد": المنسوج بالحلق، "سراتهم": أشرافهم، واحدهم: سَرِي، وكأنه جمع سارٍ؛ لأنه يقال: سرى الرجل يسري، ويسرو، إذا شرف، واسم الفاعل من سرى يسري: سارٍ، كما يقال: غزا، فهو غازٍ، واسم

الفاعل من سرو يسرو: سرى، كما يقال: ظرف فهو ظريف، قال الشاعر:

تلقى سَرِي من الرجال إذا سرا وابن السرى إذا سرِي أسراهما

وكان القياس أن يقال: سُراتهم -بضم السين- كما يقال: قضاة، وغزاة، ولا يجمع "فاعل" على "فَعَلَة" مفتوحة الفاء، إلا ما كان صحيحًا نحو: كافر وكفرة، وما كان معتل العين، نحو: خائن، وخونة، وحائك، وحَوَكَة، وحائز، وحَوَزَة، ولكنهم أجروا معتل اللام مجرى معتل العين؛ لاتفاقهما في الإعلال.

وقد حُكِيَ: سُراة بضم السين.

وقد يجوز أن تكون سراة جمع سَرِيّ، وجاز أن يكسر: "فعيل" على "فعلة": من حيث كان "فعيل" و"فاعل" يشتركان في المعنى الواحد، فيقال: عليم وعالم، وقدير وقادر، فقد اشتركا في جمعهما، كما اشتركا في مفردهما، وكما قالوا: عالم، وعلماء، وشاعر، وشعراء، وباب "فعلاء" في الجمع إنَّما هو لفعيل، نحو: حكيم وحكماء، وبصير وبصراء.

وقيل: إن "سَراة" اسم الجمع، واستدل قائل هذا بقولهم: سَرَوَاتهم قصار، بمنـــزلة: قطاة وقطوات.

وحجة من ذهب إلى المذهب الأول: أن الجمع قد يجمع.

والباء في قوله: "بألفي مدجج" تتعلق بظنوا، فلا موضع لها لتعلقها بظاهر.

وأما الباء في قوله: "بالفارسي" فإن اعتقدت أن "سراتهم" مبتدأ، و"بالفارسي" خبره، فالباء متعلقة بمحذوفة، ولها موضع كأنه قال: سراتهم متدرعة بالفارسي المسرد أو مستلئمة.

وإن اعتقدت أن "سَراتهم" مرتفعة بمدجج، فالباء متعلقة بمدجج، ولا موضع لها من الإعراب لتعلقها بظاهر.

ومن اعتقد هذا الاعتقاد، رفع "سَراتهم" على المفعول الذي لَم يسم فاعله، إن فتح الجيم، وعلى الفاعل إن كسر الجيم، كأنه قال: بألفى فارسي، وقد دججت سَراتهم أنفسهم بالفارسي، فحذف المفعول كما قال النابغة الجعدي:

حتى لحقناهم تعدى فوارسنا كأننا رَعْنُ قُفٍّ يرفع الآلا

أراد: تعدي فوارسنا الخيل، وقد تقدم مثله.

وأنشد أبو القاسم في باب: "أفعال المقاربة":

٩٧- عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فـــرج قريب

هذا البيت لهدبة بن الخشرم العذري.

و"هدبة، وخشرم"- معًا-: من الأسماء المنقولة.

أما "هدبة": فهو من هُدْب الثوب، أو من هَدَب الأَرْطَى، وهو ورقها، والمشهور في "الأرطى" أن يقال: هَدَبَةٌ وهُدُبٌ، كما يقال: شجرة وشجر، إلا أن ابن جني حكى أنه يقال: هُدْبٌ على مثال هُدْب الثوب.

و"الخشرم": جماعة النحل، ولا واحد لها من لفظها، أنشد ابن جني للشنفرى:

إذا الخشرم المبعوث حثحث دبره محابيض أرداهن سامٍ مُعَسِّلُ

وهذا الشعر قاله هدبة، وهو مسجون بالمدينة.

وكان السبب في ذلك: أنه وقع بينه وبين رجل من بني عمه: زياد بن زيد ملاحاة، فقتله هدبة، فرفعه أخوه عبد الرحمن إلى معاوية، فقرره معاوية، فقال: إن شئت أجبتك بنثر، وإن شئت أجبتك بنظم.

فقال معاوية: بل بنظم، فإنه أمتع، فأنشده شعرًا يقول فيه:

رُمِينـــــا فرامينـــا فصادف سهمنا
منـــايا رجـــال في كتاب وفي قَدْرِ

وأنت أمير المؤمنـــين فمـــا لنـــا
وراءك من معدي ولا عنك من قَصْر

فإن تك في أموالنا لَم نضق بِهـــا
ذراعـــاً وإن صَـبْرٌ فنصبر للصبر

فقال معاوية : أراك اعترفت بقتل صاحبهم.

فقال: هو ما سمعت.

فعرض معاوية على عبد الرحمن الدية، ليقبلها، وعرض عليه أكابر قريش سبع ديات، فأبى أن يقبلها.

وكان لزياد المقتول ابن يقال له: المِسْوَر، لَم يبلغ الحلم، فقال معاوية: ابنه أولى بطلب دمه، فليحبس هدبة، حتى يبلغ ابنه فربما رضي بالدية.

فحبس سبع سنين حتى بلغ المسور الحلم، وعرض عليه الدية، فأبى إلا قتل هدبة.

وزار هدبة أيام اعتقاله رجل من قرابته، يقال له أبو نمير، فأظهر الكآبة بحاله، فقال هدبة:

يؤرقني اكتئاب أبي نمير وقلبي من كآبته كئيبُ
فقلت له هداك الله مهلاً وخير القول ذو اللب المصيب
فيأمن خائف ويُفَكُّ عانٍ ويأتي أهله الرجل الغريب
فإنا قد حللنا دار بلوىً ستخبطنا المنايا أو تصيب
ألا ليت الرياح مسخرات لحاجتنا تباكر أو تأوب

ويروى: أمستَ -بفتح التاء- على المخاطبة لأبي نمير، وأمسيتُ -بضم التاء- على وجه الإخبار عن نفسه.

و"كان" في هذا البيت تامة، لا خبر لها؛ لأنَّها في معنى يقع ويحدث.

وأكثرهم يقول: إنه حذف "أن" من خبر "عسى" على التشبيه لها "بكاد".

والأحسن عندي: أن يقال: إن "عسى" شبهت "بلعل"؛ لأن كل واحد منهما رجاء وطمع، كما أنَّهم ربما أدخلوا في خبر "لعل" "أن" تشبيهًا بعسى، كما قال متمم بن نويرة:

لعلك يومًا أن تُلمَّ مُلِمَّةٌ من اللائي يدعنك أجدعا

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

٩٨- قد كاد من طول البِلَى أن يمصحا

هذا البيت ينسب إلى رؤبة بن العجاج، ولم أجده في شعر رؤبة. و"رؤبة": اسم منقول، وله أحد عشر معنى، قد ذكرتها في كتاب: "الاقتضاب"، وفي كتاب "المثلث".

و"العجاج": اسم منقول؛ لأن العجَّاج مثير الْعَجَاج، وهو الغبار، ويقال: العجَّاج، للكثير العجيج، وقيل: إنه سمي العجَّاج بقوله:

حتى يعج عندها من عجعجا

ومعنى "يمصح": تدرس آثاره، يصف منزلاً بلي حتى كاد لا يتبين له أثر.

وأنشد أبو القاسم في باب: "المفعول المحمول على المعنى":

٩٩-مثل القنافذ هدَّاجون قد بلغت نجران أو بلغت سوءاتهم هَجَرُ

هذا البيت للأخطل، واسمه: غياث بن غوث، هذا قول ابن قتيبة، وقد ذكر

غيره، أن اسمه: غويث بن غوث، وهي أسماء منقولة، ويكنى: أبا مالك، وهو أيضًا منقول؛ لأن "أبا مالك" كنية الجوع، وكنية الهرم، والشيخ، قال الشاعر:

بئس قرينًا يفن هالك أم عبيد وأبو مالك

و"أم عبيد": كنية المفازة، وقال الآخر:

أبا مالك إن الغواني هجرنني أبا مالك إني أظنك دائبا

و"الأخطل" اسم منقول من قولهم: رجل أخطل، إذا كان طويل الأذنين، وإذا كان بذيء اللسان، ويقال: إنَّما لقب بذلك؛ لأن ابني جعيل وأمهما اختصموا وتحاكموا إليه فقال:

لعمرك إنني وابني جعيل وأمهما لأستارٌ لئيم

فقالوا له: إنك لأخطل فغلب ذلك عليه.

وهذا البيت من شعر يهجو به جريرًا، يقول فيه، قبل هذا البيت:

أمـــا كليب بن يربوع فليس لها عنــــد التفاخر إيراد ولا صدر

مخلفــون ويقضي الناس أمرهم وهم لغيب وفي عمياء ما شعروا

شبههم بالقنافذ لمشيهم بالليل للسرقة والفجور، كما يمشي القنافذ، والقنفذ: يضرب به المثل في السُّرَى بالليل، فيقال: هو أسرى من قنفذ، وهو أسرى من أنقد، وهو القنفذ.

و"هداجون": مشاءون، يقال: هدج يهدج، إذا أسرع، والمصدر: الهَدَج والهدجان، قال العجاج -يصف الظليم-:

واستبـــدلت رسومه سَفَنَّجا

أصك نغضا لا يني مستهدجا

أي: منفرًا. و"السوءات": الأفعال القبيحة.

و"نجران، وهجر": بلدان.

وكان الوجه: أن يرفع السوءات؛ لأنَّها تأتي البلاد، والبلاد لا تأتي إليها، فقلب اضطرارًا حين فهم المعنى.

والظاهر من كلام أبي القاسم، أنه إنَّما جعل الاضطرار في "هجر" وحدها؛ لأنه قال: "فقلب لأن "السوءات" تبلغ "هجر، فنصبها ورفع "هجر".

وأنشده أبو العباس المبرد برفع "نجران" و"هجر" وقال: تجعل الفعلين للبلدين على السعة، وهذا هو الصحيح.

وأنشد أبو القاسم في هذا البيت:

١٠٠- غداة أحلت لابن أصرم طعنة ... حُصين عَبِيطات السدائف والخمر

هذا البيت للفرزدق.

و"العبيط": اللحم الطري، و"السدائف": سمين السنام وغيره، مما غلب عليه السمن. وكان حُصَين بن أصرم قد قتل له قريب، فحرم على نفسه شرب الخمر، وأكل اللحم العبيط، حتى يقتل قاتله، فلما طعنه وقتله أحلت له الخمر، وأكل اللحم.

وكان ينبغي أن يرفعها، وينصب "العبيطات" و"الخمر"، إلا أن الشعر مرفوع القوافي، فاضطر إلى قلب الكلام عن وجهه، فقال في ذلك الفرزدق:

ومغبوقة قبل العيال كأنَّها ... جراد إذا أجلى عن الفزع الفجر

عوابس ما تنفك تحت بطونِها ... سرابيل أبطال بنائقها حُمْرُ

تركن ابن ذي الجدَّين يَنْشِج مسندًا ... وليس له إلا ألاءته قبر

وهن بسرحاف تداركن دالقاً ... عمارة عبس بعدما جنح العصر

وهن على خَدَّيْ شتير بن خالد ... أثير عجاج من سنابكها كدر

غداة أحلت لابن أصرم طعنة ... حصين عبيطات السدائف والخمر

أراد بالمغبوقة: خيلاً يؤثرها أصحابها على عيالهم، فيسقونها الْغَبُوقَ، وهو ما يشرب بالعشي، من لبن وغيره.

وأراد بابن ذي الجدَّين: بسطام بن قيس الشيباني، وكان قتله عاصم بن خليفة الضبي، فسقط على "الآلآء" وهي صخرة صغيرة، ولذلك قال ابن غنمة الضبي:

فخر على الألاءَة لَمْ يوسَّدْ ... كأنَّ جبِينَهُ سَيفٌ صقيل

ومعنى "ينشج": يخرج من جرحه الدم يصوب.

و"المسند" الذي يعلله ويرفق بحاله، ويتبين حالة الحياة.

و"دالق": هو عمارة بن الوهاب العبسي، وكان يلقب: دلقاً، لكثرة غاراته، وقتله بسرحاف الضبي.

ويروى أن يونس بن حبيب لقي الكسائي، فقال له: يا أبا الحسن كيف تروي

بيت الفرزدق:

غَدَاةَ أحلّت لابن أصْرَمَ طَعْنَة

حُصين عَبيطات السدائف "والخمر"؟

قال: أرفع "الطعنة" على القياس، وأنصب "العبيطات"، وأقطع "الخمر"، وأحملها على المعنى، كأنه قال: والخمر حلت له.

فقال له يونس: ما أحسن ما قلت، ولكن الفرزدق أنشدنيه مقلوبًا.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠١- وعَضُّ زمان يا ابن مروان لَم يدع من المال إلا مُسْحِتًـــا أو مجلَّف

هذا البيت للفرزدق، يمدح به عبد الملك بن مروان، ويهجو جريرًا. وقبله:

إليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المُنَى والهوجل المتعسَّفُ

والهوجل: الفلاة التي لا أعلام فيها يهتدى بِها، وإلى هذا ذهب أبو الطيب المتنبي في قوله:

وهواجل وصواهل ومنـــاصل وذوابل وتَوَعُّـــدٌ وتَهَـــدُّدُ

و"المتعسف": الذي يسار فيه بلا دليل، و"العض"، و"العط": -بالضاد والطـــاء-: شدة الزمان، و"المسحت": المستأصل الذي لَم يبق منه بقية، و"المجلف": الذي ذهب معظمه، وبقي منه يسير.

وفي هذا البيت ثلاث روايات كلها اضطرار:

أحدها: فتح الياء والدال من "يدع"، ونصب "مسحت".

والثانية: فتح الياء من "يدع"، وكسر الدال، ورفع "مسحت".

والثالثة: ضم الياء، وفتح الدال، ورفع "مُسْحَت".

فأما الرواية الأولى التي ذكرها أبو القاسم- وهو المشهور- ففيها أربعة أقوال:

أحدها: أن يكون "مجلف" مرفوعًا بفعل مضمر، دل عليه "لَم يدع"، كأنه قال: أو بقي مجلف.

والقول الثاني: قول الفراء: أن "مجلف" مبتدأ مرفوع، وخبره محذوف، كأنه قال: أو مجلف كذلك.

والقول الثالث: حكاه هشام عن الكسائي: أنه قال: تعطفه على الضمير في

"مسحت".

والقول الرابع: وجدته في بعض كلام أبي علي الفارسي: أنه معطوف على "العض"، قال: وهو مصدر جاء على صيغة المفعول، كما قال ﷻ: ﴿**وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾ [سبأ: ١٩]. كأنه قال: وعض زمان، أو تجليف.

وأما على رواية من كسر الدال من "يدع"، ورفع "المسحت" فإنه جعله من قولهم: ودع في بيته، فهو وداع إذا بقي، ورفع "المسحت" به، وفي الكلام حذف، كأنه قال: من أجله أو من سببه.

ومن روى بفتح الدال، وضم الياء على صيغة ما لَم يسم فاعله، رفع "المسحت" أيضًا، إلا أنه مفعول لِمَا لَم يسم فاعله، وكان يجب أن يقول: لَم يودع، ولكنه حذف الواو، كما حذفت من يدع.

وقد تكلمنا في هذا البيت بأكثر من هذا في الكتاب الأول، فأغنى عن إعادته ها هنا.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠٢- قد سالم الحيات منه القدما
الأُفْعُوانَ والشجاعَ الشجعما
وذاتَ قرنين ضموزًا ضرزما

هذا الرجز : لمساور العبسي، وبعده:

همهمن في رجليه حين هَوَّمَا
ثم اغتدين وغدا مُسَلَّما

و"مساور": اسم منقول لأنه اسم فاعل من "ساوره": إذا واثبه.

هجا رجلا بغلظ القدمين وصلابتهما، لطول الحفاء، فذكر أنه يطأ على الحيات، والعقارب، فيقتلها، فقد سالمت قدميه لذلك.

وكان القياس: أن يرفع "الأفعوان" وما بعده على البدل من "الحيات" غير أنه حمله على فعل مضمر يدل عليه "سالم"؛ لأن المسالمة إنَّما تكون من اثنين فصاعدًا، وإذا قلت: سالم زيد عمرًا، عُلِمَ أيضًا أن عمرًا سالمه، فكأنه قال: وسالمت القدم الأفعوان.

و"الأفعوان": الذكر من الأفاعي، و"الشجاع": الذكر من الحيات، قال عمرو

ابن شأس الأسدي:

وأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغًا لنابيه الشجاعُ لَصَمَّمَا

و"الشجعم": هو الجريء، وقيل هو الطويل، والأول أشبه بالاشتقاق.

وقوله: "ذات قرنين": أراد بِها العقرب، و"الضموز": التي لا صوت لها.

و"الضرزم" -بكسر الضاد والزاي-: المسنة، وهو أخبث وأكثر لسُمِّها.

وكان الفراء يروي: "قد سالمت الحيات" وينصبها على أنَّها مفعولة، ويجعل "القدم" هي الفاعلة، وقال: أراد "القدمان"، فحذف نون التثنية ضرورة، كما قال امرؤ القيس:

لَها مَتْنَتَـــــان حظاتا كما أكـــب على ساعديه النمر

أراد: حظاتان، ويدل على ذلك قول أبي دؤاد الإيادي:

ومتنتـــــان حظاتـــــان كزحلوفٍ من الهضْبِ

وأبدل "الأفعوان" وما بعده من "الحيات".

ومعنى "همهمن": صوين، والهمهمة: كل صوت خفي لا يفهم.

ومعنى "هَوَّمَ": نام، يقال: هوم الرجل يهوم تهويمًا.

وأنشد أبو القاسم في باب: "الجزم":

١٠٣- متى تأته تعشو إلى ضوء نـــاره تجد خير نار عندها خير موقد

هذا البيت للحطيئة، وقد ذكرنا اسمه فيما تقدم، في شعر يمدح به بغيض بن عمار بن شماس بن لؤي، وقبله:

تزور امرأً يؤتى على الحمد ماله ومن يـــؤت أثمان المحامد يحمـــد

ترى البخل لا يُبْقِي على المرء ماله ويعلم أن المـــرء غير مخلـــد

كَسُوبٌ ومتلاف إذا ما سألتـــه تهلّل واهتز اهتـــزاز المُهَنَّـــدِ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠٤- إن من يدخل الكنيســـة يومًا يلق فيها جـــآذرًا وظبـــاء

هذا البيت للأخطل، وكان نصرانيًّا، فلذلك ذكر الكنيسة.

و"الجآذر": أولاد البقر، واحدها: جؤذر، بضم الذال وفتحها، وأهل البصرة لا يعرفون فتح الذال؛ لأن "فعللا" عندهم غير مستعمل، وحكى الكوفيون ألفاظًا كثيرة

على "فعلل" هي:

جؤذر، برقع، وطُحْلَب، وضُفْدَع، وجُخْدَب.

يقول: من دخل الكنيسة رأى فيها من نساء النصارى، وبينهم أشباه الجآذر والظباء.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠٥- ومهما تكن عند امرئ من خليقة   وإن خالها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

هذا البيت من مشهور شعر زهير بن أبي سلمى.

و"الخليقة": الطبيعة، وخالها: ظنها، وحسبها.

وهذا الشعر نظير قول سالم بن وابصة:

يا أيها المتحلِّي غير سمته   إن التخلق يأتي دونه الخلق

وقوله: "من خليقة" في موضع رفع بكان، و"من" زائدة، وليست متعلقة بشيء.

وقوله: "وإن خالها": أي ولو خالها، و"إن" شرط لَم يأت له بجواب، لأن "مهما" وشرطها وجوابها سد مسدها، ونظيره في تعليق شرط، بشرط آخر، قول امرئ القيس:

وأيقـــن إن لاقيته أن يومه   بذي الرمث إن ماوتنه يوم أَنْفُسِ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠٦- إذا ما أتيت على الرسول فقل له   حقًّا عليـك إذا اطمـأن المجلس

هذا البيت للعباس بن مرداس السلمي.

و"العباس": اسم منقول من الرجل الكثير العبوس، وكذلك "مرداس" منقول؛ لأن المرداس: الحجر، والمردس: الذي يُرْدَسُ به، أي: يُرمى به، ويصدم، ويلقى به في البئر، ليتحفص به الماء، قال العجاج:

يغمد الأعداء رأسًا مِرْدَسَـا

وأراد بالرسول: النَّبِي ﷺ. ويروى: إما أتيت، وبعد هذا البيت:

يا خير من ركب المطي ومن مشى   فوق التراب إذا تُعَدُّ الأنفـس

بك أسلم الطاغوت واتبع الهـدى   وبك انجلى عنا الظلام الحَنْـدَسِ

وقوله: "إذا ما أتيت": خطاب لرجل، ذكره قبل هذا في قوله:

يا أيها الرجل الذي تهوى بـه   وجناء مجمرة المناسم عِرْمَـسُ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠٧- فأصبحت أنَّى تأتها تشتجر بِها كلا مَرْكَبَيْهَا تحت رجليك شَاجِرُ

هذا البيت للبيد بن ربيعة العامري، ويكنى: أبا عقيل.

و"اللبيد": الجوالق، و"الربيعة": بيضة السلاح.

هذا الشعر يخاطب به عمه عامراً، ملاعب الأسِنَّةِ، وكان للبيد جار من بني عبد القيس قد لجأ إليه، واعتصم به، فضربه عمه بالسيف، فغضب لذلك لبيد وجعل يعدد على عمه بلاءه عنده ويتوعده، وينكر عليه ما فعل بجاره، ثم قال:

لي النصر فيكم والولاء عليكم
وما كنت فَقْعًا أنبتته القراقر

وأنت فقير لَم تُبَدِّلْ خليفة
سواي ولم يلحق بنوك الأصاغر

فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن
بأنك إن قَدَّمْتَ رجلك عاثر

وإن هوان الجار للجار مؤلم
وفاقرة تأوي إليها فواقر

فأصبحت أنى تأتِها تشتجر بِها
كلا مركبيها تحت رجليك شاجر

وإن تتقدم تَغْشَ منها مقدماً
غليظًا وإن أخرت فالكفل فاجر

ومعنى: "تشتجر": تشتبك وتلتبس، ويروى: "تلتبس" ومعناه كمعنى تشتجر، و"شاجر": مشتبك.

ويروى "رجلك" و"رحلك". والرحل للناقة مثل السرج للفرس، و"الكفل": كساء يحوي وراء الرحل، أي: يدار فيركب عليه الرديف، يقال: أرحلت البعير وأكفلته، أي: جعلت عليه رحلاً وكفلاً، وهما المركبان اللذان ذكرهما.

ومعنى الشعر: إنه يقول لعمه: إنك ركبت أمرًا، لا خلاص لك منه، فأنت بمنزلة من ركب ناقة صعبة، لا يقدر على النزول عنها سالِمًا؛ لأن رجليه قد اشتبكا

بركابيها، وكلا مركبيها لا يستقر عليــه؛ إن ركب على مركبها المؤخــر -وهــو الكفل- وجده صعبًا، وإن ركب على مركبها المقدم -وهو الرحل- مال به وصرعه.

و"الشاجر": المائل غير المستقيم، والعرب تشبه النشب في العظائم، بالركوب على المراكب الصعبة، فيقولون: ركبت مني أمرًا عظيمًا، ولقد ركبت مركبًا صعبًا، وفلان ركاب العظائم، ونحوه قول الأعشى:

لئن جَدَّ أسباب التقاطع بيننا لترتحلن مني على ظهر شيهم

وقال الأخطل:

لقد جعلت قيس بن عيلان حربنا

على يابس السيساء مُحْدَوْدِبِ الظهرِ

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٠٨- إذا قصرت أسيافنا كنا وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

هذا البيت لقيس بن الخطيم، وقد ذكرنا اسمه، واسم أبيه فيما تقدم، وهو من شعر يذكر فيه يوم "بُعَاث".

وبعد هذا البيت:

ويوم بعــــاث أسلمته سيوفنا إلى نسب في جِذْمِ غسان غالب

يُعَرَّين بِيضًا حين نلقى عــدونا ويُغْمِدْنَ حمرًا ناحلات المضارب

ويروى: "إلى أعدائنا بالتقارب"، ولا شاهد فيه على هذه الرواية.

ويروى: "وإن قصرت... فنضاربُ" بالرفع على الإقواء.

و"خُطى": جمع خطوة، وهو ما بين القدمين، والخطوة بفتح الخاء-: المصدر، هذا قول الفراء، وقال غيره: هما بمعنى واحد، وهذا نظير قول أبي قيس بن الأسلت:

والسيف إن قصره صانــع طوله نوم اللقا بــــاعي

والشاهد في هذا البيت: أنه عطف "فنضارب" على مكان "كان" لأنَّها مجزومة الموضع، كــأنه قــال: نكن فنضارب، كما قال ﷻ: ﴿**فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [المنافقون: ١٠]. فعطف "أكن" على موضع "فأصدق" لأن الفاء لو سقطت لكان مجزومًا.

وأنشد أبو القاسم في باب: "ما ينصرف وما لا ينصرف":

١٠٩- لَم تتلفع بفضل مئزرهـــا دعد، ولم تسق دعد بالعُلَبِ

هذا البيت لجرير بن الخطفي، ويرويه ابن الرُّقَيَّات، ولقب الرقيات بقوله:

رقية، لا رقية، أيها الرجل

و"التلفع": الاشتمال بالثوب.

و"العُلَب": أقداح من جلود يحلب فيها، ويشرب فيها، ويروى: "في العلب"، وصلح استعمال "في" هاهنا؛ لأن المعنى لَم تسق اللبن في العلب.

فمن رواه هكذا، فلـــ"في" موضع من الإعراب؛ لأنَّها في موضع الحال، كأنه قال: لَم تسق اللبن، كائنًا في العلب.

ومن روى: "بالعلب" -بالباء- فلا موضع لها ؛لتعلقها بظاهر والباء في قوله: "بفضل" متعلقة بقوله: "تتلفع"، فلا موضع لها أيضًا، ومعنى البيت: أنه يمدح "دعدًا" فقال: لَم تكن من البدويات اللواتي يتلفعن بالمآزر، ويشربن اللبن بالعلب، ولكنها كانت من الحضريات اللواتي نشأن في النعمة، ولبسن أحسن كسوة، وشربن في الأواني الغالية، وعشن في الرفاهية.

ويروى: "ولم تَسْقِ".

ويجوز في "دعد" -الأولى- الصرف وترك الصرف، ولا يجوز الصرف في الثانية لانكسار البيت.

وكرر ذكر "دَعْد" إشادة بذكرها، واستطابة له، كما قال الآخر:

عِذَابٌ على الأفواه ما لَم يذقهم عَدُوٌّ، وبالأفواه أسماؤهم تحلو

وقد أوضح هذا المعنى أبو الطيب المتنبي في قوله يمدح عضد الدولة:

أبا شُجَاعٍ بفارس عضد الد ولة فنَّاخُسْرَ وشهننشـــاها

أساميًا لَم تزده معرفـــــةً وإنَّما لذة ذكرنـــــاهـــــا

وشعر ابن الرقيات هذا، ضد قول الآخر:

لعمـــــري لأعرابيـــــة ذات بردة

تحل دماثًا من سويقـــة أو فـــــردا

أحب إلى القلب الذي لج في الهوى

من اللابسات الخز يظهرن به كندا

وأنشد أبو القاسم في باب: "أسماء القبائل والأحياء والبلدان والسور" -رحمه الله تعالى-:

١١٠- فإن تبخل سدوس بدرهميها   فإن الريح طيبة قَبُـــولُ

هذا البيت للأخطل، وقد ذكرنا اسمه فيما تقدم.

و"سدوس": قبيلة من بني شيبان بفتح السين، والتي من طيِّئ بضم السين، هكذا قول الكلبي، وقد ذكرنا في الكتاب الأول ما بين سيبويه- رحمه الله تعالى- وبين محمد بن يزيد من الخلاف في هذه اللفظة، فأغنانا ذلك عن الإعادة ها هنا.

و"القبول" من الرياح: ما يهب من الشرق.

ويروى: "شمول" وهي الشمال، يقال: شمال على مثال :قَذَال.

وشمأل -الميم قبل الهمزة- وشأمل -الميم بعد الهمزة- قال امرؤ القيس:

فتوضح فالمقراة لَم يعف رسمها   لَمَـــّا نسجتها من جنوب وشمأل

ويروى: وشأمل.

وقال البعيث المجاشعي:

أهاج عليك الشوق أطلال دمنة   بناصفة الخوين أو جانب الهجَل

أتى أبدٌ من دون حِدْثَانِ عهدها   وجـــرت عليها كل نافجة شمل

وقال الآخر:

ثوى مالك ببـــــلاد العـــدو   وتسفي عليه ريـــاح الشمل

وأما تخصيصه الدرهمين بالذكر، فتوهم بعض من شرح أبيات الجمل أنه مما وقعت به فيه التثنية موقع الجمع، وليس كما قال!

وإنَّما ذكر الدرهمين لمعنى يقتضي ذلك، وذلك أن الأخطل قدم على الغضبان بن القبعثري الشيباني بالكوفة، بعد ذهاب ما كان من بكر وتغلب من الفتنة، يسأله في حمالة.

فقال له الغضبان: إن شئت أعطيتك ألفين، وإن شئت درهمين؟

فقال الأخطل: ما بال الألفين، وما بال الدرهمين؟

فقال: إن أعطيتك الألفين، لَم يعطكهما إلا قليل، وإن أعطيتك درهمين، لَم يبق بالكوفة بكسرى إلا أعطاك درهمين، وكتبت لك إلى إخواننا بمثل ذلك.

فقال الأخطل: فالدرهمان خير، ففرض له على كل من كان بالكوفة من بكر

ابن وائل درهمين، ثم كتب إلى سويد بن منجوف السدوسي بالبصرة، وكان سيد بني سدوس يقول له: إن أبا مـالك قدم عليَّ في حمالة، ففرضت له على كل من كان بالكوفة من بكر درهمين، فافرض له على من كان من بني سدوس مثلها.

فأتى الأخطل إلى البصرة، فنـزل على الصلت بن حريث الحنفي، فأتى سويدًا، فأخبره بحاجته التي أقدمته، فجمع سويد بن منجوف بني سدوس، وقال: هذا أبو مالك يسألكم أن تعينوه في حمالة، وهو القائل:

إذا ما قلت قد صالحتُ بكرًا ... أبى الأضغان لا النسب البعيد
ومهراق الـدماء بـواردات ... تَبَيدُ الحادثات ولا تبيـد
هما أخـوان يصطليان نارًا ... رجاء الموت بينهما جديـد
يَشُولُ ابـن اللبون إذا رآني ... ويخشاني الضواضية الصعيـد
فلا جرحت يديَّ بني سليم ... ولا شعري فيهجوني الشريـد
ولولا أن أُخَشِّنَ صـدر معن ... وعتبة شاع بالحرم النشـيـد

فقالت بنو سدوس: والله لا أعطيناه درهمًا، وقد قال ما قال.

فقال الأخطل:

فـإن تبخل سدوس بدرهميها ... فإن الريح طيبـة قبـول
تواكلني بنو العَلاَّتِ منهـم ... وغالت مالكًا ويزيد غُـولُ
قريعًا وائل هلكا جميـعـاً ... كأن الأرض بعدهما مُحُـولُ
فماذا ابتغى من بَعْدُ منهـم ... وكلهم أخـو دَغَلٍ بخيـل

وقال يهجو سويد بن منجوف، وكان رجلاً دميمًا لا ينظر إليه:

وما جِذْعُ سوءٍ خَرَّبَ السوس جوفه ... لِمَا حملتـه وائـل بمطيـق

فقال سويد: أراد أبو مالك أن يهجوني فمدحني، حين جعل وائلاً تحملني أمورها، وما طمعت في بني تغلب، فضلاً عن بكر بن وائل.

وأما قوله: "فإن الريح طيبة قبول"، فإنَّما هو مثل ضربه لاستغنائه عنهم بغيرهم، يقول العرب: ريح فلان تهب، وريح فلان عاصفة إذا كان أمره ظاهرًا، وسعده متصلاً، وتقول في ضده: فلان ساكن الريح إذا ذهب سعده ولم يكن له

ظهور، قال الله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال الشاعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى كل عاصفة سكون

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١١١- بكى الخز من روح وأنكر جِلْدَهْ وعَجَّتْ عجيجًا من جذام المطارفُ

هذا البيت: لهند بنت النعمان بن بشير الأنصاري، تهجو زوجها، روح بن زنباع الجدامي، وبعد هذا البيت:

وقال العَبَا: قد كنت حينًا لباسكم
وأكسيـــــة مضروجـــــة وقطائف

و"العجيج": رفع الصوت بالاستغاثة.

و"المطارف": أكسية خز لها أعلام، واحدها: مطرف بكسر الميم وفتحها وضمها عن المطرز.

و"العبا": ضرب من الأكسية، معروف.

و"المضروجة": المشقوقة، والواحدة منها عباءة وعباية بغير همز.

و"القطائف": أكسية من الصوف أيضًا.

تقول: إن روحًا وقبيلته لَم يكونوا أهلاً للباس الخز والمطارف، وإنَّما كانوا بدويين يلبسون الأكسية المخرقة، وينامون تحت القطائف، فشرفهم روح من غير قديم كان لهم، فكان "روح" وزير عبد الملك بن مروان. ونظير هذا قول مدرك الفقعسي:

تُشَبِّهُ عبسٌ هاشمًا إن تسربلت سرابيل خَزٍّ أنكرتها جلودها

ويروى: وأكسية كردية، وهي التي يلبسها الكرد، فأجابها روح بن زنباع بقوله:

أبت هند إلا أن تكون مهانة وكـــان لها منا عشير مُؤَالِفُ
فإن نجزها بالهون فهي جديرة وإن نَهْوَهَا يهْوَ اللئام المقارِفُ

ويروى: فإن نجزها بالهون فالهون حقها.

واختلف في "هند" هل هو اسم منقول، أم اسم مرتجل؟

فذهب بعضهم إلى أنه مرتجل، مشتق من قولهم: هندته المرأة إذا أورثته عشقًا بالملاطفة، ذكر ذلك أبو جعفر النحاس.

والظاهر من هذا الاسم أنه منقول؛ لأن مثله منقول في غير الناس، وشرط

الاسم المرتجل: ألا يوجد في غير الأعلام.

وقد حكى اللغويون: أنه يقال للمائة: هند، والهند: جيل من الناس، ومنه قيل: بلاد الهند.

وهند -أيضًا-: اسم من أسماء الدواهي، وأنشد ابن الأعرابي:

فإنكم لستم بأرض تَكِنَّـــــةٍ ولكنما أنتم بِهند الأحامس

وأما "بشير": فاسم من أسماء الدم، ومنه قيل: شقاشق النعمان في بعض الأقوال.

وقال قوم: بل نسب إلى النعمان بن المنذر، وكان رأى منها روضة، فأعجبته، فحماها من الناس.

"وروح" أيضًا اسم منقول من الرَّوْح الذي يراد به الراحة، قال الله تعالى: ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ [الواقعة: ٨٩].

"والزنباع": الثقيل من الناس.

ويروى أن رجلاً كان يجالس أبا عبيدة معمر بن المثنى، وكان أبو عبيدة يستثقله، فقال الرجل لأبي عبيدة يومًا: ما الزنبعة في كلام العرب؟

فقال: الثقل، ولأجل هذا سمي صاحبنا زنباعًا، فهرب الرجل.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١١٢- منهن أيام صدق عُرِفْتَ بِها أيام واسط والأيام مِنْ هجرا

وهذا البيت فيه خطأ من وجهين:

أحدهما: أنه نسبه إلى الأخطل، وإنَّما هو للفرزدق، وكذا وقع في كتاب سيبويه منسوبًا إلى الفرزدق.

والثاني: أنه أنشده: "عرفت" -بضم التاء- وإنَّما هو بفتحها، لأنه رثى بِهذا الشعر عبد الله بن معمر، وقبله:

أما قريش وأعلاها فقـــــد رزئت بالشام إذ فارقتك السمع والبصرا

كم من جبان إلى الهيجا دنوت به يوم اللقاء ولولا أنت ما صبــــرا

والمراد بالصدق هاهنا: الشدة، يقال: رجل صدق، وحمار صدق، ونظر صدق، ومنه اشتق الصدق في المنطق؛ لأن صاحبه قوي النفس.

وأنشد أبو القاسم في باب: "المعدول على فَعَالِ":

١١٣- ولنعم حشو الدرع أنـــت إذا دُعِيَتْ نَـــزَالِ ولُجَّ في الذُّعْـــرِ

هذا البيت من مشهور شعر زهير بن أبي سلمى.

وجعل لابس الدرع حشوًا لها، لاشتمالها عليه، كما يشتمل الإناء على ما فيه.

ومعنى "لج": تمودي فيه، و"الذعر": الفزع.

و"أنت": خبر مبتدأ مضمر، كأنه قال: هو أنت. ويُقبح أن يكون مبتدأ، و"نعم حشو الدرع" خبره؛ لدخول اللام على "نعم"، وهذا اللام إنَّما حكمها أن تدخل على المبتدأ، لا على خبره، ولكن كون الخبر جملة يسهل ذلك؛ لأنه لو قيل: زيد لهو قائم، لجاز، كما تقول: زيد والله إنه لقائم، وإنَّما يتعذر ذلك إذا كان الخبر مفردًا كقولك: زيد لقائم، قال الراجز:

أم الحليس لعَجُوزٌ شَهْـــرَبَةْ ترضى من الشاة بعَظْمِ الرقبة

وقد أجاز أبو إسحاق الزجاج، في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣]، أن يكون "هذان" مبتدأ، و"لساحران" خبره، وقال تقديره: لهما ساحران، فأضمر مبتدأ، وجعل "ساحران" خبرًا؛ ليصير الكلام جملة يصح دخول اللام عليها.

و"إذا" ظرف، والعامل فيه معنى الثناء، الذي قد جعل في "نعم"، أو ما في "حشو الدرع" من معنى الفعل.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١١٤- إنا اقتسمنا خُطَّتَيْنا بينـــــنا فَحَمَلْتُ بَرَّة واحتملت فَجَـــارِ

هذا البيت من مشهور شعر النابغة، يخاطب به زرعة بن عمرو الفزاري، وأراد بـــ "فِجَارِ": الغدر، سمي الغدر: فجار، كما تسمى المرأة: جذام.

فإن قلت: فلم جعلته اسمًا للغدر، وما دليلك على هذي الدعوى؟ قلنا: لنا على ذلك دليلان:

أحدهما: أن "فَعالِ" المعدول، لا يُعْدَل إلا عن مؤنث، ألا تراه قال: "دعيت نَزَالِ"، فألحق الفعل علامة التأنيث، وليس هذا في بيت زهير وحده، بل هو مطرد في "فعال" حيثما وقعت، ألا ترى إلى قول زيد الخيل:

وقد علمت سَلامَةُ أن سبقي كريهٌ كلما دُعِيتْ نَزَالِ

وقال آخر:

لحقتْ حَلاقِ بهم على أكسائهم ضرب الرقاب ولا يُهِمُّ المغنمُ

والدليل الثاني: أن النابغة سمي الوفاء: "برة" وهو يريد البر، وكذلك سمى الغدر: "فجرة" وهو يريد الفجور.

وأراد "بالخطتين": البر والفجور.

وقوله في البر: "حملت"، وقال في الفجور: "احتملت"، فإن العرب إذا استعملت "فعل" و"افتعل" بزيادة التاء وبغير زيادة كان الذي لا زيادة فيه، يصلح للقليل والكثير، والذي الزيادة فيه للكثير خاصة، نحو: قدر واقتدر، كسب واكتسب، ونهب وانتهب، وأراد النابغة أن يهجو زرعة بكثرة غدره، وإتيان الفجور، فأتى باللفظة التي يراد بِها الكثير خاصة، لتكون أبلغ في الهجو، ولو قال: وحملت فجار، لأمكن أن لا يكون غدر إلا مرة واحدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فالوجه فيه: أنه لِمَا كان الإنسان يجازى على قليل الخير وكثيره، استعمل فيه اللفظ الذي يصلح للقليل والكثير.

ولما كان الإنسان لا يجازى في الشر إلا على الكبائر، دون الصغائر، والصغائر معفو عنها، غير مجازى بِها، استعمل معها اللفظ الذي لا يكون إلا للكثير، وإنَّما يكون هذا في الأفعال التي تستعمل بالتاء تارة، وبغير التاء تارة. وأما الأفعال التي لا تستعمل إلا بالتاء فخارجة عن هذا الحكم، لأنَّها لا تصلح لِمَا قل وكثر، كقولك: استويت على الشيء، واجتويت البلد، إذا كرهته، واكتريت الدابة فهذا الضرب من الأفعال لا يقال فيه: إنه للكثير خاصة، لأنه لَم يستعمل غير مزيد، وكذلك قول من قال: "احتملت فجار"، "وعليها ما اكتسبت": "إن افتعل إنَّما يستعمل في الشر" خطأ لا وجه له، ألا ترى أنك تقول: استويت على ظهر الفرس، واكتريت الدار، وارتويت من الماء، واغتذيت بالطعام؟ وقال الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥]. وقال الراجز:

قد استوى بِشْرٌ على العراق من غير سيف ودم مهـراقٍ

فإن زعم هذا أن الذي ذكر إنَّما هو فيما يستعمل بزيادة، وبغير زيادة مما يتعـدى انتقض عليه ما قال، بقولهم: كسب المال واكتسبه، وقدرت عليه واقتدرت عليه، ورميت وارتميت مع أنا لا نعلم أحدًا من النحويين قال: إن "فعل" للخير،

و"افتعل" للشر، وإنَّما قالوا: إنَّ الزيادة تدل على المبالغة لا غير.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١١٥- فقلت امكثي حتى يَسَارٍ لعلنـــا نحج معًا قالت أعامًا وقابـــله؟

لا أعلم قائل هذا الشعر، غير أنه وصف أن رفيقة حُبِّه، أو امرأة من محارمه، سألته أن يحج بِها، فقال لها: لست الآن في ميسرة من المال، فامكثي حتى يســـار، أي: حتى يكون لنا من المال ما نحج به.

فقالت: أأمكث عامًا وقابله؟ وكأنها رأت أن الميسرة لا تتهيأ له إلا بعد عامها الذي هي فيه، والعام الذي بعده.

و"معًا" ينتصب على الحال، وإن شئت كان ظرفًا.

والهمزة في قوله: "أعامًا" همزة الإنكار.

وأنشد أبو القاسم في باب "الاستثناء":

١١٦- ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقوام مِن أَحَــدِ

هذا البيت من مشهور شعر النابغة الذبياني.

وقوله: "يشبهه" جملة في موضع نصب على الصفة لفاعل.

وقوله: "الناس" في موضع نصب على المفعول الثاني لأرى، فلحرف الجر موضع لتعلقه بمحذوف.

و"من" الأولى متعلقة بـــ"أحاشي"، و"من" الثانية زائدة للتأكيد، فلا موضع لها، ولا تتعلق بشيء.

وفي هذا البيت شاهد على أن "أحاشي" تكون فعلاً؛ لأن النابغة صرفها، واشتق منها فعلاً مضارعًا، والحروف لا تَصَرُّفَ لها، ولا اشتقاق فيها، وقد قالوا: حاشيته من الأمر محاشاة، واشتقاقه من الحاشية، كأن المراد أنك أخرجته منهم وعذلته.

وقوله: "من أحد" في موضع نصب مفعول، وفاعله مضمر.

وأنشد أبو القاسم في باب "الاستثناء" المقدم:

١١٧- وما لي إلا آل أحمد شيعـــــة وما لي إلا مَشْعَبُ الحق مشعب

وهذا البيت للكميت بن يزيد الأسدي، ويكنى: أبا المسهل، وكان أصم

أصلخ[١]، لا يسمع الرعد، وكان من الشيعة، وهذا البيت من شعر يمدح به بني هاشم.

و"شيعة الإنسان": من يشايعه على أمره، ويغضب له.

و"مشعب الحق": طريقته.

ويروى أن الكميت قال هذا الشعر أول انبعاثه، وقبل شهرته، فأتى الفرزدق، فقال: يا أبا فراس، إني نفث على لساني شعر، فأردت عرضه عليك، فإن كان حسنًا أمرتني بإذاعته في الناس، وإن كان قبيحًا كنت أول من ستر عليّ.

فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدني. فقال:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطرب
ولا لعبًا مني، أذو الشيب يلعب؟

فقال الفرزدق: وما يطربك يابن أخي إذن؟. فقال:

ولم يلهني دار ولا رسم منزل
ولم يلهني ثغر وكف مخضب

فقال الفرزدق: وما ألهاك؟. فقال:

ولا أنا ممن يزجر الطير همة ... أصاح غراب أم تعرض ثعلب؟
ولا السانحات البارحات عشية ... أَمَرَّ سِلَيمُ القرن أم مَرَّ أعضب؟

فقال الفرزدق: أجل، فلا تنظر!. فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء، والخيرُ يُطْلَبُ

فقال الفرزدق: ومن هؤلاء؟. فقال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم ... إلى الله فيما نابنا نتقرب

فقال الفرزدق: أرحني، من هؤلاء؟. فقال:

بني هاشم رهط النَّبي فإنني ... بهم ولهم أرضى مرارًا وأغضب
خَفَضْتُ لهم مني جناح مودتي ... إلى كَنَفٍ عَطْفَاهُ أهلٌ ومرحب
بأي كتاب أم بأية سنة ... ترى حبهم عارًا علي وتحسب

(١) في القاموس: الأصلخ: الأصم جداً، لا يسمع البتة.

وما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب
ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعة ومن غير ممن أجلّ وأرهب
يعيرني جهال قوم بحبهم وبعضهم أدنى لِعَارٍ وأعطب
يشيرون بالأيدي إليَّ وقولهم ألا خاب هذا والمشيرون أخيب
فطائفة قد كَفَّروني بحبهم وطائفة قالوا مسيء ومذنب
فما ساءني تكفير هاتيك منهم ولا عيب هاتيك التي هي أعيب
فلا زلت منهم حيث يتهمونني ولا زلت في أشياعهم أتقلب
ألم ترني في حب آل محمد أروح وأغدو خائفاً أترقب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا وفيهم حِبَاءُ المكرمات المطنب

فقال الفرزدق: يابن أخي، أذع هذا، فأنت والله أشعر من مضى، وأشعر من بقي.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب أيضًا:

١١٨- وما لي إلا اللهُ لا رب غيره وما لي إلا اللهَ غيرك ناصر

وهذا البيت للكميت أيضًا.

والنصف الأول من هذا البيت لا شاهد فيه، على نصب المستثنى المقدم؛ لأن اسم الله مرفوع بالابتداء، لا يجوز فيه النصب، لأن ليس قبله شيء يستثنى منه ولا يبدل، فهو بمنزلة قولك: ما في الدار إلا زيد، وإنَّما الشاهد في الثاني، لأن التقدير: وما لي ناصر إلا الله غيرك، فلما قدم المستثنى نصبهما.

ويجوز في "غيرك" أن يكون مستثنى كاسم الله تعالى، فيكون بمنزلة قولك: ما جاءني إلا زيدًا إلا عمرًا أحد.

ويجوز أن يكون حالاً من نكرة تقدمت، كأنه قال أو أراد: وما لي إلا الله ناصر غيرك،على الصفة، ثم قدم صفة النكرة عليها، فصارت حالاً كما تقول: فيها قائمًا رجل، ومثله قول الشاعر الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش، وإذ ما مثلهم بشر

ويجوز في هذا البيت وجه ليس بمعتاد عند النحويين، بل أكثرهم ينكره، وذلك أن القائل، إذا قال: ما جاءني أحد إلا زيد، فقد يجوز أن تكون "إلا زيد" صفة لأحد، بمنزلة "غير"، وكأنه قال: ما جاءني من أحد غير زيد، وإذا قدمت على هذا

"إلا"، فقلت: إلا زيدًا أحد، كان قولك: "إلا زيدًا" حالاً بمنــزلة صفة النكرة، إذا تقدمت عليها، فيكون قول الكميت: "إلا الله" على هذا التقدير حالاً، فيجوز في قوله: "وما لي إلا الله غيرك ناصر" على هذا أربعة أوجه:

أحدها: أن يكونا مستثنيين مقدمين.

والثاني: أن يكونا حالين، على أن تعتقد أنَّهما لو تأخرا بعد "ناصر" لكانا صفتين.

والثالث: أن تجعل "إلا الله" حالاً، و"غيرك" مستثنى مقدمًا.

والرابع: أن تجعل "إلا الله" مستثنى، و"غيرك" حالاً.

فإن قيل: كيف يصح في قولنا: ما جاءني أحد إلا زيد: أن يكون "إلا زيد" صفة، والحرف لا يوصف، ولا يوصف به؟

قلنا له: شرط الصفة أن تكون اسمًا؛ لأنَّها من خواص الأسماء وأن يكون في ذلك الاسم عموم ومعنى فعل، وكل واحد من هاتين الكلمتين على انفراده عار من هذا الشرط، فإذا اجتمعا أدى ذلك معنى الاسمية، وأدت "إلا" معنى المغايرة، فقامت الصفة بمجموعهما مقام الحال، وإن كان ذلك لا يجوز في حال انفصالهما، وإذا اجتمعا يجوز لهما حكم لا يجوز في كل واحد منهما على انفراده، ألا ترى أنك تقول: دخلت إلى رجل في الدار، فيكون الاسم مع الحرف في موضع الصفة لرجل، وكل واحد منهما على الانفراد لا يجوز أن يكون صفة.

وأنشد أبو القاسم في باب: "الاستثناء المنقطع":

١١٩- وقفت فيهـــا أُصَيْـــلانًا أسائلهـــا عَيَّتْ جـــوابًا وما بالربع من أحد

إلا أواريَّ لأيـــــاً مـــا أُبينهُـــــا والنُّؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

هذان البيتان من مشهور شعر النابغة الذبياني.

"أصيلانًا": تصغير "أصيل" على غير قياس، كأنه تصغير أصلان، وهذا عكس قياس التصغير؛ لأن الجمع إذا صغر يصغر على لفظ واحدة، وجاء هذا مصغرًا على لفظ جمعه.

ويروى: "وقفت فيها أصيلالاً" باللام.

ويروى: وقفت فيها "أصيلاً كي تكلمني".

و"جوابًا": انتصب على وجهين:

أحدهما: أن يريد: عيت بجواب، فحذف حرف الجر، ونصب، كما قال:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

ومنهم من رأى أن نصبه إنَّما هو لسقوط الخافض فقط، دون أن يعمل فيه عامل آخر، غير الحرف الساقط، وهو مذهب الكوفيين.

وهو عند البصريين خطأ؛ لأنه لو كان سقوط الخافض موجبًا للنصب، لوجب لكل ما سقط منه حرف الجر أن ينتصب، ونحن نجد حروف الجر تسقط، ويرتفع ما كان مجرورًا بِها، كقولك: ما جاءني من أحد، و﴿**كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٧٩، ١٦٦]. ألا ترى أن هذين الجارين إذا سقطا ارتفع ما كان مجرورًا بهما؟.

وكذلك من زعم أن العامل الساقط هو الذي نصب دون عامل آخر، فقوله خطأ؛ لأنه يلزم من ذلك أن يكون الفعل في حال وجوده يتعدى بواسطة، وفي حال عدمه يتعدى بغير واسطة، والشيء في حال وجوده أقوى منه في حال عدمه، فإذا كان في أقوى حاليه لا يتعدى إلا بواسطة، فكيف يتعدى في أضعف حاليه بغير واسطة؟

ويدل على استحالة هذا: ارتفاع بعض المجرورات إذا سقط الجار كقولك: ما جاءني من أحد، ثم تقول: ما جاءني أحد، فيجب أن تكون "من" تخفض في حال ظهورها، ويرفع "أحد" في حال سقوطها؛ لأنه لا بد من عامل رافع سوى العامل الساقط.

ويجوز أن ينتصب "جوابًا" على التمييز المنقول من الفاعل المنقول، فيكون من باب: تفقأ زيد شحمًا، و﴿**اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ [مريم: ٤]، كأنه أراد عي جوابها، ثم نقل الفعل عن الجواب إلى "الدار"، ونصب.

ويدل على صحة هذا الوجه أنَّهم صرحوا بذلك في نحو قول الهذلي:

وقفتُ برسمها فَعَيَّ جوابَهـــا فقلت وعيني دمعها سَرِبٌ هَمِر

وقوله: "أسائلها" في موضع نصب على الحال، ولك أن تجعلها حالاً من التـــاء في "وقفت"، فتكون حالاً جارية على من هي له. ولك أن تجعلها حالاً من الضمير الذي في "فيها" وتكون حالاً جارية على غير من هي له.

وإنَّما جاز ذلك؛ لأن في "أسائلها" ضميرًا راجعًا إلى السائل، وضميرًا راجعًا إلى المسئول، فاستتر الضمير مع جريان الحال على غير من هي له؛ لأن الفعل يستتر فيه ضمير الأجنبي وغير الأجنبي، لقوته في الإضمار.

ولو صيرت الجملة حالاً محضة، لقلت -إذا كان الحال من التاء-: وقعت فيها

أصيلاً مُسَائِلَهَا، وإذا كانت حالاً من الضمير قلت: مُسَائلَهَا إياها فأظهرت الضمير.

ولا يجوز أن تكون الجملة في موضع الحال من الضميرين جميعًا على حد قولك: لقيته راكبين، لاختلاف العاملين، ولما في ذلك من التناقض.

وقوله: "عَيَّتْ جوابًا" جملة لا موضع لها من الإعراب.

وقوله: "وما بالربع من أحد" إن شئت جعلتها جملة لا موضع لها، وإن شئت كانت في موضع الحال من الضمير في "عيت"، أو من الضمير في "أسائلها". ويلزمك على هذا أن تقدر في الجملة ضميرًا يعود على صاحب الحال، كأنك قلت: وما بالربع منها.

وعلى رأي الكوفيين تكون الألف واللام معاقبتين للضمير، كأنه قال:

وما بربعها، على حد قولهم: عبد الله، أما المال فكثير، وأما الخلق فحسن، ولو جعل جاعل "عيت جوابًا" في موضع الحال من الهاء التي هي ضمير الدار، وأضمر "قد" لتقريب الماضي من الحال، لَم يكن بعيدًا.

وقوله: "إلا أواري" فيها وجهان:

النصب على الاستثناء، والرفع على البدل، من موضع "من أحد"، لأن "من" زائدة، و"أحد" مرفوع في المعنى، وإن كان مخفوضًا في اللفظ، وليس ببدل من موضع الجار وحده، ولا من موضع المجرور وحده، ولكنها بدل من موضعها معًا.

ويروى عن الكسائي: أنه أجاز خفض "الأواري" على البدل من لفظ "أحد".

وهذا عند البصريين خطأ؛ لأنه يصير التقدير: وما بالربع إلا من أواري، فتكون "من" زائدة في الواجب، و"من" لا تزاد إلا في النفي، ولو أنَّها "من" التي تدخل على الموجب والمنفي لجاز ذلك، كقولك: ما أخذت من أحد إلا زيد درهمًا.

و"اللأي": البُرْحَاء، وهو مصدر لَم يستعمل منه فِعْل أَلَى بالزيادة، يقال: ألى، ولا يقال: لأى.

وقوله: "ما أبينها" ما زائدة، أراد : لأيًا أبينها.

ويجوز في"النؤى" الرفع والنصب، فمن نصب "الأورايَّ" فإنه يجوز له نصب "النؤي"، بالعطف عليها، ويجوز رفعه بالابتداء، أو تقطعه مما قبله.

وأما من رفع " الأورايَّ " فإنه يجوز له رفع "النؤى"، عطفًا عليها، وإن شاء

رفعه بالابتداء.

والنؤى: مانع يمنع الماء من الدخول على الخباء، وربما كان حفيرًا حول الخباء، وربما كان تَلاًّ يرفع.

وفي "النؤى" ثلاث لغات: "نُوى"، وهو أشهرها وأفصحها، و"نَأْي"، ونِئْي و"نُؤىً" على مثال" هدىً.

وتجمع على: أناء و"آناء" ونِئي، ونُؤِيّ.

وفي "المظلومة" أقوال:

قيل :هي الأرض حفر فيها ،ولم يكن فيها حفر قبل ذلك.

وقيل: هي التي أتاها سيل من أرض أخرى.

وقيل: هي التي مُطِرَتْ في غير وقتها، ويدل على ذلك قول الحويدرة:

ظَلَمَ البطاحَ بِها انْهلالُ حريصة فصفى النِّطافُ بِها بُعَيْدَ المقْلَعِ

وشعر النابغة يقتضي أنَّها التي حُفِرَ فيها، ولم يكن فيها حَفْر.

و"الجلد": الصلبة، وخصها بذلك؛ لأنَّها إذا كانت كذلك تعذر الحفر فيها للحفير، فلم يعمق الحفير، فهذا أوثق لتشبيه "النؤى" به، أما الكاف التي في قوله: "كالحوض"، فتحتمل وجهين:

أن تجعل "النؤى": مرفوعًا بالابتداء، فموضع الكاف رفع؛ لأنَّها وقعت موقع خبر المبتدأ.

وإن جعلت "النؤى" مرفوعًا بالعطف على "الأواري": فموضع الكاف نصب؛ لأنها في موضع الحال من "النؤى".

ومن نصب "النؤى" بالعطف على "الأواري" فموضع الكاف نصب على الحال، والعامل في هذه الحال، -إذا نصب "النوى"- معنى الاستثناء.

وإذا رفعت "النؤى" كان العامل: معنى الاستقرار؛ لأن "الباء" في قوله: "بالربع" بمعنى "في"، والباء في قوله: "بالمظلومة" في موضع نصب على الحال من الحوض، والعامل فيها، ما في الكاف من معنى التشبيه.

وأنشد أبو القاسم في باب: "النفي":

١٢٠- مَنْ صَـــدَّ عن نيرانـــها فأنا ابن قيس لا بَـــرَاحُ

هذا الشعر لسعد بن مالك القيسي، من شعر يُعَرِّضُ فيه بالحارث بن عباد وغيره، ممن كان اعتزل الحرب، حرب بكر وتغلب، ولذلك قال:

بئس الخلائـــف بعدنـــا أولاد يَشْكُـــرَ واللقـــاح

أراد باللقاح: بني حنيفة، سموا لقاحًا؛ لأنهم كانوا لا يؤدون الطاعة للملوك، وكانوا قد اعتزلوا حربهم، هم وبنو يشكر، فلم يشهد حربهم من بني حنيفة أحد إلا الفِنْدُ الزِّمَّاني، واسمه شهل بن سَيَّار، لأن بكر بن وائل بعثوا إلى بني ضبيعة، يستمدونهم على تغلب، فبعثوا إليهم بشهل بن سيار، وليس في العرب شهل -بالشين معجمة- غيره، وكان شيخًا مسنًّا شجاعًا عالِمًا بالحروب، وكتبوا إليهم: قد بعثنا إليكم بثلاث مائة فارس، فلما ورد عليهم قالوا: وما تغني هذه العَشَبَة عنا؟

فقال: إني لكم فِنَدٌ.

والفند: القطعة من الجبل، والعشبة والعشمة بالباء والميم، الشيخ المتناهي في السن.

وقد ذكرنا شيئًا من خبر هذه الحرب فيما تقدم من كتابنا هذا.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٢١- وإذا تكون كريهة أُدْعَـــى لِها وإذا يحاس الحَيْسُ يدعى جُنْدَبُ

هذا وَجَـــدكُمُ الصغـــار بعينـــه لا أم لي إن كـــان ذاك ولا أب

ذُكر في كتاب سيبويه: أن هذا الشعر لرجل من مذحج.

وذكر أبو رياش: أن هذا البيت لهمام بن مرة، أخي جساس بن مرة، قاتل كليب.

وذكر الأصبهاني: أنه لضمرة بن أبي ضمرة.

وزعم ابن الأعرابي: أنه قيل قبل الإسلام بخمسمائة عام.

ويروى: "هذا لعمركم الصغار".

وكان لقائل هذا الشعر أخ، يسمى "جندبا" وكان حيه يؤثرونه ويفضلونه عليه، فأنف من ذلك، وقال هذا البيت، وقبله:

أمـــن السويـــة أن إذا أحصيتم
وأمنتم فأنـــا البعيـــد الأجنب؟

وإذا تكـــون كريهـــة أدعى لها
وإذا يحاس الحيس يدعى جنـــدب؟

وجندب سهل البـــلاد وعذبُها
ولي المـــلاح وحزنهن المجدب؟
عجبًا لتلك قضيـــة وإقـامتي
فيكم على تـلك القضية أعجب!
هذا وجدكم الصغـار بعينــه
لا أم لي إن كـان ذاك ولا أب!

"السَّوِيَة": العدل والإنصاف، و"الأجنب": الغريب، ويكون البعيد، ويروى: "الأخيب" أي: الخائب، و"الحَيْسُ": لبن وإقط وتمر وسمن، يصنع من ذلك طعام، و"الصغار": الذل والهوان.

وأنشد أبو القاسم في باب: "دخول ألف الاستفهام على لا":

١٢٢- ألا طعانَ ألا فُرْسَانَ عاديـــةً ألا تجشؤكم حول التنانير؟

هذا البيت لحسان بن ثابت، يهجو به بني الحارث بن كعب، وأوله:

حارِ بن كعب ألا أحلام تزجركم عنا وأنتم من الجوف والجماخير؟

وقد تقدم من كلامنا ما أغنى عن إعادته.

ويروى: "غادية" بغين معجمة، أي: تغدو إلى الحرب.

ويروى: "عادية" بعين غير معجمة، ويحتمل أن تكون من العدو، الذي هو الجري، ومن العدوان الذي هو الاعتداء والظلم.

و"تجشؤكم" مرفوع على البدل، من موضع "ألا طعان"، ألا فرسان".

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٢٣- تَعُدُّون عقْرَ النِّيبِ أفضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمِيَّ المقنعا

هذا البيت لجرير بن الخطفي، يهجو به الفرزدق:

وكان "غالب" أبو الفرزدق قد عاقر سحيم بن وثيلي الرِّيَاحِيّ في موضع يقال له: "صور"، وكان بنو تميم قد أسنتوا في زمن علي بن أبي طالب ﷺ فانتجعوا أرضًا من أرض بني كلب، في طرف "السماوة" يقال له: "صور"، على مسيرة يوم من الكوفة، فنحر غالب ناقته، وأمر أن يصنع لهم طعام وجعل يهدي إلى قوم من بني تميم، فملئوا لهم جفانًا من ثريد، ووجه منها إلى سحيم بن وثيل جفنة، فكفأها وضرب

الذي أتى بِها، وقال: أمفتقر أنا إلى طعام غالب؟! إذا هو نحر ناقة، نحرت أنا أخرى.

فوقعت المنافرة بينهما، فنحر غالب ناقتين، فنحر سُحْيم ناقتين.

فنحر غالب ثلاثًا، فنحر سحيم ثلاثًا.

فعمد غالب إلى مائة ناقة، فنحرها، ونكل سحيم عن ذلك ، فغلبه غالب فلما انصرف الناس إلى الكوفة قال بنو رِيَاح لسحيم: جررت علينا عار الدهر، هلا نحرت مثل ما نحر؟ فكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين؟

فاعتذر بأن إبله كانت غائبة، وعمد إلى ثلاثمائة ناقة فنحرها بكناسة الكوفة، وقال للناس: شأنكم بِها.

فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هذا مما أهل لغير الله به، فلا يأكل منها أحد شيئًا.

وأمر بطرد الناس عنها، فأكلتها السباع والكلاب والطير.

وكان الفرزدق يفخر بذلك في شعره، فقال جرير: ليس الفخر في عقر النوق والجمال، إنَّما الفخر بقتل الشجعان والأبطال.

و"النيب": الإبل المسنة، واحدها: ناب، و"المجد": الشرف.

ومعنى "ضَوْطَرَىَ": يا بني الحمقاء.

و"الكميّ": الشجاع، وجمعه: كماة، وليس بجمعه على الحقيقة، وإنَّما هو جمع "كام"، كقاض وقضاة، وغازٍ وغزاة، وقد تكلمنا عليه فيما مضى.

و"المقنَّع: الذي على رأسه مَغْفَر.

أرمت ليربوع أياد أُرومـــــة وعِزَّ أبت أوتاده أن مُنَـــزَّعَـــا

تلاقي ليربوع إذا ما عجمتهم منابت نبع لَم يخالطن خروعا

وقال في ذلك الْمحلِّي، أحد بني قطر بن نهشل، يعاضد جريرًا:

وقد سرني أن لا تعد مُجَاشِـــعٌ من المجد إلا عقريات بصـــور

وأنشد أبو القاسم في باب: "التمييز":

١٢٤- أتهجـــر ليلى للفراق حبيبهـــا وما كان نفسًا بالفراق تطيب

هذا البيت للمخبل السعدي، واسمه: ربيعة بن مالك، ويقال: إنه لأعشى همدان واسمه: عبد الرحمن بن عبد الله، ويكنى: أبا المصبح، وهو من شيعة الدولة

الأموية، وكان يلقب: "طليق أيره"، وذلك أن الحجاج كان قد أغزاه ببلاد "الديلم"، فأسر، وهويته بنت العلج الآسر له، فواقعها ثماني مرات في ليلة، فقالت له الديلمية: يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟!

فقال: نعم.

فقالت: من أجل هذا نصرتم علينا، ثم قالت: أرأيت إن أنا خلصتك وفررت معك أتصطفيني لنفسك؟

قال: نعم.

فعاهدته الله أن لا يخلفها وعده، وحلت وثاقه، وفرت معه، فقال قائل:

لقد حدثت للديلمية غُلْمــــة بِها فُكَّ من رتق الأسار أسيرها

ومن يك يفديه من الأسر ماله فهمــدان تفديها الغداة أُيُورُهَا

وهذا البيت أنشده أبو عثمان المازني شاهدًا على جواز تقديم التمييز على العامل فيه، إذا كان العامل فعلاً متصرفًا، فأجاز قياسًا على هذا: عرقًا تصببت، وشحمًا تفقأت.

ولا حجة فيه عند أصحابه لوجهين:

أحدهما: أن هذا لَم يُسْمع إلا في الشعر، وما انفرد به الشعر ليس بأصل يقــاس عليه، إنَّما يوجه إلى الضرورة، ويجب أن يقال له.

إذا كنت تجعل هذا البيت حجة، فاجعل قول الآخر حجة على جواز تعريف التمييز، وهو:

رأيتك لِمَا أن رأيت جِلادَنَــا رضيت وطبت النفس يا بكر عن عمرو

وكما أنا لا نرى هذا البيت حجة في جواز تعريف التمييز، إنَّما هو عندنا وعندك جري مجرى الضرورة، وكذلك هذا البيت الآخر، وإلا فمن أين فرقت بينهما، وكل واحد منهما مما انفرد به الشعر؟!

والوجه الثاني: أن أبا إسحاق الزجاجي- رحمه الله تعالى- قال الرواية:

وما كان نفسي بالفراق تطيب

وأنشد أبو القاسم في باب: "التصغير".

١٢٥-قُدَيْدِيمَةَ التجريب والحلم إنني أرى غَفَلاتِ العيش قبل التجارب

هذا البيت للقُطامي، وقبله:

كأن قضيضًا من غريض غمامـــة
على ظمأ جاءت بـــه أم غـــالب
لمستهلك قد كاد من شـــدة الهوى
يموت من طول العداة الكـــوارب
صريع غَـــوَانٍ راقهـــن ورقنه
لدن شَبَّ حتى شاب سود الذوائب

"القضيض": ما انقض من المطر، أي: تفرق وسقط، و"الغريض": الماء الطري، و"الظمأ": العطش الذي يعرض نفسه للهلاك.

و"الغواني": جمع غانية، وهي التي غنيت بزوجها عن غيره، وقيل: هي التي غنيت بجمالها عن الزينة، وقيل: هي التي غنيت في بيت أبويها ولم تتزوج.

و"راقهن": أعجبهن بجماله وشبابه، و"رقنه": أعجبنه.

و"لَدُن": أي من عند وقت شبابه إلى وقت شيبه، قبل أن يجرب الأمور، ويكون له حلم ينهاه عن القبيح والفجور، فإن غفلات العيش ولذاته، إنَّما هي قبل التجارب، والفكرة في العواقب.

و"قديديمة": تصغير "قدام"، والعامل فيه: "راقهن ورقنه".

ويروى: إنني بكسر الهمزة على الاستئناف، وأنني بفتح الهمزة، وهو مفعول من أجله، وقد تكون "إن" مكسورة الهمزة وفيها معنى المفعول من أجله: كقوله: ﴿**ويصلى سعيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا**﴾ [الانشقاق: ١٢، ١٣]. وأجاز ذلك؛ لأن"إن" داخلة على الجمل، والجمل قد يكون فيها معنى العلة، والسبب موجود، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥٢]. فإن المعنى ولأن هذه أمتكم ولكوني ربكم فاتقون.

وأنشد أبو القاسم في باب: "تصغير الأسماء المبهمة":

١٢٦ - ألا قل لِتَيَّا قبـــل مِرَّتها اسلمي تحية مشتاق إليهـــا متيم

هذا البيت لأعشى بكر بن وائل يهاجي به بسطام بن عبد الله.

وقوله: "ألا قل لتيا"، أراد : قل لهذه المحبوبة قبل مرورها ونهوضها، اسلمي، أي: سلمك الله في سفرك.

و"المِرَّة": هي هيئة المرور، كما أن الجِلْسَة: هيئة الجلوس، ويجوز أن يريد: لمرتها استحكام نيتها في النهوض، فيكون من قولهم استمرت مرَّتُهُ على كذا، أي: قوي، والمرة: القوة، قال البعيث:

شددتُ له أزري بمرَّة حازم على موقع من أمره ما يعادله

و"تحية": مصدر مؤكد، حمله على معنى الفعل لا على لفظه؛ لأنه إذا قال: اسلمي ، فقد حيَّاها، وهو مصدر مؤكد؛ لأنه لو قال: اسلمي واقتصر عليه، لعُلِمَ أنه قد حياها تحية مشتاق، وهو بمنـــزلة قول زهير:

تعلمن ها لعمر الله ذا قسما فاقدر بذرعك وانظر أين تَنْسَلِكُ

"والمتيم": الذي استعبده الحب وتملكه.

وزعم بعض النحويين أن "تيًا" اسم علم، واحتج بقول الأعشى:

ألا قل لتياك ما بالها أللبين تحدج أحمالها

وتوهم أنه مثل قول النابغة:

أهاجك من سعداك مغنى المعاهد يروضه نعمى فذات الأساود

قال: ولو كان اسم إشارة، لَم يجز أن يضيفه؛ لأن أسماء الإشارة لا تضاف، وهذا الذي قاله خطأ؛ لأن الكاف في قوله: "تيَّاك" ليست اسمًا مضافًا إليه، إنَّما هي حرف للخطاب، لا موضع لها من الإعراب، كما يقال: ذاك زيد. قال ذو الرمة:

ألا ظعنت مي فهاتيك دارها بِها السُّحم تردى والحمام المطوَّقُ

ويروى أن أعرابيًا قدم من سفره، فوجد امرأته قد ولدت فأنكر الولد فقال:

لتقعدن مني مقعد القصي
مني ذو القـــاذورة المقليّ
أو تحلفي بربـــك العلي
أني أبـــو ذيَّالكَ الصبي

فقالت مجيبة له:

لا والذي ردك يا صـــــفي
ما مسني بعدك من إنـــسي
غير غـــــلام واحـــد صبي

بعـــد امرأين من بني عـــدي
ثم امـــرأين من بني بـــــلي
ها وخمسة كانوا على الطوي
وتسعة جـــــاءوا مع العشي
وغير تركـــي ونصــــراني

فقام إليها الأعرابي وسد فاها، وقال: اسكتي قبحك الله، وقال: والله لولا أني سددت فاك لذكرتِ الإنس والجن.

وقوله: "ألا قل ليتا" مخاطبة منه لنفسه. وقوله بعده:

على قيلها يوم التقينـــا ومن يكن ... على منطق الواشين يُصْرَم ويَصْرِم
أجدك لَم تأخـــذ ليـــالي تلتقي ... شفاءك في حـــول جديد محرم
سلام وتعطي كـــل شيء سألته ... ومن يكثر التسآل لابـــد يحرم

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٢٧- بكل قريشيٍّ عليه مهــــابة ... سريع إلى داعي الندى والتكرم

هذا البيت لا أعلم قائله.

وقبل هذا البيت:

ولست بِشَـــاوِيٍّ على كمامة ... إذا ما غدا يغدو بِقَوْسٍ وأَسْهُمِ
ولكنما أغـــدو على مُفَـــاضَة ... دِلاص كـــأعيان الجراد المنظم

"الشاوي": الذي يرعى الشاء، و"الدمامة": بدال غير معجمة: الحقارة والمهانة، و"الدِّلاَص": المصقولة البراقة.

وصف نفسه بأنه ليس من رعاة الغنم المحتقرين، وأنه من الفرسان، الذين يستنجد بهم في الحرب.

وأنشد أبو القاسم أيضًا في هذا الباب:

١٢٨- وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لَم ترى قبلي أسيرًا يمانيًا

هذا البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، وكان أُسِر "يوم الكلاب"، أسرته التيم، وكانوا يطلبونه بدم رجل منهم، فعلم أنه مقتول، فقال هذا الشعر ينوح على نفسه.

وقد تقدم منه ستة أبيات في باب: "النداء". وبعد هذا البيت:

وظـــــــل نساء التيم حولي رُكَّدًا

يراودن مني مــــا يريـــــد نسائنا

وقد عَلِمَتْ عــرسي مُلَيْكَـــةُ أنني

أنـــا الليث مَعْدِيًّـــا عليَّ وعاديا

وقد كنت نحَّار الجزور ومُعْمِلَ الـــ

ـــمطي وأمضي حيث لا حَيَّ ماضيا

وقوله: "كأن لَم ترى قبلي" رجوع من الإخبار إلى الخطاب، كما قال عنترة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت

عَسِرًا عليَّ طلابك ابنة محرم

ويروى: كأن لَم ترى قبلي، على الإخبار.

وكان الوجه أن يقول: كأن لَم تر بحذف الألف للجزم، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون أثبت الألف ضرورة، كما قال الراجز:

إذا العجوز غضبت فَطَلِّقِ

ولا ترضاها ولا تَمَلَّــــقِ

والثاني: أن يكون على لغة من يقول: "راء" مقلوبًا من "رأى"، على مثال: "خاف" فجزم، فصار لَم "ترأ"، على مثال، ثم تخففت الهمزة، فقلبها ألفًا لانفتاح ما قبلها، كما يقال في قوله: قرأ: قرا. "وراء" لغة مشهورة، منها قول كُثَيِّر:

وكل خليل راءني فهو قائل   من أجلك هذا هامة اليوم أو غدا

و"كأْن" مخففة من "كأنَّ"، واسمها مضمر فيها، تقديره على الأول، كأنك لَم ترى، وعلى القول الثاني: كأنها لَم تر.

وأنشد أبو القاسم في باب : "المعرب والمبني":

١٢٩–ويصهل في مثل جوف الطويِّ   صهيـــــلاً تبين للمعـــــرب

هذا البيت للنابغة الجعدي، واسمه: حبان بن قيس بن عبد الله، ويكنى: أبا ليلى، هذا قول أبي عمرو الشيباني ، والقحذمي.

وقال ابن قتيبة: هو عبد الله بن قيس، وقال محمد بن سلام: هو قيس بن عبد الله.

وقال ابن الأعرابي: سمي نابغة؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم قال بعد

ذلك الشعر، وهذا قول محمد بن حبيب، وقال حماد الراوية: قرأت على القحذمي قال:

قال النابغة الشعر في الجاهلية، ثم أجبل دهرًا، ثم نبغ بعد ذلك بالشعر في الإسلام، وكان يقال في شعره: "خِمارٌ، بِوافٍ، ومطرفٌ بآلاف".

يريدون: أن شعره لا يتناسب بعضه جيد، وبعضه رديء، كذا قال ابن قتيبة.

وذكر غيره: أن هذا إنَّما كان يقال في شعر الكميت.

وعاش النابغة الجعدي، مائة وعشرين سنة، فيما ذكره ابن قتيبة.

وذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ سأله عن قوله في شعره:

لبست أنــاسًا فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا

ثلاثـــة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستآسا

فقال له: كم لبثت في كل أهل؟

فقال: ستين سنة ، فهذه مائة وثمانون سنة، ثم عُمِّر بعد ذلك، ومات في أيام الحجاج.

والذي قال ابن قتيبة أشبه بالصحة، لقول النابغة في مهاجاته للأخطل:

فمن يك سائلاً عني فــإني من الفتيان أيام الخُنَــانِ

مضت مائــة لعام ولدت فيه وعشر بعـــد ذاك وحِجَّتان

فقد أبقت خطوب الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني

ويروى: "ويصهل" بكسر الهاء وفتحها.

و"الطوى": البئر المطوية بالحجارة، وشبه بها جوف الفرس في عظمه.

و"المعرب": العالم للخيل العراب، ويكون أيضًا الذي له خيل عراب.

وقوله: "تبين للمعرب" جملة في موضع الصفة للصهيل، والتقدير: تبين المعرب أنه عتيق، فحذف المفعول، كما حذفه من قوله:

حتى لحقنا بهم تُعدِي فوارسنـــا كأنها رَعْنُ قفٍّ يرفع الآلاء

أي: تعدي فوارسنا الخيل.

ويجوز أن يكون من قولهم: تبين الأمر، إذا ظهر، بمعنى: بان، ولذلك قالوا في المثل: قد تبين الصبح لذي عينين، فلا يكون في الكلام حذف. وقبله:

كـــأن مَقَطَّ شرًّا سيفه إلى طـــرف القنب فالمنقب

لُطمن بتـــرس شديد الصفا ق من خشب الجوز لَم يُثْقَبِ

وأنشد أبو القاسم في باب: "الهجاء":

١٣٠- فـإن المنية من يخشها   فسوف تصادفـه أينما

هذا البيت للنمر بن تولب العكلي.

و"النمر": اسم منقول من النمر، الذي هو نوع من السباع، والنمر من السحاب: ما كان فيه حمرة وبياض وسواد، شبه بالسبع لاختلاف ألوانه، ورجل نمر: غضبان، معبس، ونمر: قبيلة، ونمر: جمع نَمِرَة، وهي نوع من الثياب.

واختلف في قول طرفة:

ثم زراتني وصحبي هُجَّـعٌ   في خليطين بُردٍ ونَمِـر

فقيل: هما ثوبان، وقيل: قبيلتان.

و"التَّوْلَب" ولد الحمار.

و"العُكْل": اسم مرتجل من قولهم: عكل عليه، إذا حَمَلَ عليه، وعكل الشيء، إذا حبسه، وعكله: إذا جمعه بعد تَفَرُّقه قال الشاعر:

وهم على شرف الأميل تداركوا   نَعَمًا تُشَلُّ إلى الرئيس وتُعْكَل

وكان أبو حاتم السجستاني يزعم أن العرب لا تقول إلا: النمر بن تولب بسكون الميم. وهذا إنَّما هو على تخفيف الكسرة. وقيل بيت النمر:

وإن أنت لاقيت في نجدة   فلا تَتَهَيَّبْك أن تَقْدِمَـا

وقال أصحاب المعاني: أراد فلا تتهيب أن تقدم عليها، كما قال ابن مقبل:

ولا تهيبني الموماة أركبـها   إذا تجاوبت الأصداء بالسَّحَر

أراد: ولا أتهيب.

ويجوز عندي أن تكون الكاف حرف خطاب، لا موضع لها من الإعراب، كالكاف في أرأيتك زيدًا ما صنع؟ والنَّجَاءَكَ يا رجل، فلا يكون مقلوبًا، وكأنه قال: فلا تتهيب أن تتقدم.

و"النجدة": الشدة.

وأنشد أبو القاسم في باب: "أحكام الهمزة في الخط":

١٣١- إن سليمى والله يكلـؤها   ضنت بشيء ما كان يرزؤها

هذا البيت لإبراهيم بن هرمة القرشي.

و"هرمة": اسم منقول من "الهرم" وهو نبت رخو، واحدتها: هَرْمَة، قال الحارث بن وعيلة:

ووَطِئْتَنَا وطأً على حَنْــــق وَطْــأَ المقيَّدَ يابس الهـــــرم

ومعنى "يكلؤها": يحفظها ويحرسها.

و"ضنت": بخلت علينا بما لو بذلته، لَم يكن عليها فيه من ريبة.

وقوله: "ما كان يرزؤها": جملة في موضع الصفة لشيء، كأنه قال: شيء غير رازٍ لها، وخبر "إن" في قوله: "ضنت".

وقوله: و"الله يكلؤها" اعتراض بين اسم إن وخبرها، لا موضع لها من الإعراب.

وهذه القصيدة مما اختارها الأصمعي من القصائد المهموزات، وبعد هذا البيت:

وعودتني فيما تعـــــودني أظماءَ وِرْد ما كنت أجزؤها

ولا أراها تزال ظالـــــمة تحدث لي قَرْحَةً وتنكــؤها

الأظماء: جمع ظِمْء، وهو ما بين الشرب إلى الشرب، وضربها مثلاً، أراد أنَّها تصله، ثم تقطعه مدة، كما تسقى الإبل أربعًا وخمسًا، ونحو ذلك إلى العشر، وهو نهاية الأظماء.

ويقال: جَزَأَت الإبل، وغيرها، إذا استغنت بأكل النبات الأخضر عن شرب الماء، و"النكء" أن يقشر الجرح.

والمعنى: تحدث لي جرحًا وتتلوه بآخر، كما قال ذو الرمة:

ولكن يَكُ القرح بالقرح أوجع

وأراد: وأراها لا تزال ظالمة، فقدم "لا" عن موضعها، كما قال الآخر:

خــــالفْ فــلا والله تهبط تَلْعَةً من الأرض إلا أنت للذل عارف

وأنشد أبو القاسم في باب: "المذكر والمؤنث".

١٣٢- كافًا وميمين وسينًا طاسمًا

هذا الرجز لا أعلم قائله، وقبله:

تخال منها الأرسم الرواسما

شبه رسوم الدار بكتاب قد دَرَسَ، ولم يخص هذه الحروف دون غيرها بمعنى، ويحتمل أن يكون رأى هذه الحروف في كتابه فسأل عنها ما هي؟ فقيل: هي

كـــاف وميمان، وسين؛ لأن العرب أكثرهم لا يميز الحروف.

ويروى أن أبا حية النميري قيل له: أنشدنا قصيدة على روي الكاف، فأنشد:

كفى بالنأي من أسماء كاف   وليس لحبها ما عشت شاف

ولأجل هذا ينسبون الخط إلى النصارى واليهود؛ لأنهم كانوا أصحاب كتب، ولم يكن للعرب كتاب ألا ترى إلى قول امرئ القيس:

أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحت   كخط زبور في مصاحف رهبان؟

وقال أبو حية النميري:

كما خُطَّ الكتاب بكف يـــومـــًا

يهـــودي يُقـــــارب أو يُزِيــــلُ

وذكر أبو حاتم الرازي، أنه قيل لأعرابي: ما القلم؟ فجعل ينظر إلى أصابعه ساعة، ثم قال: لا أدري.

فقيل له: توهمه في نفسك.

فقال: هو عود قُلم من جوانبه، كما قلم الأظفور.

و"الطاسم" والطامس: سوادهما الدارس.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٣٣-....................   كما بُيِّنَت كافٌ تلوح وميمها

هذا البيت للراعي، وصدره:

أشاقتك أطلال تَعَفَّت رسومهـــــا

وإنَّما شبهوا آثار الديار بحروف المعجم؛ لأنه يستدل بِها، كما يستدل بالحروف، ولذلك جعلوها تبين من الآثار ما له نظير في الكلام والمنطق مثل قول زهير:

أمن أم أوفى دمنة لَم تَكَلَّمِ   بحومانة الدَّراج فالمتثلـــم

وقال جميل:

ألم تسأل الربع الخواء فينطـــق   وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

ويروى: "بُيِّنَت" على صيغة ما لَم يسم فاعله، و"بَيَّنَت" بفتح الباء والياء، وهو أجود.

وأنشد أبو القاسم في باب "أمس":

١٣٤- لقد رأيت عجبًا مذ أمسا عجائزًا مثل السعالي خمسا

"السعالي": سواحر الجن، واحدتها: سِعْلاة، وبعد هذين البيتين:

يأكلن ما جمعن همســـا

لا ترك الله لهن ضرســا

ولا لقين الدهر إلا تعسا!

"الهمس: الصوت الخفي، و"التعس": السقوط على الوجه، والنكس: السقوط على القفى.

وأنشد أبو القاسم في باب: "الحروف التي يرتفع ما بعدها بالابتداء والخبر" وتسمى: حروف الخفض:

١٣٥- بينا تَعَنُّقِهِ الكُمَاة ورَوْغِــــهِ يومًا أُتيح له جريءٌ سَلْفَـــعُ

هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي. وقبله:

والدهر لا يبقى على حدثانه مستشعر حَلَقَ الحــديد مُقَنَّعُ

تعدو به خوصاء يَفْصِمُ جريها حَلَقَ الرحالة فهي رخو تمرع

"المستشعر": الذي لبس الدرع، وصيرها لجسمه كالشِّعار، وهو ما يلي الجسم من الثياب.

و"المقنع": الذي على رأسه قناع من حديد، يعني البيضة.

وقوله: "تعدو به خوصاء"، أي: تجري به فرس في عينها عور، والخوص: عور في العينين.

وقوله "يفصم"، أي: يكسر، يقال: بالفاء والقاف، وقيل: الفصم -بالفاء-: أن ينصدع الشيء، ولا يبين بعضه عن البعض، فإذا بان بعضه من بعض، فهو قصم بالقاف.

و"الرحالة": القَتَب، و"الرخو": السهلة الجري، و"تمرع": تسرع، و "الكماة": الشجعان، و"الروغ": التحفظ والحذر.

ومعنى "أتيح": قُدِّر، و"الجريء": ذو الجرأة والإقدام، و"السلفع": نحوه، ذكره على جهة التأكيد.

ووقع في بعض نسخ "الجملِ" تعانقه بألف، وهو خطأ، والصواب: تَعَنُّقِهِ، وكذا وقع في شعر أبي ذؤيب؛ لأن "تعانق" لا يتعدى إلى مفعول، إنَّما يقال: تعانق

الرجلان، والمعانقة والاعتناق والتعنق هي المتعدية.

و"الاعتناق": آخر مراتب الحرب؛ لأن أول الحرب الترامي بالسهام، ثم المطاعنة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف، ثم الاعتناق، وهو: أن يتخاطف الفارسان، فيسقطان إلى الأرض معًا، وقد ذكر ذلك زهير في شعره، حيث يقول:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ضَارَبَ حتى إذا حاربوا اعتنقـــا

يريد أنه يزيد على ما يفعلون.

وأراد أبو ذؤيب: أن الشجاع لا يعصمه من الهلاك جرأته وشجاعته، وأن كل مخلوق فالفناء قضاؤه وغايته.

وأنشد أبو القاسم في باب: "ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره":

١٣٦- ضَرْبًا هذاذيك وطعناً وخضاً

هذا البيت للعجاج، واسمه: عبد الله بن رؤبة، وسمي العجاج لقوله:

حتى يعج عندها من عجعجا

وقبله:

حتى يُقَضَّى الأجل المقضَّى

و"الهَذُّ": سرعة القطع، ومعنى "ضربًا هذاذيك"، أي: ضربًا يهذ هَذًّا بعد هذ.

و"الوخض": أن يدخل الرمح في الجوف، ولا ينفذ.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٣٧- إذا شُقَّ بَرْدٌ شَقَّ بالبرد مثله دواليك حتى كلنا غير لابس

هذا البيت لسحيم، عبد بني الحسحاس، في ابنة مولاه.

و"سحيم": اسم منقول، وهو تصغير أسحم، وهو الأسود، فعلى هذا هو مصغر مرخم، ويجوز أن يكون تصغير سحم، وهو ضرب من النبات، قال النابغة:

إنَّ العريمة مـــانـــــع أرماحنا ما كان من سحم بِها وصُفَار

فيكون تصغيرًا غير مرخم.

والوجه الأول أجود؛ لأنه كان عبدًا أسود.

وأما "الحسحاس": فالأشبه أن يكون مرتجلاً مشتقًّا من قولهم: حسحست الشواء، إذا أزلت عنه الجمر والرماد، وقد يمكن أن يكون منقولاً؛ لأنهم قد قالوا:

"ذو الحسحاس" لموضع بعينه، قال الشاعر:

ألا ليـــت شعري هل تغير بعدنا؟ ظباء بذي الحسحاس نُجْلٌ عيونها

يروى بالسين والصاد.

و"البرد": الثوب، من أي شيء كان، وكان أبو حاتم يقول: لا يقال: بُرد، إلا لِمَا كان فيه وشي، فإن كان فيه من صوف فهو بُرْدَة، كما قال بعض الأعراب:

لعمري لأعرابية ذات بردة تحل دماثًا من سُوَيْقة أو فردا

ومعنى "دواليك": "مداولة بعد مداولة، وهو تثنية "دوال" وأنشد أبو زيد:

لعمري لقد برَّ الضبـــاب بنوه وبعض البنين حَـــمَّةٌ وسَعَال

جزوني بما ربيتهم وحملتهـــم كذلك ما إن الخطوب دوال

ولما رأوا أن العظـــام تحببت أقاموا العظام فالعظام طـــوال

ويُروى: دِوالِ -بالكسر- وهو مصدر داولت، والدَّوال- بالفتح- اسم المصدر.

وأما ما ذكره من شق البُرد، فمعناه: أن العرب قد كانوا يقولون: إن المتحابين إذا شق كل واحد منهما بُرْد صاحبه، دامت مودتها، ولذلك قال قبل هذا:

كـــأن الصُّبيريات وســـط بيوتنا ظباء تَبَدَّت من خـــلال المكانس

فكم بردة قد شُقَّ عنـــــا وبرقع على طفلة ممكورة غير عانس؟

أراد بالصبيريات: نساء من بني صبيرة بن يربوع، و"الممكورة": المطوية الخلق، و"العانس": التي بقيت في بيت أبيها ولم تنكح.

وأنشد أبو القاسم في باب "الوقف":

١٣٨- أنا ابن ماوية إذا جد النَّقُر

هذا البيت لا أعلم قائله، وأظنه لعبيد بن ماوية الطائي، لقوله: "أنا ابن ماوية".

وبعده:

وجاءت الخيل أثابي زُمَرْ

ومعنى "جَدَّ": اشتد وتحقق، و"النقر": صوت باللسان يُسَكِّن به الفرس إذا اضطرب بفارسه، قال امرؤ القيس:

أخفضه بالنقر لـــمَّا علوته ويرفع طرفاً غير جاف غضيض

وقوله: "أنا ابن ماوية" كلامٌ خرج مخرج الافتخار، ولا يقوله إلا مشهور عند الناس قال أبو النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعرى

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٣٩- لقد خشيت أن أُرى جَدَبا

فـــي عـــامنا ذا بعـــدما أخصبا

هذا الرجز أنشده أبو حاتم لبعض الأعراب.

ويروى: "جَدْببا"، فمن روى كذا زاد إلى الباء باء أخرى لتبقى دال "الجدب" ساكنة؛ لأن التشديد في الوقف إنَّما يستعمل فيما كان قبل آخره حرف متحرك، ونظيره قول الآخر:

كأن مجرى دمعها المسْتَنِّ قُطْنَةٌ من أبيض القُطْنُنِّ

ويروى: القُطُنِّ.

ومن روى "جَدَبَّا" بغير زيادة باء، حرك الدال، لاجتماع الساكنين.

وكان القياس: ألا يشدد "جدبا" ولا "أخصبا"، لوقوع حرف الإطلاق بعد البـــاء من "أخصب"، والألف التي هي بدل من التنوين في "جدبا"، ولكنه اضطر، فأجرى الوصل مجرى الوقف. وبعد هذين البيتين:

إن الـــــدَّبَا فوق المتون دَبَّـــا

وهـــبت الريـــــح بمورٍ هَبَّا

تترك ما أبقى الـــدَّبا سبسَبَّـــا

كـــأنه السيل إذا اسلحبَّـــــا

أو كـــالحريق وافـــق القصبَّا

والتبن والحلفـــاء فـــالتهبَّـــا

حتى تـــرى البويزل الإزبَّـــا

مـــن عدم المرعى قـــد اقرعَبَّا

تبًّا لأصحـــاب الشَّوِيِّ تبَّـــا

"الدبا": الجراد.

و"المتون": المواضع المرتفعة، و"المور": الغبار المتردد بالريح، و"السبسب": ما لا نبات فيه من الأرض، وهو البسبس أيضًا، قال الشاعر:

وقال سبسب لا نبت فيه كأنه كلاية زبر الحديد

و"اسلحبا": سال بشدة.

و"البويزل": تصغير البازل من الإبل، وهو بمنـــزلة القارح من الخيل، وخصه بالذكر؛ لأن الكبير أحمل للجهد من الصغير.

و"الإرَبّ": الغليظ، الكثير اللحم.

ومعنى "اقرعب": ضمر وهزل.

و"الشوى": لغة في الشَّاء.

وأنشد أبو القاسم في باب "ما":

١٤٠- بما في فؤادينا من الهم والهوى فيبرأ مُنْهَاضُ الفؤاد المُشعَّفُ

هذا البيت: للفرزدق، من قصيدة أولها:

عزفت بأعشـــاش وما كنت تعزف
وأنكرت من حدراء ما كنت تألف
دعوت الذي سَوَّى السماوات أَيْدُهُ
ولله أدنى من وريـــدي وألطـــف
ليشغـــل عني بعلهـــا بزمانـــة
تُـــدَلِّهُـــهُ عني وعنهـــا فَنُسْعَفُ

"الأيد"، والأود: القوة، و"الوريد": حبل العنق، أخذه من قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ [ق: ١٦].

و"الزمانة": ما يصيب الإنسان من حوادث الزمن، و"التدليه": ذهاب العقل.

ويروى: "فيجبر منهاض الفؤاد": على صيغة ما لَم يسم فاعله، و"يجبر" على صيغة لفظة فعل "يفعل"، ويرتفع "منهاض" في الوجه الأول على أنه مفعول ما لَم يسم فاعله، وفي الوجه الثاني على أنه فاعل؛ لأنه يقال جبر العظم وجبرته، قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

ويروى: "فيبرأ"، "منهاض الفؤاد": الذي عاوده الحب بعد ذهابه عنه.

والأصل في الانهياض: أن يُجبر العظم ثم ينكسر.

و"المشغف": الذي بلغ الحب شغافه، وهو حجاب القلب.

ويروى: "المشعَّف" بعين غير معجمة، وهو الذي أحرقه الحب، وقيل: هو الذي بلغ الحب شعفته، وشعفة القلب: أعلاه، مثل شعفة الجبل، وهي رأسه.

واللام في قوله "ليشغل" بمعنى: "كي"، وهي متعلقة "بدعوت"، والباء في قوله: "بزمانة" متعلقة بـــ"يشغل"، و"تدلهه: جملة في موضع الصفة لزمانة".

ورفع "فنسعف" وقطعه عما قبله، كأنه قال: فنحن نسعف، وكان الأحسن أن يتصبه بالعطف على"ليشغل".

ونحوه قول جميل:

ألم تسأل الربع الخواء فينطق وهل تخبرنك اليوم بيداء سِمْلقُ

كأنه قال: فهو ينطق.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٤١- ومهمهين قذفين مَرْتَين ظهراهما مثل ظهور الترسين

هذا الرجز لخطام المجاشعي، وبعده:

جُبتهما بالنعت لا بالنعتين

و"المهمه": القفر المخوف، واشتقاقه من مهمهت بالرجل، إذا زجرته، فقلت له: مه مه.

ومثله ما ذكره اللغويون في قول أبي ذؤيب:

على أطرِقا بالياتُ الخيام إلا الثُّمام وإلا العِصِيّ

فإنَّهم ذكروا أن "أطرقا": موضع، وإنَّما تسمى بذلك؛ لأن ثلاثة أنفس مروا فتكلم أحدهم مع صاحبه، فقال لهما الثالث: أطرقا.

و"القَذَف": ما ارتفع من الأرض، و"المْرتُ": التي لا ماء بِها ولا نبات فيها.

و"الظهر: ما ارتفع من الأرض، يشبهه بظهر الترس في ارتفاعه، وتعريه من النبت، كما قال الأعشى:

وفـــــلاةٍ كأنها ظهر ترس ليس إلا الرجيع فيها علاقُ

وقوله: "جبتهما بالنعت لا بالنعتين"، أي: نُعِتا لي مرة واحدة، فلم أحتج إلى نعتهما إلى مرة أخرى.

وصف نفسه بالحذق والمهارة.

وأنشد أبو القاسم في باب "أقسام المفعولين":

١٤٢- فكان وإياها كحران لَم يُفِقْ عن الماء إذا لاقاه حتى تقددا

هذا البيت لكعب بن جعيل التغلبي.

و"الحران": العطشان، ومعنى "تقدد": تشقق مِعَاه لكثرة ما شرب من الماء.

وصف عاشقًا لقي محبوبته، وهو شديد الشوق إليها، فكان حاله معها كحال رجل شديد العطش، ظفر بالماء، فأكثر منه حتى هلك.

وإنَّما خص الماء بالذكر؛ لأن العرب تقول: ظمئت إلى لقائك، وعطشت إلى لقائك، فيمثلون اشتياق المحب إلى المحبوب، باشتياق الظمآن إلى الماء، ألا ترى إلى قول الشاعر:

أرى ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الوُرُد

وقال آخر:

أُؤمِّلُ أن أُعَلَّ بشرب ليلى ولم أنهل، فكيف إلى العُلُول؟

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٤٣- فآليت لا أنفك أحذو قصيدة تكون وإياها بِها مثلاً بعدي

هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي يخاطب به خالدًا ابن أخته.

وكان أبو ذؤيب يرسله قوادًا إلى معشوقة له تدعى أم عمرو، فأفسدها عليه، واستمالها إلى نفسه، فقال فيه هذا، وقبله:

تريدين كيما تجمعيني وخالدا
وهل يُجمع السيفان ويحك في غمد؟

أخالد ما راعيت من ذي قرابة
فتحفظني في الغيب أو بعض ما تبدي

دعاك إليها مقلتاها وجيدها
فملت كما مال المحب على عمد

وكنت كرقراق السـراب إذا جرى
لقوم وقد بات المطي بهم يحـــدي

ومعنى "آليت": حلفت، ويقال لليمين: ألْوَة، وإلْوَة وأُلْوَة، بفتح الهمزة وكسرها وضمها.

ومعنى "لا أنفك": لا أزال.

ومعنى "أحذو": أصنع وأهيىء، كما تحدي النعل على المثال، إذا سُوِّيت عليه.

ومن روى: "أحدو" بالدال غير معجمة، فهو من قولهم: حدوْت البعير، إذا سقته وأنت تغني في إثره لينشط.

وقوله: "تكون" في موضع الصفة لقصيدة، وهي صفة جرت على غير من هي له، ولو جعلتها صفة محضة لبرز ضمير الفاعل المستتر فيها، فكنت تقول: كائنا بِها أنت وإياها.

والضمير في قوله: "بِها" يعود على القصيدة، وفي "إياها": يعود على المرأة، كأنه قال: حلفت لا أزال أصنع قصيدة، تكون مع هذه المرأة بِها مثلا بعدي.

وفي هذه القصيدة قال أبو ذؤيب لخالد:

رعى خالـد سِرِّي ليالي نَفْسَهُ توالى على قصد السبيل أمورها
فلما تراماه الشباب وغيـــهُ وفي النفس منه فتنة وفُجُورهـا
لوى رأسه عني ومَالَ بــودِّهِ أغانيج خَوْدٍ كان قِدْما يزورها
يعلقه منهـا دلال ومقلـــة تظـل لأصحاب السقاء تدبرها

فأجابه خالد بشعر، يقول فيه:

فلا تجزعن من سيرةٍ أنت سِرْتَهَا فـأول رَاضٍ سُنَّةَ من يسيرها
تَنَقَّدْتَها من عبـد وهب بن جابر وأنت صفي النفس منها وخيرها

وإنَّما قال له هذا؛ لأن وهب بن جابر، كان صاحب هذه المرأة، وكان يوجه إليها أبا ذؤيب، فأفسدها عليه، واستمالها إلى نفسه، فاحتج خالد بذلك، فقال: كيف تنكر عليَّ ما فعلت أنت مثله؟

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٤٤- تكلفني سَوِيقَ الكَرْمِ جَـرْمٌ وما جَرْمٌ وما ذاك السَّـوِيق

هذا البيت لزياد الأعجم، وهو زياد بن جابر، وهو من عبد القيس.

و"زياد": اسم منقول، وهو مصدر زايدته مزايدة وزياداً.

وسمي: أعجم، للكنة كانت في لسانه. وبعد هذا البيت:

ومـــا شربته جرم وهو حِلٌّ ولا غَالَتْ به مذ كان سُوقُ

فلمـــا أنـــزل التحريم فيهـــا إذا الجرمي منها مـــا يفيق

أراد بـــ: "سويق الكرم": الخمر، كنى عنها بالسويق؛ لانسياقها في الحلق، وطيبها عند الشاربين لها.

وقوله: "وما جرم وما ذاك السويق" احتقار منه لجرم والسويق الذي سألته، كما تقول: ما أنت وذاك وزيد، وفي الكلام -وإن كان مرفوعًا معطوفًا- معنى "مع".

وفيه شاهد على أن "ما" إذا تكرر ذكرها مع الاسم، ارتفع ولم يجز النصب، ألا ترى أنك تقول: ما أنت وقصعة من ثريد، فترفع "القصعة" وتنصبها، والرفع أجود لخلو الجملة من فعل

ولو أظهرت "ما" مرة ثانية، فقلت: ما أنت، وما قصعة من ثريد، لَم يجز النصب بوجه.

ولو أسقطت "ما" الثانية من بيت زياد، فقلت: وما جرم وذاك السويق؟ رفعت ونصبت.

وأما معنى الشعر: فإنه هجا جرماً، ووصفها بخساسة القدر، واستحلالها ما حرم الله من شرب الخمر، فقال: إن جرمًا في الجاهلية قبل تحريم الخمر، لَم تكن ممن يصل إلى شرب الخمر، لنفاستها عند الناس، وغلاء ثمنها، فلما حرمها الله تعالى، وترك الناس شربها، ورخص ثمنها، وصلت جرم حينئذ إلى شربها، ولم تبل بتحـــريم الله تعالى لها.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٤٥- فمـــا أنا والتَّلَدُّدَ حول نجد وقد غُصَّتْ تهامة بالرِّحــــال

وهذا البيت لمسكين الدارمي، واسمه ربيعة بن عامر، و"مسكين": لقب له، ولذلك قال في شعره:

وسميت مسكينًا وما بي حاجة وإني لمسكين إلى الله راغب

و"التلدد": التبختر، وأصله من اللديدين، وهما صفحتا العنق، فمعنى التلدد أن

ينظر الإنسان يمينًا وشمالاً فيثني لديديه، واللديدان: جانبا الوادي، فكأن معنى التلدد: أن ينظر الإنسان في هذا الشيء مرة، وفي هذا الشيء مرة، و"نجد": بلد مرتفع، و"تهامة": منخفضة.

ومعنى "غصت": امتلأت، وكل شيء قد اختنق بشيء، فقد غص به، طعامًا كان أو غيره.

و"تهامة": اسم واقع على جزيرة العرب، ما بين "عدن" إلى أطراف الشام، في الطول، وأما في العرض: فمن جدة وما والاها من شاطئ البحر إلى أقصى العراق.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ما بين حصن أبي موسى، إلى أطوار الشام، إلى أقصى تهامة في الطول.

وأما في العرض: فما بين رمل "ببرين"، إلى منقطع "السماوة"، إلى ما وراء "مكة".

قال: وما دون ذلك إلى أرض العراق فهو "نجد" بفتح النون وتسكين الجيم. وهذيل يقولون: "نُجدُ" بضم النون والجيم، كأنهم جمعوا نجدًا: أنجادًا، ثم جمعوا أنجادًا على نُجُد، قال الشاعر:

نَذُق برد نجد بعدما لعبت بنا تهامـــــة في حَمَّامهـــا المتوقد

وقال الراجز في اللغة الأخرى:

يومًا تهامي، ويومًا بالنُّجُد

وقوله: "غصت تهامة بالرحال" جملة في موضع الحال نصبًا، والباء في قوله: "بالرحال" متعلقة بغصت.

يقول: كيف أقيم بنجد، وقد نهض الناس إلى تهامة، فيجب أن أنهض إليها، كما نهضوا.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٤٦- فما أنا والسير في مَتْلَف يُبَرِّح بالذكـــــر الضابـــط

هذا البيت لأسامة بن حبيب، وقال السكري: هو أسامة بن الحارث بن حبيب الهذلي، ويكنى: أبا سهم.

و"أسامة": اسم منقول من الأسد، ويجوز أن يكون مشتقًا من الوسم، وهو: أثر الكي.

وقال غيره: من الوسامة، وهي الحسن والجمال، والهمزة مبدلة من الواو، كما أبدلت في أجُوه وأقّتَتْ.

و"الحارث وحبيب": اسمان منقولان، قد تقدم ذكرهما.

وأما "هذيل": فيمكن أن يكون تصغير "هذلول" على وجه الترخيم، وأن يكون أيضًا تصغير "مهذول" على جهة الترخيم، وهو المضطرب.

قال الراجز:

يعلو الهذاليل ويعلو القرددا

وهذاليل الرياح: أواخرها، واحدها: هذلول، قال الراجز:

أما يزال قائل أِبنْ أَبِنْ هوذلة المشآة عن ضرس اللبن

وأما "السهم": فيكون الذي يرمَى به عن القوس، ويكون: النصيب من الشيء، ويكون الغلبة في المساهمة، وهي: المقارعة، يقال: ساهمته فسهمته، والسهم: القدح الذي يقارع به، والسهم: مقدار ستة أذرع في المساحة، والسهم: أيضًا أن يصيب الرجل السهام فيضربه، وهو وهج الصيف، يقال فيه: سُهِم الرجل.

و"المتلف" -بفتح الميم وكسرها-: القفر الذي يتلف فيه كل من سلكه، و"يبرح": يكلفه البرح، وهو المشقة.

وأراد "بالذّكر": الذكر من الإبل؛ لأنه أقوى على السير من الناقة، فإذا برح بالجمل، كان أحرى أن يبرح بالناقة.

و"الضابط": القوي، والأضبط: الذي يعمل بيديه جميعًا.

وقوله: "فما أنا والسير": يسفه نفسه، وينكر عليها السفر في مثل هذا المتلف، الذي يهلك الإبل، وإنَّما قال هذا، لأن أصحابه سافروا إلى الشام ومصر، وأرادوا منه النهوض معهم، فأبى، وقال هذا الشعر.

وبعد هذا البيت:

ويا البُزْل قد دَمَّها نيُّها وذات الْمـــدارأة العائط
ومـــا يتوقـــين مـــن حَرَّةٍ وما يتجاوزن من غائط
ومِنْ أينها بعـــد إبدانها ومن شحم أثباجها الهابط
تصيح جنادبـــــه رُكَّدًا صياح المسامير في الواسط

فهن على كــل مستوفزٍ وقوع الدجاج على الحائط
وإلا النعَــامُ وحفَّانــــه وطَغيًا من اللهق الناشط
إذا بلغوا مصرهم عوجلوا من الموت بالهميغ الذاعط
من المربعــين ومن آزل إذا جنّه الليل كالناحط
عصاك الأقارب في أمرهم فزايــل بأمرك أو خالط
ولا تسقــطن سقوط النــوا ة من كف مُرْتَضِخٍ لاقِطِ

ومعنى "دمها": طلاها وعلاها، و"الني": الشحم. و"المدارأة": المدافعة، يريد الناقة التي تناطح الإبل في سيرها، لنشاطها وقوتها كما قال النابغة:

يَزُرْنَ إلالاً سيرهن تَدَافُع

و"العائط": التي لَم تحمل أعوامًا، فهو أقوى لها، و"الحرة": كل أرض سوداء كثيرة الحجارة، و"الغائط": المنخفض من الأرض، و"الأين": الإعياء، و"الأثباج": الأوساط، جمع ثبج، وثبج كل شيء: وسطه. و"الهابط": الذي يذوب، فيسيل من التعب، و"الجنادب": الجراد، و"الركدة": -جمع راكد- الثابتة: وأراد بـــ"الواسط": واسط الرحل، وهو موضع القربوس، والهاء في "جنادبه" تعود على المتلف و"المستوفز": المكان المرتفع، و"الدجاج" هاهنا: الديوك، و"الحفان" -بكسر الحاء وفتحها-: صغار النعام.

قال الفارسي: كان الأصمعي يروي "طُغْياً" -بضم الطاء- على مثال: "حُبلى". وروى أحمد بن يحيى ثعلب: طَغيا -بفتح الطاء- على مثال: سكرى، وهي البقرة.

وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى، "وطغيا" -بفتح الطاء والتنوين- وكذلك رواه أبو عمرو الشيباني، قالا: وهو الصواب، يقال طغى يطغى طغيًا. ويكون للناس والبهائم.

ومن رواه هكذا، روى "من اللهق" أي: صوتًا من اللهق، وهو الثور الأبيض، ومن لَم ينون، وجعله اسمًا مقصورًا فإنه يروى: "مع اللَّهَق".

وقال الأصمعي: "الطغيا": الصغيرة من بقر الوحش، و"الحفان": النعام، ويقال: إناثها.

و"الناشط": الذي يخرج من موضع إلى موضع، ولا يستقر.

و"الهميغ": الموت السريع، و"الذاعط": الذابح، وإنَّما قال هذا لأن الشام ومصر كثيرتا الوباء.

و"المربع": الذي تأخذه حمى الربع، و"الآزل": الذي ضاق عليه أمره، وساءت حالته.

و"الناحط": الذي يعتريه النحط، وهو الزفير، أراد: أن يثبطهم بذلك عن السفر.

و"المرتضخ": الذي يدق النوى للإبل، ويروى: مرتحض -بالحاء المهملة والضاد المعجمة- وهو الذي يغسل النوى، ويقال: أرحضت الثوب، وارتحضته إذا غسلته.

يقول لنفسه: عصيت عشيرتك في البقاء، وتركت السفر معهم، فلا تنزلق في رأيك بالنهوض معهم، فتكون بمنزلة النواة الساقطة من كف المرتضخ.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٤٧- وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرُّما

هذا البيت لحاتم بن عبد الله الطائي ويكنى: أبا عدي بابنه، وأبا سفانة بابنته.

و"العوراء": الكلمة القبيحة، يقال: عورت الرجل، إذا قبحته، قال طرفة:

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالمة العينين طالبة عُذْرَا

وهذا من إحكام صنعة الشعر، ومقابلة الألفاظ بما يشاكلها، ويتمم معانيها، وذلك أنه لمَّا كان القبيح شبيه بالأعور العينين، سمي ضده بسالم العينين، ويشبه هذا في تتميم المعاني بما يليق بِها قول الأخطل يهجو يربوع بن حنظلة:

تسد القاصعاء عليك حتى تُنَفِّقَ أو تموت بِها هزالا

لِمَا كان المهجو بهذا المعنى يسمى يربوعًا أتم المعنى، فاستعار له قاصعاء، ونافقاء، ونظيره أيضًا قوله في قصيدة أخرى:

سمونا بعرْنين أشم وعارض لنمنع ما بين العراق إلى البِشْر

وإنَّما جرت العادة أن ينسب الشمم والعرنين إلى الأنف، فيقال: شمم بأنفه، فلما احتاج إلى زيادة عضو آخر زاد العارض، إذ العارض يقرب من العرنين؛ ولأنه قد يقال: لَهزه يلهزه، إذا وكزه في لهزمته، فنسب اللهز إلى العارض لقربه من العرنين، كما ينسب الرَّغْم إلى الأنف، ومثل هذا لا يتنبه له إلا الحاذق العارف بمقاطع الكلام، ومن هذا النوع قول المعري:

جلا فرقديه قبل نوح وآدم إلى اليوم لَم يُدعيا في القَراهِب

لِمَا كان "الفرقد" الذي هو الكوكب، قد وافق الفرقد الذي هو ولد البقرة الوحشية في الاسم، وكان ولد البقرة إذا طال عليه الزمان زال عنه اسم الفرقد سمي قرهبًا، وهو: الثور المسن، استعار ذلك للكوكب، تشبيهًا وتتميمًا للمعنى، وإجادة للصنعة والمعنى. وبعد بيت حاتم:

ولا أخـــذُل المولى وإن كـــان خَاذلاً
ولا أشتم ابن العم إن كـــان مغرما
ولا زادني عنه غِنـــاي تباعـــداً
وإن كان ذا نقص من المال مصرما
أَهُنْ للذي يهوى التـــلاد فـــإنه
يكون إذا مـــا مت نهباً مقسمـــا
ولا تشقين فيـــه فيسعـــد وارث
به حين تغشى أغبر اللـــون مظلما

وشعر حاتم معظمه في الكرم، والحض على مكارم الأخلاق والشيم، ومن طريف أخباره أن رجلاً يعرف بأبي خيبرى مر بقبره مع أصحاب له، فباتوا قريبًا من القبر، فجعل أبو خيبرى يقول: يا أبا عدي أَقرِ أضيافك. ثم نام وانتبه مذعوراً يصيح: واراحلتاه. فقال له أصحابه: ما شأنك؟

فقال: رأيت في منامي حاتمًا قد خرج من قبره، وبيده سيف مسلول فعرقب به ناقتي.

فقاموا إلى راحلته فوجدوها لا تنبعث ولا تقدر على القيام.

فقالوا: الله لقد قراك حاتم، فنحروها، وظلوا يأكلون من لحمها، فلما أرادوا أن يمشوا أردفوه.

فبينا هم كذلك يسيرون إذ طلع عليهم عدي بن حاتم، ومعه جمل أسود قد قرنه إلى بعيره، فقال: إن أبي جاءني في المنام، يذكرني شتمك إياه، وأنه قراك وأصحابك براحلتك، وأمرني أن أدفع إليك عوضها، فخذ هذا الجمل وأنشد أبياتًا:

أيـــا خيبرى وأنت امـــرؤٌ حســـود العشيرة لَـــوَّامُها
أتيت بصحبك تبغي القِـــرى لدى جفرة قد صَدَت هـــامها

أتبغـــي أذاهـــا وإعسارهـــا وحـــولك طَـــيٌّ وأنعـــامهـــا

وأنشد أبو القاسم في باب "مواضع من":

١٤٨- فكفى بنا فضلاً على من غيرنـــا حب النَّبِي محمد إيـــانـــا

هذا البيت لكعب بن مالك الأنصاري.

و"كعب": اسم منقول من كعب الإنسان، والكعب: القطعة من السمن، وكعب الرمح: عُقْدته، قال النابغة:

ولا يُشعر الرمح الطويل كعوبه

و"مالك": اسم منقول أيضًا، وقد تقدم القول فيه.

والباء في قوله: "بنا" زائدة، ولا تتعلق بشيء، والتقدير: فكفانا فضلاً، "وفضلا": منصوب على التمييز.

وأنشد أبو القاسم في باب "القول":

١٤٩- أما الرحيل فدون بعد غَد فمتى تقول: الدار تجمعنا؟

هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة ويكنى: أبا الخطاب، وقد تقدم كلامنا في اسمه، فأغنى.

و"تجمعنا": في موضع نصب على المفعول الثاني لتقول، وقبله:

قـــال الخليل غدًا تُصَدّعُنـــا أو شَيْعَـــه فمتى تشيعنـــا؟

أراد بشَيْعِهِ: اليوم الذي بعده.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٥٠- متى تقول: القُلُصَ الرواسمـــا يُدنين أمَّ قـــاسمٍ وقاسما؟

هذا البيت لهدبة بن الخشرم العذري.

والصواب: أم حازم وحازما.

و"أم حازم": أخت زيادة بن زيد العذري، و"حازم" ابنها.

وكان هدبة بن خشرم، وزيادة بن زيد -وهما ابنا عم- قد جمعهما سفر، وهم حجاج، ومع هدبة أخته فاطمة، فاعتقبوا سوق الإبل، فنـــزل زيادة بن زيد، وجعل يقول -وهو يحدو الإبل-:

عوجي علينا واربعي يا فاطما ما دون أن يرى البعير قائما

وهي أبيات كثيرة، فلما سمعه هدبة يتغزل بأخته غضب، ونـــزل عن بعيره،

وجعل يحدو، ويقول:

لقد أراني والغلام الحازما نزجي المطي ضُمَّرًا سواهما
متى تقول الزُّبلَ السواهِما والجلة الناجية العَياهِما
يبلغن أم حازم وحازما إذا هبطن مستحيرًا قاتما
وَرجَّعَ الحادي لَهَا الهماهما أرجفن بالسوالف الجماجما
تسمع للمرو به القماقما كما يُطِنُّ الصيرف الدراهما
ألا ترين الدمع مني ساجما حَذَارَ دار منك أن تلائما
والله لا يشفى الفؤاد الهائما تمساحُنا اللبات والمآكما
ولا اللّمَام دون أن تلازما ولا اللزام دون أن تُفاقِما
ولا الفِقَامَ دون أن تُفاغِما وتركب القوائم القوائما

فغضب زيادة، وكان بينهما شر، فكان ذلك سببًا أدى هدبة إلى قتل زيادة، ثم قُتِل هدبة.

ومعنى "نزجي": نسوق برفق، و"المطي": الإبل، و"السواهم": المتغيرة من السفر، و"الزبل": الضوامر، و"الرواسم": التي ترسم في الأرض، أي: تؤثر فيها بأخفافها، و"الجِلّة": الكبار من الإبل، واحدها: جليل.

و"الناجية": السريعة، و"العياهم": الحسنة الخلق.

و"المستحير": القفر الخالي الذي يحار فيه، و"القاتم": الكثير القتام، وهو الغبار، و"الحادي": الذي يحدو الإبل، أي: يسوقها، و"الهماهم": الأصوات، وترجيعها : تكريرها.

ومعنى: "أرجفن"، و"السوالف": صفحات الأعناق، و"الجماجم": الرءوس، و"المرو" الحجارة، و"القماقم": الأصوات، و"المآكم": رءوس الأوراك، و"اللبات": موضع الحلي، و"اللمام": الزيارة، و"اللّزام": المعانقة، و"الفقام"، والمفاقمة: التقبيل، ووضع الفم على الفم، و"المفاغمة": شم الرائحة الطيبة، ولا يكون إلا في الرائحة الطيبة.

و"القلص": جمع قلوص، وهي: الفتية من الإبل.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٥١- سمعت الناس ينتجعون غيثًا فقلت لَصَيْدَح انتجعي بلالاً

هذا البيت لذي الرمة، يمدح به بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

ومعنى "ينتجعون": يقصدون ويطلبون.

و"الغيث": يكون المطر، ويكون النبات الذي ينبت عنه، وهو من تسمية الشيء باسم الشيء، إذا كان منه بسبب، قال زهير:

وغيث من الوَسْمِيِّ حُوٌّ تلاعه أجابت روابيه النجاء هواطله

و"صيدح": اسم ناقته.

ويروى أن بلالاً، لما سمع هذا البيت، قال: يا غلام مُرْ له بقتٍّ ونوى، أراد أن ذا الرمة لا يحسن المدح، والقتُّ: الرطب من الشعير.

ويروى: "الناس" بالرفع والنصب، فمن رفع فعلى الحكاية، ولم يسمع هو ذلك، وإنَّما سمع قائلاً يقول: الناس ينتجعون غيثًا، فحكى ما سمع.

ومن نصب "الناس" فهو الذي يسمع ذلك منهم.

ويجب أن يكون في الكلام مضاف محذوف، كأنه قال: سمعت قول الناس؛ لأن الأشخاص لا تسمع، وإنَّما يسمع أصواتها وكلامها، فإذا قلت: سمعت زيدًا، يقول كذا، فإنَّما التقدير: سمعت كلام زيد، و"يقول": جملة موضعها نصب على الحال، وكذلك "ينتجعون" في رواية من نصب "الناس".

وزعم الفارسي في "الإيضاح" أن "سمع" يتعدى إلى مفعول واحد، إذا كان مما يسمع، كقولك: سمعت كلام زيد.

وإن كان مما لا يسمع تعدى إلى مفعولين، كقولك: سمعت زيدًا يقول كذا وكذا، فتقديره عنده في موضع المفعول الثاني.

وهذه من مسائله التي غلط فيها؛ لأن "سمعت" لو كان مما يتعدى إلى مفعولين لَم يخل أن يكون من باب ما يتعدى إلى مفعولين، لا يجوز السكوت على أحدهما، وهو من باب "ظننت" وأخواتها، أو يكون من باب ما يجوز فيه السكوت على أحد المفعولين، وليس في العربية باب آخر له حكم ثالث.

فلا يجوز أن يكون من باب "ظننت"؛ لأنهم قد عدّوه إلى مفعول واحد، فقالوا: سمعت كلام زيد.

ولا يجوز أن يكون من باب "أعطيت"؛ لأن باب "أعطيت" لا يجوز أن يكون المفعول الثاني فيه إلا اسمًا محضًا، ولا يجوز أن يقع موقعه فعل، ولا جملة، وأنت

تقول: سمعت زيدًا يتكلم، وسمعت زيدًا وهو يتكلم، فتأتي بعده بفعل، أو بجملة.

فإذا بطل أن يكون "سمعت" من باب "ظننت"، ومن باب "أعطيت"، ثبت أنه مما يتعدى إلى مفعول واحد، وأنك إذا قلت: سمعت زيدًا يقول: فـ"يقول" في موضع الحال، لا في موضع المفعول الثاني، وإن تقديره: سمعت كلام زيد يقول، فتكون حاسة السمع بمنـزلة الحواس الخمس في تعديها إلى مفعول واحد، كقولك: أبصرت الرجل، وشممت الطيب، وذقت الطعام، ولمست الشيء، وبعد بيت ذي الرمة:

تُناخي عند خير فتى يمان إذا النكباء ناوحت الشمالا

و"النكباء": ريح تهب بين مهبي ريحين.

ومعنى "ناوحت": قابلت، و"الشمال": الريح الجوفية، وإنَّما تناوح النكباء، في أيام البرد والشتاء، فمدحه بالكرم في ذلك الوقت.

وأنشد أبو القاسم في باب: "حكايات النكرات بمن":

١٥٢- أتوا ناري فقلت: منون أنتم؟ فقالوا: الجن، قلت: عموا ظلاما

ثم ذكر أن بعض الناس يغلطون في هذا الشعر، ويروونه: "عموا صباحًا"، وجعل دليله على ذلك ما رواه عن أبي دريد، عن أبي حاتم، عن أبي زيد، ثم أنشد القطعة:

ونارٍ قد حَضَأْتُ بُعَيد وهن بدار ما أريد بِها مُقَاماً
سوى ترحيل راحلة وعين أكالئها مخافة أن تناما
أتوا ناري فقلت: منون أنتم؟ فقالوا: الجن، قلت: عموا ظلاما
فقلت: إلى الطعام، فقال منهم زعيم: نحسد الإنس الطعاما
لقد فُضِّلتُمُ بالأكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

ولم يقع هذا البيت الأخير في جميع النسخ، ويروى:

أمط عنا الطعام فإن فيه لآكله النغاصة والسقاما

وقد صدق أبو القاسم -رحمه الله- فيما رواه عن ابن دريد، ولكنه أخطأ في تخطئته رواية من روى: "عموا صباحًا"؛لأن هذا الشعر الذي أنكره، وقع في كتاب "سد مأرب"، ونسبه واضع الكتاب إلى جذع بن سنان الغساني في حكاية طويلة، وزعم أنَّها جرت له مع الجن، وكلا الشعرين أكذبة من أكاذيب العرب، لَم تقع قط.

فمنهم من يرويه على الصفة التي ذكرها أبو القاسم -رحمه الله تعالى- عن ابن

دريد، ومنهم من يرويه على ما وقع في كتاب "سد مأرب".

والشعر الذي على قافية الميم، ينسب إلى شمير بن الحارث، وينسب إلى تأبط شرًّا، وأما الشعر الذي على قافية الحاء، فلا خلاف أنه لجذع بن سنان الغساني، وهو:

أتوا ناري فقلت: منون أنتم؟ فقالوا: الجن، فقلت عموا صباحا

نزلت بشعب وادي الجن لـمَّا رأيت الليل قد نشر الجناحا

أتيتهم وللأقدار حَتْمٌ يلاقي المرء صبحًا أو رواحًا

أتيتهم غريبًا مستغيثًا رأوا قتلي إذا فعلوا جُنَاحا

أتوني سافرين فقلت: أهلاً رأيت وجوههم وسماً صِباحا

أتاني قاشر وبنو بنيه وقد جن الدجى والنجم لاحا

نحرت لهم وقلت: ألا هلموا كلوا مما طهيت لكم سماحا

فنازعني الزجاجة بعد وهن مزجت لهم بِها عسلاً وراحا

وحذرني أمورًا سوف تأتي أهز لها الصوارم والرماحا

سأمضي للذي قالوا بعزم ولا أبغي لذلكم قِداحا

أسأت الظن فيه ومن أساء بكل الناس قد لاقى نَجاحا

وقد تأتي إلى المرء المنايا بأثواب الأمان سدًى صُرَاحا

سيبقى حكم هذا الدهر قومًا ويهلك آخرون به ذُبَاحا

أثعلبة بن عمرو ليس هذا أوان السير فاعتدَّ السلاحا

ألم تعلم بأن الذل موت يتيح لمن ألم به اجتياحا؟

ولا يبقى نعيم الدهر إلا لقرم ماجد صدق الكفاحا

ونحن نفسر الشعرين جميعًا، ونذكر ما فيهما من الغريب.

فمعنى "حضأت": أشعلت، وأوقدت، ويقال للعود الذي تحرك به النار: "محضًا"، على وزن "مَفْعَل".

و"الوهن"، والموهن: نحوٌ من نصف الليل.

و"ترحيل -الراحلة": إزالة الرحل عن ظهرها، والرحل للإبل: كالسرج للخيل، و"والراحلة": التي تتخذ للركوب والسفر، سميت بذلك لأنَّها ترحل براكبها، ومعنى أكالئها: أحرسها وأحفظها؛ لأن لا تنام.

وكان المفضل يروي: "وعير" -بالراء- وقال: العير إنسان العين، ومنه قيل في المثل: "لقيته قبل العير وما جرى"، أي: قبل أن ينتبه منتبه من نومه، ويقلب عير عينيه، و"ما" مع "جرى": في تقدير المصدر، فكأنه قال: قبل عير وجريه. ويروى:

أتوا ناري فقلت منون؟ قالوا: سَراةُ الجن، قلت: عموا ظلاما

و"سراة الجن": أشرافهم، واحدهم: سري، وارتفاعهم على خبر المتبدأ المضمر، كأنه قال: نحن سراة الجن.

ومعنى "عموا": أنعموا، يقال: عِم صباحًا، وعم صباحًا -بكسر العين وفتحها- ويقال: وعم يَعِم، على مثال: وعد يَعِد، ووَعِم -بكسر العين- يَعِم، على مثال: ومق يمق.

وذهب قوم إلى أن "يعم" محذوف من ينعم، وقالوا: إذا قيل: يَعَم -بفتح العين- فهو محذوف من ينعم المفتوح العين.

وإذا قيل: يَعِم بكسر العين، فهو محذوف من ينعِم مكسور العين.

وحكى يونس، أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحًا دار عبلة واسلمي

فقال هو: من نَعِم المطر، إذا كثر، ونعم البحر، إذا كثر زبده، كأنه يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير.

وقال الأصمعي، والفراء في قولهم: عِم صباحًا: إنَّما هو دعاء بالنعيم والأهل، وهذا هو المعروف، وما حكاه يونس نادر غريب.

و"ظلامًا" ينتصب على وجهين:

أحدهما: الظرف، كأنه قال: انعموا في ظلامكم.

والثاني: على التمييز المنقول عما كان في أصله فاعلاً، ثم نقل الفعل منه إلى غيره، فنصب، كأنه أصله: لينعم ظلامكم، ثم نقل الفعل عن الظلام إليهم، وهذا من باب: ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ [مريم: ٤]، وتفقأت شحمًا.

فإن قيل: كيف جاز أن يقول لهم: عموا صباحًا، وهم في الليل، وإنَّما يليق هذا الدعاء لمن يلقى في الصباح دون المساء؟.

فالجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أن الرجل إذا قيل له: عم صباحًا، فليس المراد أن ينعم في الصباح دون المساء، كما أنه إذا قيل: أرغم الله أنفه، وأحيا الله وجهه، فليس المراد به الوجه والأنف، دون سائر الجسد، وكذلك إذا قيل: أعلى الله كعبك، وإنَّما هي ألفاظ ظاهرها الخصوص، ومعناها العموم، ومثله قول الأعشى:

الواطئون على صدور نعالهم يمشون في الرقميِّ والأبرادِ

والوطء لا يكون على صدور النعال دون سائرها.

والوجه الثاني: أن يكن معنى أنعم الله صباحك: أطلع الله عليك كل صباح بالنعيم؛ لأن الصباح والظلام نوعان، والنوع يسمى كل جزء منه بما تسمى به جملته.

وقوله: "فقلت إلى الطعام" ، "إلى" متعلقة بفعل محذوف، وهو في حكم الظاهر، فلذلك لَم يكن له موضع من الإعراب، كأنه قال: هلموا إلى الطعام.

وأما "منهم": فموضعه نصب على الحال، تقديره : فقال زعيم الجن منهم، فلو كان هكذا، لكان المجرور في موضع الصفة "لزعيم"، فلما قَدَّم صفة النكرة عليها صارت حالاً.

وقوله: "تحسد": في موضع الصفة لزعيم، و"زعيم القوم": رئيسهم، والزعامة: الرياسة، قال لبيد:

تطير عدائد الأشراك شفعًا ووترًا والزعامــة للغـــلام

و"فينا" بمعنى: علينا، قال الله تعالى: ﴿ **وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ [طه: ٧١]. وهي متعلقة بُفضِّلتم، وكذلك الباء، ولا موضع لهما من الإعراب، لتعلقهما بظاهر.

وأما قول جذع بن سنان: "نــزلت بِشِعْب وادي الجن"، فإن "الشِّعْب": الطريق في الجبل.

وقوله: "رأيت وجوههم وسِمًا صباحًا"، فالوسم: جمع وسيم، وهو الذي عليه سمة الجمال، وكذلك "الصبَّاح": واحدهم: صبيح، شبهه بالصباح في إشراقه.

و"طهيت": طبخت، يقال: طهيت اللحم، وطهوته، فأنا طاه، وقوله: "لا أبغي لذلكم قداحًا"، أي: أطلب ضرب القداح، لأنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر ضربوا بالقداح، فإن خرج القدح الذي عليه مكتوب "افعل" فُعل الأمر، وإن خرج الذي عليه "لا تفعل" لَم يفعله.

وقوله: "أسأت الظن فيه" يقول: أسأت الظن بضرب القداح، والتعويل على ما يأمر به الجن، وينهى عنه، وعلمت أن ما أمرتني الجن به أحرى بأن لا أعول عليه.

وهذا نحو ما فعل امرؤ القيس بن حُجْر.

وذلك أن بني أسد لـمّا قتلوا أباه جَيَّش جيشًا، وعزم على غزوهم.

فقيل له: لا تنهض حتى تشاور "ذا الخلصة"، وكان صنمًا باليمن يستقسم عنده بالأزلام.

فأتى إليه ونـزل عن فرسه، وسجد بين يدي الصنم، وشكا إليه بني أسد، وقتلهم لأبيه، وأنه يريد أن يغزوهم.

ثم قال للسادن: أَجِل القدح فأجالها، فخرج السهم المكتوب عليه: "لا تفعل".

فقال له السادن: قد نهاك ربك عن الغزو.

فانصرف، فسجد ثانية، وأكد الرغبة، وقال للسادن: أجل القداح،فأجالها، فخرج الذي عليه: "لا تفعل"، فسجد ثالثة، وأجال القداحَ السادنُ، فقال: لا تفعل.

فقال امرؤ القيس: ناولني القداح، فناوله إياها، فقال:

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا دوني وكان شيخك المقبورا

لَم تنه عن قتل الأعادي زورا

ثم كسر القداح، وضرب بِها وجه الصنم، ونهض لطيته، ولم ينثن عن وجهته، وظن الناس أنه سيهزم، وواقع بني أسد، ورجع من سفره سالمًا غانمًا، فهان على الناس أمر الصنم، وبات عُطْلاً لا ينهض إليه أحد، حتى جاء الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فهدمه.

وقوله: "سدى صراحًا": "السدى": المهملة التي لا يردها أحد، والصراح: الظاهرة.

و"الذباح" -بضم الذال-، نبات يقتل من أكله، ويسمى: الذبح أيضًا، قال الراجز:

يسقيهم من خِلَل الصِّفاح كأسًا من الذِّيفان والذباح

ومن روى "ذباحًا" -بكسر الذال-، جعلها جمع ذبيح.

وقوله "يتيح لمن ألم به اجتياحًا"، أي: يقدر ويجلب.

يقال: أتاح الله كذا، أي: قدره.

و"ألم": نـزل، و"الاجتياح": الاستئصال.

و"القرم": السيد، وأصله الفحل من الإبل.

و"الكفاح": ملاقاة الأعداء.

وأنشد أبو القاسم في باب: "ماذا":

١٥٣- ألا تسألان المرء ماذا يحاول أَنَحْبٌ فَيُقْضَى، أم ضلالٌ وباطلُ؟

هذا البيت للبيد بن ربيعة العامري، وقد تقدم الكلام في اسمه.

و"النحب": ما ينذره الإنسان على نفسه، ويوجب عليه فعله على كل حال، وإنَّما ذكر شدة رغبة الإنسان في الدنيا، وحرصه عليها، فقال:

اسألوه عن هذا الأمر الذي هو فيه: أهو نذره على نفسه، فرأى أنه لا بد من فعله، أو هو في ضلال، وباطل من أمره؟.

و"ما" في موضع رفع، بالابتداء، و"ذا" خبره، و"يحاول" من صلة "ذا"، وهو بمعنى الذي، كأنه قال: أي شيء الذي يحاوله؟

وقوله: "أنحب" يرتفع على البدل، فموضع "ما" رفع على كل حال.

ومن اعتقد أن قوله: "أنحب" مرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمر، كأنه قال: أهو نَحْب، جاز أن تكون "ما" مرفوعة الموضع، وجاز أن تكون منصوبة الموضع، و"يُقْضَى" في موضع نصب على جواب الاستفهام.

وهذا البيت: أول قصيدة للبيد يذم فيها الدنيا، ويحض على الزهادة فيها، وبعده:

حبائلـه مبثوثـة بسبيلـه ويَعْيَا إذا ما أخطأته الحبائـل

وكل امرئ يومًا سيعلم سعيه إذا حصلت عند الإله المحاصـل

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفـرُّ منها الأنامـل

وأنشد أبو القاسم في باب: "الصلات":

١٥٤- تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

هذا البيت للفرزدق، من شعر زعم فيه أنه نزل في بعض مناهله، فرأى الذئب ناره، فأتاه، وذكر أنه أطعمه من زاده قال:

وأطلس عَسَّالٍ وما كان صاحبا دعوت لناري موهنًا فأتاني

فلما أتى قلت: ادن دونك إنني وإيـاك في زادي لمشتركان

فَبِتُّ أُقَــدُّ الزاد بيني وبينــــه | على ضوء نار مرة ودخـــان
فقلت له- لمّا تكشر ضـــاحكًا | وقائم سيفي من يدي بمكان
تعشَّ فإن عَـــاهدتني لا تخونني | تكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما | أخيين كانا أرضـــعا بلبـــان
ولو غيرنا نَبَّهْتَ تلتمس القِـــرَى | رماك بسهم أو شَبَاةِ سنَــان

وقوله: "وأطلس"، أي: ورب ذئب أطلس، و"الأطلس": الأغبر اللون، قال الراجز يصف ذئبًا:

بَهْـــمُ بني محـــارب من داره | أطلـــس يخفي شخصه غباره
في شـــدقه شفـــرته ونـــاره | ممشاه ممشى الكلب وازدجاره
هو الخبيث عينــه فــرَاره

"العسال": الذي يضطرب في مشيه.

وقوله: "دعوت لناري" يقول: لِمّا رأى ناري أقبل إليّ، وكأن النار دعته، ويروى: "رفعت لناري" وهذا من المقلوب كما يقال: أدخلت الخاتم في أُصبعي، وإنَّما الوجه: أدخلت أصبعي في الخاتم، وكذلك الوجه: رفعت له ناري، وفيه قوله: "ادْنُ" أمر بالقرب، وقوله: "دونك": أمر بالأكل.

ومعنى "أقد": أقْطَعُ، ومعنى "تكشر": تكشفت أسنانه.

وقوله: "لا تخونني": جملة في موضع نصب، على الحال، أي: إن عاهدتني غير خائن، وأراد: مثل من يصطحبان يا ذئب، ففرق بين الصلة والموصول ضرورة،، وإنَّما قال: "وأنت امرؤ"، وهذا الاسم إنَّما يقع على من يعقل؛ لأنه أجراه مجرى من يعقل، في أن خاطبه، وكلمه، وطلب منه المعاهدة، فأجراه أيضًا مجرى العاقل المميز في أن سماه امرأ.

و"شباة السنان": حده.

وإنَّما احتذى الفرزدق في هذا الشعر: قول امرئ القيس بأنه وصف ذئبًا وكلمه ودعاه إلى الصحبة، ويروى للنجاشي، وهو قوله:

وماء كلـــون البـــول قد عاد آجنا
قليل به الأصـــوات في كــــلأ مَحْلِ

لقيت عليــه الذئب يعــوي كأنه
خليعٌ خــلا من كل مال ومن أهل
فقلت لــه: يا ذئب هل لك في أخ
يــواس بــلا أُثْــرى ولا بخــل
فقــال: هـــداك الله إنك إنَّما
دعـــوت لِمَا لَم يأته سبعٌ قبلي
فلست بآتيـــه ولا أستطيعــــه
ولاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

أراد: ولكن، فحذف النون لالتقاء الساكنين ضرورة.

وأنشد أبو القاسم في باب: "التكسير":

١٥٥- وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم   خُضُعَ الرقاب نواكس الأبصار

هذا البيت للفرزدق، من شعر يمدح به يزيد بن المهلب، يقول فيه:

وإذا النفوس جشأن طأمن جأشها   ثقــةً بِهــا لحمايــة الأدبــارِ
مــا زال مــُذْ عقدت يداه إزاره   فما أدرك خمســة الأشبــار
يدني كتائب من كتــائب تلتقي   للطعن يوم تجــاول وغِــوَار

وقد مضى كلامنا في هذا الشعر.

ومعنى : "جشأن": ارتفعن من الصدور، وهممن بالخروج من الفزع، كما قال الله تعالى: ﴿**وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾ [الأحزاب: ١٠]، وقال ابن الإطنابة:

وقولي كلما جشأت وجاشت   مكانك تُحمدي أو تستريحي

و"طأمن": سكن.

وجمع "ناكسًا" على "نواكس"، وكان القياس أن يقول: نِكاس أو نُكُس، فكأنه حمله على تأنيث لجمع الذي ثالثه ألف، وبعده حرفان، أو ثلاثة لا يتهيأ تكسيره؛ لأنه نهاية التكسير، وأراد جمعه، فلم يمكنه ذلك، إلا بأن يجمعه جمع السلامة؛ لأنه لا يغير الاسم عن لفظه، كما قال الأول:

فهـــن يَعْلُكْـــن حدائـــداتِها

ونصب "خضع الرقاب" على الحال؛ لأن إضافته غير محضة، وكذلك إضافة

"نواكس"؛ لأن المعنى: خضعًا رقابهم، نواكس أبصارهم.

وأنشد أبو القاسم في باب: "تكسير ما كان على فعلة":

١٥٦- ولما رأونـــا باديًا رُكُبَاتُنَــا على حالة لا يخلط الجد بالهزل

هذا البيت لا أعلم قائله.

ويروى: "ركباتنا" بضم الكاف وفتحها.

وقوله: "لا نخلط الجد بالهزل" جملة في موضع نصب على الحال، كأنه قال: غير خالطين الجد بالهزل.

ويجوز أن تكون في موضع خفض على الصفة لموطن، ولا يستقيم ذلك إلا بأن تقدر في الجملة ضميرًا عائدًا على الموطن، كأنه قال: لا نخلط فيه الجد بالهزل؛ لأن الصفة يلزم أن يكون فيها ضمير يعود إلى الموصوف، فهي على هذا صفة جرت على غير من هي له، واستتر الضمير، لأن الفعل يتضمن ضمير الأجنبي، كما يتضمن غير الأجنبي، ولو صيرتها صفة محضة لقلت: على موطن غير خالطٍ نحن فيه الجد بالهزل، فبرز الضمير الفاعل، ولم يستتر.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

١٥٧- أما الإماء فــلا يدعونني وَلَداً إذا ترامى بنو الإِسْوَان بالعـــار

هذا البيت للقَتَّال الكلابي، واسمه: فيما ذكر أبو العباس المبرد: عبيد بن المضرحي، وقال غيره: اسمه عبد الله بن مجيب.

ويسمى القَتَّال؛ لأنه قتل ابن عم له، كان القتال يختلف إلى أخت له، ويجلس معها، فنهاه أخوها عن ذلك، فلم ينته، فقال له: والله لئن وجدتك في بيتها لأقتلنك.

ثم إنه أقبل يومًا فوجده عندها، فقال له: ألم أنهك عن هذا؟ فتناول الرمح، فخرج القَتَّال هاربًا بين البيوت، وهو يناشده الله ويذكره بالرحم، وابن عمه يلج في اتباعه، فوجد القَتَّال رمحًا مركوزًا عن بعض البيوت، فأخذه، وعطف عليه، وقتله، وتنادى الناس، وخرجوا من البيوت يتبعونه، فمر ببيت لابنة عم له، وهي تختضب بالحناء فأخذ قناعها وستر رأسه، وقال لها: ادخلي وراء الستر، فدخلت وجعل يختضب بالحناء، فبلغ القوم الخباء، فانقطع أثره، وظنوا المختضب زينب بنت عمه، فقالوا: أين الفاسق؟ فأشار بيده ذهب هكذا.

فركبوا ذلك الطريق الذي أشار إليه، وخرج هو، وهرب على طريق آخر، حتى أتى "عماية"، وهو جبل كثير الشعاب والأغوار، إذا دخل فيه الإنسان لَم يعلم له خبر، فأقام فيه سنة، حتى عفا عنه أولياء المقتول، وله في ذلك أشعار كثيرة، منها:

فمـــن مبلـــغ فتيان قومي أنني تسميت لـــمَّا شبت الحرب زينبا

وأرخيت جلبابي على نبت لحيتي وأبديت للنـــاس البنان المخضبا

وأما معنى البيت الأول: فإنه افتخر بأنه ابن حرة، فقال: لست أخشى أن يُعَيِّرني أحد بأني ابن أمة، إذا سب بعض الناس بعضًا بذلك.

وبعده:

لا أرضع الدهر إلا ثديَ واضحة لِوَاضِح الخد يحمي حوزة الجار

من آل سفيان أو ورقـــاء يمنعها تحت العجاجة ضرب غير عُوَّار

يـــا ليتني والمنى ليست بنافعة لمالـــك أو لحصن أو لسيـــّار

طِوَال أنضية الأعناق لَم يجدوا ريح الإماء إذا راحت بأزفـــار

ولم يرد بتمنيه أن يكون ابنًا لهم، ولا أنَّهم أشرف من أبيه وقومه، وإنَّما أراد: ليتني كنت منهم، فينصرونني ويعزونني، لأنه كان قاول رجلاً من قومه، فشتمه الرجل، فشكا إلى قومه، فلم يشكوه ولم ينصروه.

وأنشد أبو القاسم في باب: "أبنية الأفعال":

١٥٨- وكُومٌ تنعم الأضياف عينـــًا وتصبح في مباركها ثِقـــالاً

هذا البيت للفرزدق.

و"الكوم": الإبل العظام الأسنمة، الواحدة: كوماء، والذكر: أكوم.

وقوله: "تنعم الأضياف عينًا"، أي: تقر بِها عيون الأضياف؛ لأنهم يشربون ألبانها، ويقرون من لحومها.

ومعنى "وتصبح في مباركها ثقالاً": أراد: أن ما في أخلافها من اللبن يثقلها عن الحركة، كما قال أبو النجم:

تمشي من الدِّرَّة مشي الحَقِل مشي الروايا بالمزاد الأثقـــل

وقيل: إن معناها: أنَّها تبقى في مباركها إلى أن يرتفع النهار؛ لأن الرعي قبل طلوع الشمس يضر بالإبل، وفي الحديث: أنه نُهي غلام عن السَّوم قبل طلوع

الشمس.

و"السَّوم": مصدر سامت الماشية، إذا سرحت.

وقوله: "تنعم الأضياف عينًا" في موضع الصفة للكوم، وفي الكلام ضمير محذوف، كأنه قال: تنعم الأضياف عينًا بِها؛ لأن الصفة يجب أن يكون فيها ضمير عائد إلى موصوفها.

ويروى "الأضياف" بالنصب، فمن روى هكذا، أراد: تنعم بالأضياف، فلما حذف الباء نصب، كما قال:

أمرتك الخير فافعل ما أُمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

والمعنى على هذه الرواية: أن أهلها ينعمون عينًا بورود الأضياف، فنسب ذلك إلى الإبل، والمراد أصحابُها؛ لأن الإبل لا تنعم عيونُها بالأضياف، بل يعز عليها ذلك؛ لأنَّها تنحر عند ورودهم، فهي تكرههم وتكره أصحابَها.

وبعد هذا البيت:

حُوَاسات العشاء خُبَعْثِنَاتٍ إذا النكباء ناوحت الشمالا

وقال ابن الأعرابي:

"الحواس": الأكول الذي لا يشبع.

و"الخبعثن": الشديد من الإبل وغيرها.

وأنشد أبو القاسم في باب: "التصريف":

١٥٩- ألم يأتك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

هذا الشعر لقيس بن زهير العبسي. قاله فيما شجر بينه وبين الربيع بن زيادة العبسي.

وذلك أن أحيحة بن الجلاح، كان وهب لقيس درعًا يقال لها: "ذات الحواش"، فأخذها منه الربيع بن زياد، ولم يردها له فأغار قيس على ابن الربيع بن زياد، وأخذ له أربعمائة ناقة، وقتل رعاتها، وفر إلى مكة، فباعها من حرب بن أمية، وهشام بن المغيرة بخيل وسلاح، وقال في ذلك:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تُشرى بأدراع وأسياف حداد
وما كانت بفعلة مثل قيس وإن تك قد غدرت فلم تُفَاد

أخذت الدرع من رجـــل أبيٍّ ولم تَخْشَ العقوبة في المعــاد
ولولا صهره مني لكـــــانت به العثرات في سوء المقــــاد
جزيتك يا ربيع جـــزاء سوء وقد تجزى المقارض بالأيادي

وقوله: "والأنباء تنمي" يريد: شهرتها وسيرها في الناس حتى تصل، يقال: نَمِيَ الخبر لي، ينمي.

و"اللبون": الإبل ذوات اللبن، وهو اسم مفرد أراد به الجنس.

والباء في قوله: "بما لاقت" زائدة، كزيادتها في قوله تعالى: ﴿**وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٧٩].

أجرى "يأتيك" مجرى الأفعال الصحيحة، فحذف الضمة للجزم؛ لأنه إذا اضطر في غير جزم حركها بالضم.

وقول أبي القاسم -رحمه الله تعالى-: "إنَّها لغة" خطأ، وقد ذكرنا ذلك.

وأنشد أبو القاسم في باب: "شواذ الأدغام":

١٦٠-سوى أن العتاق من المطايا حَسَيْنَ به فهن إليه شوس

هذا البيت لأبي زبيد الطائي، واسمه: حرملة بن المنذر.

وقال ابن قتيبة: اسمه المنذر بن حرملة، وكان نصرانيًّا.

ويروى أنه كان يشرب يومًا في البيعة، وحوله نصارى، فرفع رأسه إلى السماء، ثم نظر، فرمى بالكأس من يده، وقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازمًا يُحَلُّ به حَـــــلَّ الحُوارِ ويُحْمَلُ
فليس لـــه في العيش خير يريده وتكفينـــــه مَيْتًا أعــف وأجمـــل

ثم زهقت نفسه. وأكثر شعره في صفة الأسد.

قال شعبة: قلت للطرماح: ما شأن أبي زيد وشأن الأسد؟

فقال: إنه لقي الأسد بالنجف فسلخه.

وقيل هذا البيت:

فباتوا يدلجون وبات يسري بصير بالدجى هـــادٍ غَمُوسُ
إلى أن عرّسوا وأغبَّ عنهم قريبًا ما يُحَسُّ لـــه حسيس
سوى أن العتاق من المطايا حسين به فهن إليه شـــوس

الإدلاج: سير الليل، وصف قومًا سروا بالليل، والأسد يتبعهم لينتهز فرصة فيهم.

وقوله: "بصير بالدجى"، أي: أنه بصير بالمشي في الليل، "والهادي": الدليل، و"الغموس": الواسع الفم، من قولهم: طعنة غموس، إذا كانت واسعة الشق، ويقال: هو الذي ينغمس في الشدائد.

ويروى: "عموس" بعين غير معجمة، وهو الذي يتعسف الأشياء كالجاهل، يقال: فلان يتعامس في الأموس، أي: يتجاهل، ويروى: "هموس" وهو الذي لا يُسْمَعُ لمشيه صوت.

و"العتاق": الإبل النجيبة، و"الشوس": المحدقة النظر.

وأنشد أبو القاسم في آخر الكتاب:

١٦١-فما سبق القيسيُّ من سوء سيرة ولكن طفت عَلْمَاء غُرْلَـــــةُ خالدِ

هذا البيت للفرزدق.

كثير من الناس على أنه أراد بالقيسي: عمر بن هبيرة الفزاري، وكان قد عزل عن العراق، وولي مكانه خالد بن عبد الله القسري، فذكر أن عمرًا لَم يُغلب بسوء سيرة، وإنَّما غلبه خالد لخساسته؛ لأن خساس الناس من شأنهم أن يظهروا على فضلاء الناس، كما قال القائل:

أرى زمنًا نَوكَـــاه أسعدُ أهله ولكنـــه يشـــقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكف الأعالي بارتفاع الأسافل

وذكر الطفو على الماء؛ لأن من شأن الجيف والأقذار أن تعلو فوق الماء، ومن شأن الدر أن يرسب تحت الماء، كما قال الآخر:

زمن علا قدر الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً وتطفو فوقه جيفه

وخص "الغرلة" بالذكر؛ لأن أم خالد كانت نصرانية، وكان هو يظهر الإسلام غير معتقد له.

ويروى أنه كلف جماعة من المسلمين أن يبنوا كنيسة لأمه فأبوا عليه، وامتنعوا من ذلك، وقالوا: كيف يليق بمسلم أن يبني كنيسة؟

فقال: قبح الله دين النصارى إن كان شرًّا من دينكم.

فقال الفرزدق في ذلك:

ألا قبح الرحمن ظهـــر مطيـــة أتتنا تَهَادَى من دمشق بخالـــد

وكيف يأمُّ الناس من كانت أمه تدين بأن الله ليس بواحـــد ؟

بنى بيعة فيها الصليـــب لأمـــه ويهدم من بُغْضٍ منار المساجد

وكان خالد قد اتصل به قول بعض الشعراء:

ليتني في المؤذنـــين حيـــاتي إنهم يبصرون من في السطوح

فيشيرون أو تشـــير إليهم بالهوى كـــل ذات دَلٍّ مليح

فأمر بأن تهدم الصوامع، وتسوى مع السقوف.

وذكر بعض المنادين: أن العرب كانوا يمتحنون ذكورة المولود وأنوثته إذا ختن، بأن تُلقى غرلته في الماء، فإذا رست قالوا: إنه يكون مذكرًا، وإن طفت غرلته قالوا: إنه يكون مؤنثًا، لا خير فيه، وهذا يرجع إلى غلبة الأخس الأفضل، على ما تقدم ذكره.

وقال أبو علي الفارسي: أخبرني أبو بكر بن السراج، قال: أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، قال: أخبرني المازني أنه رأى هذا البيت بخط سيبويه، في آخر كتابه عند رجل من بني هاشم، يقال له: عبد السلام بن جعفر.

قال: وقال المازني: هذا البيت للفرزدق، قاله في رجلين استبقا، أحدهما من قيس، والآخر من عنـــزة، فسبق العنـــزي وكان اسمه خالدًا.

وهذا التفسير يوجب أن يُروى: من سوء سيره، لأنه مصدر سار يسير سيرًا، وهو غير موافق للبيت؛ لأنه لا وجه فيه لذكر الغرلة إلا على التفسير الأول.

ووقع في نسخة كتاب سيبويه التي رواها أبو بكر مبرمان هذا البيت على رواية أخرى وهي:

وما غلب القيسي من ضعف قوة ولكن علت علماء غرلة قنبِر

ولم يذكر أنه للفرزدق، ولم أجد هذا البيت فيما طالعت من شعر للفرزدق، فأقف منه على حقيقته.

وهذا آخر ما وجد من شرح أبيات الجمل.

فهرس الموضوعات